الكواكب الدرية في النصائح الأبوية

تأليف

د. أحمد عبد المجيد أحمد غزلان

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

جامعة الأزهر الشريف

الطبعة الأولى ٢٠٢٥

الكواكب الدرية
في
النصائح الأبوية

تأليف

د. أحمد عبد المجيد أحمد غزلان

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

جامعة الأزهر الشريف

الطبعة الأولى ٢٠٢٥

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونسترضيه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، ونصلى ونسلم على خير الأنام ، وعلم الأعلام سيدنا محمد ﷺ رسول الإسلام.

أما بعد ...؛

فمن المعلوم لدى باحثي الأدب أن العرب قوم يقدسون الشعر ويتعشقونه ومن ثم لقى الشعر اهتماماً كبيراً من الباحثين والدارسين ، ولم يحظ النثر – رغم تعدد فنونه وأغراضه – بمثل هذا الاهتمام مع أن النثر يمثل جانباً مهماً من تراثنا الأدبي والفكري والحضاري لأنه لغة العقل والتفكير ، لذا فهو فى حاجة ملحة إلى مزيد اهتمام وعناية من الباحثين والدارسين ليكشفوا عن كنوزه ولآلئه.

ويعد أدب الكتابة إلى الأبناء أحد فنون النثر فى أدبنا العربي منذ نشأته ، فقد وردت آثاره مع أقدم ما وجد من آثار أدبية ثم انتشرت فى العصر الجاهلي مروراً بالعصر الإسلامي والأموي والعباسي والأندلسي حتى وصل إلى العصر الحديث.

ومن الملاحظ أن هذا اللون الأدبي تطور تطوراً كبيراً فى العصر الحديث بما يتفق مع ظروف العصر وملابساته السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية مما أدى إلى اتساع إمكانات الكتابة والإبداع فى شتى المجالات والتي كان من بينها (كتابات الآباء للأبناء) والتي لم تعد مجرد ملاحظات أو مقتطفات يسوقها الكاتب فى إيجاز بيِّن أو رسالة محددة ، وإنما أصبحت تستوعب مقالات مطولة وكتباً كاملة يعتصر فيها الكاتب خلاصة تجاربه وتأملاته وخبراته فى الحياة والأحياء وشتى جوانب المجتمع المختلفة (دينية ، واجتماعية ، وسياسية ، وأخلاقية) يقدمها الوالد فى أسلوب سهل ، وعبارات بليغة ، وتصوير خلاب إلى فلذة كبده ، وثمرة فؤاده ، وامتداده فى الحياة فى هذا الشكل الأدبى المؤثر ليستفيدوا منها فى حياتهم.

وقد كثرت نصوص هذا اللون الأدبي في العصر الحديث وتوفرت مصادره التي تتضمن كثيراً من القيم (الإنسانية، والأخلاقية، والفنية، والجمالية) التي تغني الناحية الفكرية والأدبية على حد سواء، هذا بالإضافة إلى ما يحدثه من التفاعل والتواصل بين الآباء والأبناء الذي وهت أواصره فى عصرنا الحديث وضعفت من خلاله العلاقة الأسرية بين الآباء والأبناء، مما جعل بعض الأبناء وكأنهم يعيشون فى غربة نفسية وشعورية بعيداً عن آبائهم والتحاور معهم والاستفادة من تجاربهم وخبراتهم.

ويمكن القول بأن الكتابة إلى الأبناء تعد سجلاً حافلاً بالقيم والمبادئ الأصيلة، والأسس الراسخة التي سجلها الآباء فى كتاباتهم والتي تعد أساساً من أسس التربية الحديثة.

وعلى الرغم من كثرة النتاج النثري الموجه من الآباء للأبناء فى العصر الحديث إلا أننا قلما نجد أحداً من الباحثين اعتنى بالتحليل الفني لمادة هذا اللون الأدبى كاهتمامهم بسائر فنون النثر الأخرى اللهمَّ إلا ما قد يدخل من بعض هذه النصوص عرضاً فى دراسة فن الرسائل أو فن الوصايا أو فى دراسة شخصية الأديب ذاته باعتباره صاحب هذا العمل الأدبى ، ولكنها – فى جميع الحالات – لا تعدو أن تكون إشارة لا تنفذ إلى مكونات النص وخصائصه وفق الأسس الفنية للتحليل الأدبى ، وهذه حقيقة يشعر بها كل من خاض غمار البحث أو الكتابة فى هذا اللون الأدبي ، ولعل السر في إهمال هذا الموضوع أن الباحثين يظنون أنه فن قديم و لم يعد له وجود في العصر الحديث حتى أن القلة الذين انتبهوا لوجوده يرون أنه موضوع تقريري مباشر تقل فيه الجوانب الفنية والخيالية ، وبمراجعة نصوص هذا اللون الأدبي وجدنا الحقيقة تخالف ذلك فقد كثرت فيه المظاهر الفنية من صور وأخيلة وتعبيرات وعبارات مثيرة للعواطف والوجدان لأن المشاعر الفياضة من الآباء نحو الأبناء تنعكس على هذا اللون الأدبي.

وقد أكد ذلك بعض الذين أسهموا بدراسات حول هذا اللون الأدبي وعلى رأسهم الدكتور/ محمود شاكر سعيد حيث يقول فى كتابه [رسائل الآباء إلى الأبناء فى الأدب العربي]: (وإن هذا اللون من الإبداع يمثل لوناً أدبياً متميزاً ، لم ينتبه إليه الكتاب والمبدعون

المعاصرون بشكل واضح فى فضاءات قد لا يستطيع أن يحلق فيها من خاض تجربة القصة أو القصيدة أو غيرها من الفنون الأدبية المعروفة)[1] ولكنه يتنبأ بأن هذا اللون الأدبي سيحظى فى مستقبل الأيام بالعناية التي تليق به حيث يقول: (وأنا على ثقة أن هذا اللون من الإبداع سيأخذ مكانه الذي يستحقه فى عالم الأدب).

وتكمن أهمية هذه الكتابات فيما يلي:-

- إن أدب الكتابة إلى الأبناء يمثل رافداً أساسياً من روافد الأدب العربي لما له من أهمية كبرى يكتسبها من أهمية الشريحة الاجتماعية التي يخاطبها ويتوجه إليها ألا وهى شريحة الشباب الذين هم أمل الأمة وعماد مستقبلها.
- إن أدب الكتابة إلى الأبناء يعد سجلاً حافلاً بالقضايا الإسلامية والوطنية والاجتماعية والتربوية ، كما يعد اتجاهاً تراثياً موسوعياً فهو لا يقتصر على علم واحد إنما يتسع ليشمل علوماً مختلفة متفاعلة مع الواقع وقريبة من الحياة لذا فإن هذا الفن أقدر من غيره على كشف قضايا الحياة وسبر أغوارها.
- إن أدب الكتابة إلى الأبناء يتميز على سائر الألوان الأدبية فهو بجانب كونه عملاً أدبياً يمتاز بما فيه من عاطفة الحب الأبوي ذلك الحب الذي تسرى روحه فى جميع أجزاء جسم الأب لذا وجدنا بعض الآباء لا يعتبره أدباً عادياً ونصيحة عابرة بل يعده وحياً إلهياً (لأن النصح الذي يصدر من نفس متشعبة متشععة بنور هذا الحب ، لهو مستمد من وحى الله إلى القلوب التي خلقها وأودع فيها سره الإلهي)
- إن أدب الكتابة إلى الأبناء يعد سيرة شخصية لمنشئه من الممكن أن يتضح من خلاله جوانب كثيرة فى حياة الكاتب لا يمكن أن تظهر للمهتم بسيرته من خلال أعماله الأدبية الأخرى إلى جانب الكثير من القيم التي يحققها هذا اللون من الكتابة ومنها الإمتاع والتسلية من خلال قراءة نصوصه التي تكشف أمام قارئها عوالم ومعالم لا

(١) رسائل الآباء إلى الأبناء في الأدب العربي - محمود شاكر سعيد - صـــ ٥٠.

يستطيع اكتشافها فى غيرها من النصوص ، كما يمكن أن يحقق هذا اللون الأدبى متعة الصياغة والأسلوب خاصة حينما يصدر عن كاتب مبدع وأديب محنك.

- إن الكتابة إلى الأبناء تعد من أعم وأشمل الألوان الأدبية إذ أن الكاتب قد يستخدم فيه سائر الأنواع الأدبية الأخرى فقد يقص شيئاً من الماضي أو يستخدم الأسلوب القصصي ويكون بذلك أقرب إلى القصة ، وقد يستخدم أسلوباً تقريرياً مباشراً فيكون أقرب إلى أسلوب الخطابة ، وقد يستخدم الأسلوب الوعظي فيكون أقرب إلى الوصية ، وقد يتحدث الكاتب عن بعض جوانب حياته الشخصية فيكون أقرب إلى أدب الاعترافات ، فهو بذلك يجمع ألواناً متعددة من الأدب داخل هذا اللون الأدبي مما يجعل الدارس ملماً بالكثير من الألوان الأدبية المتعددة التي تساعده في دراسة أدب الكتابة إلى الأبناء.
- حاجة الأجيال المعاصرة إلى الاهتمام بمثل هذه الأنواع الأدبية للاقتداء بها والاطلاع على ما فيها من تجارب وحكم تنم عن رجاحة عقل مبدعيها وبعد نظرهم وسداد رأيهم لعلهم بذلك يدركون ما فيه من فوائد جليلة تنفعهم فى مستقبل أيامهم.
- مثل هذه الأنواع الأدبية تثير المشاعر وتزيد من الخبرات والثقافات وتدعم التواصل بين الأبناء والآباء للانطلاق إلى مستقبل مشرق لأبنائنا.

الكتابة إلى الأبناء على مر العصور

مما لا شك فيه أن عاطفة الأبوة من أقوى العواطف ، وحب الآباء لأبنائهم من أعظم أنواع الحب ، وحرصهم على مصلحة أبنائهم من أشد أنواع الحرص ، ولا غرابة في ذلك فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فلا أنصح من الأب لابنه ، ولا أشفق منه عليه، وليس في الأرض من تطيب نفسه أن يفضل عليه أحد سوى ولده ، فالوالد هو الوحيد الذي يتمنى أن يرى ولده أفضل منه بل قد يصل به الأمر إلى أن يَحرِم نفسه من أجله ، ويجوع من أجل أن يشبعه ، ويعرى ليكسوه ، ويسهر الليالي من أجل راحته ، ومن هنا كان لابد أن يقدم الوالد لولده النصيحة التي يستعين بها في حياته حتى يشعر أنه أدى بعض ما عليه من حقوق تجاه أولاده، ومن الواضح أنه لا يوجد والد أو والدة على مر العصور لم يقوما بتقديم نصيحة لأولادهما مع الفارق في طريقة تقديم هذه النصيحة ، فقد تجد من يقتصر على تقديمها شفهيا فضلا عمن تيسر لهم الأمر فقاموا بكتابة هذه الوصايا والنصائح وأهدوها إلى أبنائهم لتكون نبراسا لهم يهتدون بها في مستقبل أيامهم ، يقول ابنُ القيم -رحمه الله- محذراً من الإهمال والتقصير في تربية الأولاد ونصحهم وإرشادهم: (فوصيةُ الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم، قال تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق). [الإسراء:٣١] فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سُدىَ ، فقد أساء إليه غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت، إنك عققتني صغيراً فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً).[1]

(١) تحفة المودود بأحكام المولود - الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية - صـ ١٥٦.

وهكذا يبرز ابن القيم مدى أهمية نصح الآباء للأبناء ويعتبر تقصير الآباء في هذا النصح غاية الإساءة إليهم ، بل يعده سبباً رئيساً من أسباب فسادهم وإضاعتهم في الحياة ، بل هو غاية العقوق من الآباء للأبناء.

وفن الكتابة إلى الأبناء أو ما يمكن أن نطلق عليه (أدب البنوة) ليس فنا مستحدثا أو وليد العصر الحديث ، بل هو لون أدبي له جذوره وأصوله منذ القدم – شعراً ونثراً – فهو قديم قدمَ الإنسان وهذا أمر طبيعي لأن هذا اللون من الأدب مرتبط بعلاقة الأب بأبنائه وهى علاقة فطرية قديمة منذ بدء الخليقة وباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذه النصائح الأبوية مشهورة في كتب الأدب والتاريخ وتناولتها كثير من الدراسات والبحوث فهي غنيّة و كثيرة ، بعضها منسوبٌ لصاحبه و مرجِعِه ، وبعضها الآخر نسبت بالقول مثل (قال أعرابيٌ أو قال آخر).

فنصائح الآباء إلى الأبناء لون أدبي قديم له جذور ممتدة (منذ أن عمر الإنسان الأرض وأسس على ظاهرها الأُسر والمجتمعات) [1] ، فقد ورد في بعض الآثار (أن آدم عليه السلام لما حضرته الوفاة جمع بنيه ، وقال لهم: يا بَنيَّ إن الله مترل على أهل الأرض عذابا ، فليكن جسدي معكم في المغارة حتى إذا هبطتم بي فابعثوا بي وادفنوني بأرض الشام ، فكان جسده معهم) [2] وإن كانت مثل هذه الآثار المنسوبة إلى الأمم البائدة لا تعتبر وثائق صحيحة إلا ما جاء منها في القرآن الكريم، فنسبة هذه الوصية لآدم عليه السلام قد يكون أمراً مشكوكاً فيه وذلك لأنه ليس من السهل معرفة اللغة التي تكلم بها نبي الله آدم عليه السلام بالإضافة إلى صعوبة وصول النص إلى العصور الحاضرة بهذه الدقة ، ولكن يمكن القول أنه إذا صحت نسبتها لآدم عليه السلام فهي بذلك تكون أقدم وصية في التاريخ وأول نصيحة من والد لأولاده.

(١) وصايا الآباء فى تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٣٨.

(٢) المعمرون والوصايا – أبوحاتم السجستاني – صـ ٢.

وكذلك من أقدم وصايا الآباء للأبناء وصية الخليل إبراهيم عليه السلام لبنيه بالتمسك بدين الله وعدم الموت إلا على الإسلام ، وتبعه في ذلك يعقوب عليه السلام حيث أوصى بنيه عندما حضرته الوفاة كما ذكر القرآن الكريم قال تعالى ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1] ، وبهذا فإن هذه الوصية أثبت وأصح من وصية آدم عليه السلام لورودها في القرآن الكريم.

ومما سبق يتضح أن معظم الأنبياء قد سارعوا إلى تقديم الوصية والنصيحة لأبنائهم وتفقد أحوالهم حتى يكونوا قدوة لغيرهم ، وكذلك من أقدم ما ورد من آثار في كتابات الآباء للأبناء (وصايا الحكيم أحيقار لولده)[2] وهى وصايا فارسية قديمة كتبت باللغة الآرامية والسريانية ثم نقلت إلى العربية وأغلب وصايا (أحيقار) لولده تصب في قالب الحكمة ، والوعظ ، وتقويم السلوك ، وإنماء قيم الخير والفضل ، فهو يوجه ولده إلى ما يراه نافعا له وما يجب أن يكون عليه من سلوكيات وأخلاقيات وما يجب عليه أن يتجنبه ويبتعد عنه ، وقد صارت معظم هذه النصائح أمثالا وحكما منتشرة بين العامة فيما بعد مع اختلاف في الألفاظ واتحاد في المعنى بل إن بعض أقواله بقيت حكماً وأقوالا حية في الأدب العربي ، من ذلك قوله لولده (يا بني : إن أردت أن تكون حكيماً اضبط لسانك من الكذب ، ويدك من السرقة ، وعينيك من نظر السوء ؛ عند ذلك تدعى حكيماً) وقوله (يا بني: كن متواضعاً في شبوبيتك فتكرم في شيخوختك).[3]

---

(١) الآيتان رقم ١٣٢ ، ١٣٣ من سورة البقرة.

(٢) أحيقار الحكيم كان مستشارا في بلاط الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) وبلاط الملك الآشوري أسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٨ ق .م) وكان كثير المال متعدد الزوجات ولكنه لم يكن له ابن يرثه فتبنى ابن أخته نادان ورباه واعتبره ابنه وقام بتوجيه هذه الوصايا له. (ملخص من كتاب: أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم).

(٣) أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم - أنيس فريحة - صـ١٢١.

ولعل من أبرز وأشهر وصايا الآباء للأبناء بل ومن أقدم الآثار الثابتة والصحيحة التي وصلتنا من هذا اللون الأدبي (وصايا الحكيم لقمان لولده) والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم والتي تعد بحق النواة الأولى لهذا اللون الأدبي ، فالحكيم لقمان يعد أول من مهد الطريق للآباء ليسيروا على نهجه ويقتفوا أثره في نصح أبنائهم ، ويكفى هذه الوصايا تشريفا وتعظيما أن الله ﷻ ذكر بعضاً منها في القرآن الكريم على لسان قائلها – الحكيم لقمان– فهي بذلك قد كتب لها البقاء مادامت السماوات والأرض يتلوها الجيل بعد الآخر – سواء كانوا آباءً أو أبناءً – مستفيدين بما فيها من حكم نافعة ، ونصائح جامعة ، ووصايا حكيمة ، خاصة وأنها وردت على لسان رجل حكيم منَّ الله عليه بالحكمة ومدحه بها فقال ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾[1] فكان من أهم حِكمه ما جاء في عظاته لولده والتي اشتملت على كثير من الجوانب الدينية والأخلاقية والتربوية حيث بدأها الحكيم لقمان بنداء ولده بقوله (يَا بُنَيِّ) وكان أول تركيزه في وصاياه لولده أن أمره بالتمسك بالعقيدة الصحيحة ، والتي تعد أول واجبات ولى الأمر لأولاده فهي الأساس لبناء إيمان الشخص وتصوراته وأفكاره ، ثم ركز على العبادات الأساسية فأمره بأداء الصلاة والمحافظة عليها ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر، وتحمل المشقات والمصائب ، والصبر على النوائب ، وفى ذلك بناء للشخصية القوية الجلدة.

كما اعتنى الحكيم لقمان عناية قصوى بغرس القيم السلوكية في نفس ولده فأمره بالتواضع وعدم الكبر والتوسط في كل أموره ، وقد خلد القرآن الكريم بعض هذه الحكم في قوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيِّ لا تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ .....﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [2] ومن هنا جاءت وصايا لقمان الحكيم مشتملة على كثير من الجوانب التي تفيد الإنسان في حياته والتي إن تمسك بها وسار على نهجها وصل إلى بر الأمان والنجاة ، كما أن هذه الوصايا اللقمانية تعد قاعدة عريضة ومنهلاً اغترف منه

(١) الآية رقم (١٢) من سورة لقمان.

(٢) الآيات من ١٣ إلى ١٩ من سورة لقمان.

الآباء على مر العصور في كتاباتهم ونصحهم لأبنائهم وهذا ما سنراه في صفحات هذا البحث إن شاء الله تعالى.

و لم يقتصر هذا اللون الأدبي على الأدب العربي فحسب ، بل وجدت له نظائر في الآداب الأخرى كوصية جويدان خرد في الأدب الفارسي ، ووصايا جواهر لال نهرو لابنته أنديرا غاندي في الأدب الهندي ، ووصية ديمون رينون في الأدب الأمريكي ، ووصية الجنرال وليم بووث في الأدب الانجليزي ، إلى غير ذلك من الوصايا الأخرى في الآداب العالمية المختلفة. (١)

وقد تطور هذا الفن عبر عصورنا الأدبية المختلفة ، فلم يخل عصر من العصور من هذا اللون الأدبي ، بداية من العصر الجاهلي وحتى عصرنا الحاضر ، فقد اتفق الأدباء والنقاد (على أنه كان للعرب في جاهليتهم نثر ، وعلى أن النثر قد وجد قبل الشعر ، وكان أكثر منه وأغزر مادة ، ولكن الرواة لم يحفظوا من النثر شيئا يذكر بالقياس إلى ما حفظوا من الشعر ، لأن الوزن والقافية أعانا على حفظ الشعر وروايته وخلا منهما النثر فلم يحفظ منه إلا الترر اليسير).(٢)

وقد انقسم النثر في العصر الجاهلي إلى ألوان متعددة كان من أبرزها فن الوصايا (كلون من ألوان الأدب التربوي عرفها الأدب العربي القديم وتناقلها الحفظة والرواة ، فكان الموصي يوجهها إلى أهله وعشيرته حينما يحس دنو أجله، وكانت الغاية منها النصح والإرشاد إلى الطريق القويم ، والترغيب في التزام الفضائل ، والتخلق بالأخلاق الكريمة ، كما كانت تنطوي على مقدار كبير من الحكم والأمثال ، وتتضمن خلاصة الخبرة في

(١) انظر: رسائل الآباء إلى الأولاد من الأدبين العربي والغربي ، تحرير/ إيفان جونس ، ترجمة/ لطفي الخوري ، محمود الأمين مراجعة/ مصطفى جواد.

(٢) في الأدب الجاهلي ، طه حسين ، ط ٣ ، صـ٣٤٦

الحياة ، وتعبر عن نظرة الموصى إلى الدنيا وأحوالها ورأيه في البشر وطباعهم وسلوكهم)[٣] وقد أخذت وصايا الآباء للأبناء حيزاً كبيراً في الوصايا الجاهلية.

ولعل السر في وجود هذا اللون الأدبي في العصر الجاهلي راجع إلى أن العرب في الجاهلية كانوا يعدون الأدب وسيلة لتطهير النفوس وتهذيب الأخلاق إذ ليس ثمة غاية للأدب أسمى وأجل من صقل النفوس وبث القيم السلوكية العليا فيها، ويظهر من خلال وصايا الآباء للأبناء في الجاهلية عنايتهم بتربية أبنائهم تربية سليمة مبنية على أسس أخلاقية قويمة ، وقد أخذت هذه التربية شكل وصايا يصدرها الآباء إلى الأبناء بعد أن بلوا الحياة وخبروها وامتلأت جعابهم بتجارب إنسانية فأخذوا ينقلون هذه التجارب إلى أبنائهم من خلال هذه الوصايا ، (وكانت هذه الوصايا دستورا ثابتا للأبناء يهتدون به ويسيرون على تعاليمه متى احتاجوا إلى ذلك).[١]

وقد انتشر هذا اللون من الوصايا انتشارا كبيرا بين الجاهليين وتعددت أسبابه ودوافعه ولكن معظمها كان يدور حول الحرص على مصلحة الأبناء والخوف على مستقبلهم لذلك لم يتوانى الآباء لحظة في تقديم وصاياهم لأبنائهم ، ومن هنا وجدنا بعض الآباء يقدم الوصية لأولاده أو لأحدهم عند دنو أجله وقرب موته، ومنهم من يوصى أولاده عند التأهب للسفر أو الاستعداد لخوض معركة ، أو الدخول في حلف ، أو التحول من موقع إلى موقع ، ومنهم من يوصى من سيخلفه من أولاده في سيادة القبيلة ومنهم من يوصى أولاده أو بناته عند الزواج ، إلى غير ذلك من الدوافع المختلفة التي تجعل الآباء يقدمون النصائح لأبنائهم من حين لآخر.

---

(٣) تاريخ الأدب العربي – الأدب الجاهلي – قضاياه ؛ أغراضه ؛ أعلامه ؛ فنونه ، غازى طليمات ، عرفان الأشقر – صـ ٥٦٠ بتصرف يسير.

(١) الوصايا في الأدب العربي القديم – سهام الفريح – ط١ – مكتبة المعلا بالكويت – سنة ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م- صـ٢٨.

ومن أبرز الوصايا في العصر الجاهلي وصية ذي الإصبع العدواني لما حضرته الوفاة لولده أسيد وفيها يقول (يا بني إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته فاحفظ عني). [٢]

بهذه الكلمات بدأ ذو الإصبع العدواني وصيته لولده والتي يتجلى فيها (تركيز عاطفي لعلاقة الأب العجوز بابنه وإقرار بعمق تجربته يلزم ابنه بالاستماع إليها ، ولا تغيب القيم القبلية من هذه الوصية ، وعلى رأس هذه القيم: النجدة والالتزام بما يتفق عليه الجميع)[٣] ، كما ركز في وصيته لولده على حسن المعاملة مع الناس ، ولين الجانب ، والتواضع ، وذكر أن هذه الأخلاق هي التي تجعله ينال السيادة في قومه.

وما أكثر وصايا الآباء للأبناء في العصر الجاهلي والتي امتلأت بها كتب الأدب ، والمتطلع إلى طائفة من هذه الوصايا (يجد قاسما مشتركا في القيم التي يحرص عليها الجميع ، فالحرص على الجماعة ، وصيانة الأهل ، والكرم بالمال تتصدر جميع هذه الوصايا ، ثم تأتي الدعوة إلى النجدة والشجاعة ، والحرص على العفة ، وتجنب الخيانة ، وكل ما ينقص المروءة ، والدعوة إلى التسامح والعفو ، كما يلاحظ ظهور الطابع الديني في معظم هذه الوصايا ، وهو طابع روحي مستمد من قيم العقيدة النابعة من الإيمان بالغيب وبالقدر وبالبعث[١] ، وهذا الطابع تظهر آثاره واضحة في مجموع هذه الوصايا إن لم يكن في جميعها).[٢]

ولم يقتصر فن الوصايا في العصر الجاهلي على الآباء فحسب بل اشتركت فيه بعض الأمهات اللواتي قمن بتقديم بعض الوصايا لأبنائهن أو بناتهن في المناسبات المختلفة.

---

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة – العصر الجاهلي وصدر الإسلام – أحمد زكى صفوت – جـ ١ – صـ ٤٦.

(٣) الوصايا في الأدب العربي القديم – سهام الفريح – صـ ٢٩.

(١) تعد هذه الظاهرة إحدى مشكلات النصوص المنسوبة إلى العصر الجاهلي لأن هذه المفاهيم القريبة من الإسلام تتعارض مع ما عرف عن الجاهليين من إنكار للبعث .

(٢) الوصايا في الأدب العربي القديم – سهام الفريح – صـ ٣٥، ٣٦ بتصرف.

ولعل من أشهر وصايا الأمهات في العصر الجاهلي وصية (أمامة بنت الحارث) التي أودعتها تجاربها في الحياة وودعت بها ابنتها (أم إياس) حين زفتها إلى زوجها الحارث بن عمرو – ملك كندة – وقد بدأت وصيتها بقولها: (أي بنية إن الوصية لو تركت لعقل وأدب ، أو مكرمة في حسب لتركت ذلك منك ولزويته عنك ، ولكن الوصية تذكرة للعاقل ، ومنبهة للغافل)[٣] ، وهذه الوصية تعد من أفضل الوصايا الجاهلية وأكملها في موضوعها وخصوصا أنها صدرت من امرأة ذات مكانة وشرف ، فالأم تعرض لابنتها وجوب الوصية وتبين لها أنها ليست للغافل أو واهن العقل أو قليل النسب ، وإنما هي تذكرة للغافل ، وهى واجبة لذي العقل والأدب وذي المكرمة والنسب[٤] ، كما تعد هذه الوصية (دستورا للمرأة العاقلة التي تحرص على سعادة عشها وبيتها وقد صدرت من أم مجربة محنكة حلبت الدهر أشطره وحرصت كل الحرص على أن تحقق السعادة والرفاه لابنتها وتبين لها ما يجب عليها نحو زوجها لتدوم السعادة الزوجية وتتحقق السكينة والطمأنينة)[١] ، ولقد كان الأبناء يتلقون هذه الوصايا باعتزاز كبير ويصغون إلى آبائهم ويتلقفون منهم هذه الوصايا ويعتبرونها سننا يخضعون لها ولا يحيدون عنها في حياتهم بل ويوجهونها لأبنائهم من بعدهم حتى يسيروا في نفس الطريق الذي ساروا فيه ، وعلى هذا النحو سار كثير من الآباء الجاهليين.

ظل الأمر كذلك إلى أن جاء الإسلام (فمع ظهور الإسلام وما تركته تعاليمه التي عمرت القلوب ، ونبهت العقول ، استمرت وصايا الآباء إلى أبنائهم وتأثرت تلك الوصايا بالمفاهيم الجديدة والقيم الإسلامية والنماذج الأدبية الرفيعة التي مثلها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما تبع ذلك من تحولات جوهرية في حياة الفرد والمجتمع وعلاقة الإنسان بغيره من البشر)[٢] ، فالإسلام دين يدعو إلى النصيحة وينادى بها في كل

---

(٣) الوصايا الخالدة – عبد العزيز صقر ومصطفى جبر –صـ١٠٩ ، ١١٠.

(٤) انظر: الوصايا في الأدب العربي القديم – سهام الفريح – صـ ٣٨.

(١) أدب النساء في الجاهلية والإسلام– محمد بدر معبدى – المطبعة النموذجية بالحلمية الجديدة – د. ت– صـ١٨.

(٢) وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ٩٦.

الأوقات فالنصيحة مفروضة على الإنسان تجاه أخيه الإنسان لذا قال رسول الله ﷺ: (الدين النصيحة)[٣] وإذا كان الإسلام ينادى بوجوب النصيحة بين الناس عامة فمن الأولى أن تكون أكثر وجوبا بين الآباء والأبناء وخصوصا بعد أن نادي رسول الله ﷺ بهذا اللون من النصيحة في قوله: (ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن يفيده إياه أو جهل قبيح يكفه عنه ويمنعه منه)[٤] وكان لهذا الحديث أثر كبير في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم فقد حرصوا كل الحرص على تربية أبنائهم وتنشئتهم التنشئة الدينية الصالحة النابعة من روح الدين خاصة بعد علمهم بأنهم مسئولون أمام الله سبحانه وتعالى عن هذه التربية وأن تقصيرهم فيها يعد تقصيرا في جانب من جوانب الدين فأخذوا يلبون نداء رسول الله ﷺ متوجهين لأبنائهم بالكثير من الوصايا والنصائح ومن هنا كثر هذا اللون الأدبي في عصر صدر الإسلام حيث اعتنى الصحابة رضوان الله عليهم ببناء شخصية أبنائهم انطلاقا من تعاليم الإسلام وأساليبه.

ومما يمثل هذا اللون الأدبي في عصر صدر الإسلام ويجسد ما أحدثه الإسلام في تشكيل بنية المجتمع الإسلامي وصايا الخلفاء الراشدين لأبنائهم ومنها وصية الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي وجهها لابنه عبد الله ضمن رسالة بعث بها إليه وفيها يقول (أما بعد: فإن من اتقى الله وقاه ، ومن اتكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن أقرضه جزاه ، فالتقوى عمارة قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا خير لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا خلق له)[١] ، وأول ما يلاحظ في هذه الوصية التركيز على النصح والإرشاد الديني الذي يؤكد أن الإسلام قد صار هو الموجه للنفس البشرية وأن تعاليمه هي المصدر الذي تنبعث منه أحكام المسلمين [٢] ، ومن الصحابة الذين اهتموا بتوجيه الوصايا لأبنائهم الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه الذي حفظت له كتب الأدب عددا من

(٣) جزء من حديث تميم الداري رضي الله عنه رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب: بيان الدين النصيحة، رقم (٨٢).

(٤) رواه الإمام الترمذي في سننه في البر والصلة رقم (١٩٥٢).

(١) وصايا الرسول والخلفاء الراشدين ، إعداد. عبد الحميد شاكر – صـ ٨٤.

(٢) وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ١٠٣.

الوصايا ومعظمها جمع في كتاب [نهج البلاغة][٣] ، ومن هذه الوصـــايا وصـــيته لولديـــه الحسن والحسين وفيها يقول: (أوصيكما بتقوى الله ، وأن لا تبغيا على الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا بالحق ، واعملا للأجر، وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا).[٤]

وكذلك من وصايا الآباء لأبنائهم في هذا العصر والتي جسدت تـــأثرهم بالـــدين الجديد وصية معاذ بن جبل ﷺ لولده ، ووصية الأشعث بن قيس الكندي ، ووصية عمير بن حبيب ، ووصية العباس بن عبد المطلب لولده عبد الله. [٥]

ولم تقتصر الوصايا في عصر صدر الإسلام على الآباء فحسب بل اشتركت فيهـــا الأمهات فها هي الخنساء الشاعرة المخضرمة توصى أبناءها وهم يتوجهون للمـــشاركة في القادسية بما يترجم أثر التربية التي تركها الإسلام في نفسها إذ تخاطب أبناءهـــا الأربعـــة وتقدمهم فداءاً للدين طائعة راضية مرضية حيث تقول في وصيتها: (فإذا أصبحتم غداً- إن شاء الله – سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنـــصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى سياقها وجللت نارا على أوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بـــالغنم والكرامـــة في دار الخلد والمقامة)[١] ، ومن الملاحظ في وصايا الآباء للأبناء في عصر صدر الإسلام محاكاتهـــا لأسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وتضمين بعض ألفاظهما ، وبروز الطابع الديني فيها بشكل واضح وعدم خروجها عن تعاليم الشريعة الإسلامية ، كما يظهر فيهـــا التحول العام الذي أحدثه الإسلام في المجتمع العربي إذ حلت الأخوة مكان النزاع والأنانية الفردية ، وحل الجهاد محل الغزو والغارة ، وحلت الجماعة المؤمنة والمجتمع المتآخي الأفراد

---

(٣) نهج البلاغة وهو ما جمعه السيد المرتضى من كلام سيدنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه – شرح الشيخ محمد عبده – المطبعة الأدبية – بيروت – سنة ١٨٨٥م.

(٤) نهج البلاغة – جـــ ٢ – صـــ ٤٧.

(٥) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـــ ١٢٢.

(١) نساء حول الرسول ﷺ – محمد مهدي الإستانبولي ، مصطفى أبو النصر شلبي – صـــ ٢٥٦: ٢٦٠.

والمتوحد في أهدافه واتجاهاته مكان القبلية وقيمها وتوجهاتها وإن كانت من ناحية الأسلوب ظلت محتفظة بالقالب التعبيري العام الذي كان سائدا في الوصايا الجاهلية من حيث قصر الجمل وتوازنها مع الحرص على السجع الجميل من غير تكلف والتركيز على الحكم والأمثال في الغالب.[٢]

ولما جاء العصر الأموي تطور الأدب بشكل عام وتطور هذا اللون الأدبي بشكل خاص فقد أكد النقاد أن الأدب يرتبط ارتباطا وثيقا بالبيئة والنفس ويتخذ خصائصه من خصائصها فكما كان للإسلام أثره في تغيير مجرى الأدب في عصر صدر الإسلام وبدا هذا الأثر واضحاً في وصايا الآباء للأبناء فقد كان لنمو فكر الإنسان في العصر الأموي واتساع أفقه لما يجرى في الحياة وكثرة القلاقل والفتن في أوائل أيامه ثم ما تمتع به من متعة واستقرار فيما بعد إلى جانب امتزاج العرب بغيرهم من الأمم وانفتاحهم على ثقافات الأمم المختلفة كل ذلك كان له أثره في الأدب ولاسيما في كتابات الآباء للأبناء فنشط هذا الفن الأدبي في العصر الأموي نتيجة التطور الفكري والاجتماعي الذي تعرض له المجتمع الإسلامي في ذلك العصر ونهض بدوره الوظيفي إزاء تلك المتغيرات واتبعت خطا صاعدا سواء من الناحية العددية أو النوعية ، وقد نتج عن هذا النشاط الأدبي أن انقسمت وصايا الآباء للأبناء إلى قسمين: وصايا سياسية ، وأخرى تربوية.[١]

فالوصايا السياسية (تشمل وصايا حكام وخلفاء بني أمية لأبنائهم ولاة العهود والمعدين للقيادة والحكم من بعدهم)[٢] ، وهو لون جديد من كتابات الآباء للأبناء لم يكن له سابقة في عصر صدر الإسلام أو العصر الجاهلي ، وإنما أفرزه على ما يبدو نظام الحكم الجديد في عصر الدولة الأموية وذلك لحاجة الخلفاء الأمويين لتنشئة أبنائهم تنشئة تربوية خاصة ، ومن هنا اهتم أصحاب هذا النوع من الوصايا بجانب الإعداد لولاية العهد وبحشد التوجيهات السياسية الخاصة بأصول القيادة والحكم ، حيث إنها تعد موجهة للوالي

(٢) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ١٢٤ ، ١٢٥.

(١) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ١٢٦ ، ١٢٧.

(٢) الوصايا في الأدب العربي القديم – سهام الفريح – صـ٦٩ بتصرف.

لا إلى الابن ، كما يلاحظ في هذا النوع من الوصايا قلة ظهور الجانب التربوي الذي كان موجودا في وصايا العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، وكذلك يظهر فيها خفوت الوازع الديني على جانب الاهتمام بأمور الدنيا والحرص على الملك والسلطان ، ومن أبرز الوصايا في هذا النوع وصية معاوية بن أبي سفيان لما حضرته الوفاة وكان ابنه يزيد غائبا فكتب وصيته التي يقول فيها: (انظر إلى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعهده ، وانظر إلى أهل العراق ، فإن سألوك عزل عامل لهم في كل يوم فاعزله عنهم فإن عزل عامل أهون عليك من سل مئة ألف سيف ، ثم لا تدرى على ما أنت عليه منهم)[٣] ويلاحظ في هذه الوصية الاهتمام بالجانب السياسي فقد أراد بها معاوية توجيه ولده يزيد وإرشاده سياسيا وذلك بعد أن أصبحت الخلافة تنتقل بالوراثة ، فنجده يرسم له فيها أسلوب التعامل مع كل فئة من الفئات ، كما أننا لا نجد في هذه الوصية الحث على طاعة الله ، وإعلاء كلمة الدين، كما كان الحال في وصايا الخلفاء الراشدين من قبل إنما نلمس فيها الاندفاع إلى الدنيا وحب الملك والجاه والسلطان.[١]

وكذلك من أبرز وصايا هذا النوع وصايا الخليفة عبد الملك ابن مروان لأبنائه وهى متعددة ومعظمها يدور حول الجانب السياسي ، ومن الطبيعي أن يقتصر هذا اللون من الوصايا على فئة الحكام والخلفاء فقط ، ورغم ذلك فإن وصاياهم لا تخلو من بعض الأفكار التربوية التي اشتملت على كثير من جوانب التربية والأخلاق والدعوة إلى حسن السلوك الذي يشمل العديد من العادات التي يرتضيها الأب لأبنائه وكانت هذه الوصايا تصاغ في إطار نصائح فردية يستخلصها الموصى من تجاربه الذاتية ومن أمثلة هذه الوصايا وصية معاوية بن أبي سفيان ﷺ التي يظهر فيها لولده اهتمامه وعنايته ببعض الجوانب التربوية ويحثه على إتباعها والتحلي بها ، ومن ذلك قوله: (عليك بالحلم والاحتمال حتى تمكنك الفرصة فإذا أمكنتك فعليك بالصفح فإنه يدفع عنك معضلات الأمور ويقيك

(٣) أروع ما قيل من الوصايا – إيميل ناصيف – صـ ٣٩.

(١) الوصايا في الأدب العربي القديم – سهام الفريح – صـ ٧٠.

مصارع المحذور) [٢] وما أكثر الوصايا التربوية التي وجهها الآباء البعيدون عن مجال السياسة إلى أبنائهم يأمرونهم فيها بالتمسك بالأخلاق الإسلامية ، وفى معظمها يحث الآباء أبناءهم على طلب العلم والحرص على التعلم كما في وصية عروة بن الزبير التي أوصى فيها أبناءه بطلب العلم وحثهم على أن يتخذوه قدوتهم إذ قال يوصيهم: (يا بني أنا أزهد الناس في عالم أهله ، فهلموا إلىَّ فتعلموا منى فإنكم توشكون أن تكونوا كبار قوم ،إني كنت صغيرا لا ينظر إلىّ فلما أدركت من السن ما أدركت جعل الناس يسألونني وما من شيء أشد على امرئ من أن يسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله)[٣] ، ومن ذلك أيضاً وصية مصعب بن الزبير لأولاده في الحث على طلب العلم وكذلك وصية الحسن بن علي لأبنائه وأبناء أخيه يحثهم أيضاً على طلب العلم [٤] وعلى هذا النهج سار كثير من الآباء في العصر الأموي موجهين وصاياهم لأبنائهم ومهتمين بالجانب التربوي والأخلاقي.

ولم تقتصر وصايا الآباء على أبنائهم الذكور فحسب بل نجد بعض الآباء قاموا بتوجيه وصاياهم لبناتهم كما فعل أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري في وصيته التي قدمها لابنته هند عند زواجها من الحجاج بن يوسف قائلاً فيها: (يا بنية ، إن الأمهات يؤدبن البنات ، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة فعليك بأطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الكحل ، وإياك وكثرة المعاتبة فإنها قطيعة للود ، وإياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق وكوني لزوجك أمة يكن لك عبداً)[١] وقد جاءت هذه الوصية في مجال تربية البنت وإعدادها وتهيئتها لاستقبال حياتها الزوجية وما يريده الأب لابنته من التوفيق والاستقرار في بيت الزوجية [٢] ، وهكذا لوحظ ظهور أنواع جديدة مما خلف الآباء للأبناء في العصر الأموي كالوصايا السياسية والحربية التي لم يكن لها وجود من قبل هذا إلى جانب الوصايا التربوية والاجتماعية التي كانت موجودة في العصور السابقة.

---

(٢) الوصايا في الأدب العربي القديم – سهام الفريح – صـ ٨٣.

(٣) وصايا الآباء فى تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ١٤٩.

(٤) انظر: السابق – صـ ١٥٠ وما بعدها.

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (العصر الأموي) – أحمد زكي صفوت – جـ ٢– صـ٤٨٨ ، ٤٨٩.

(٢) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ١٦٠ ، ١٦١.

ولما جاء العصر العباسي وصلت الحياة الفكرية إلى ذروة التطور والازدهار ولاسيما في العلوم والآداب ، فقد (كان العصر العباسي الأول عصرا خطيرا حقا في تطور النثر العربي إذ تحولت إليه الثقافات اليونانية والفارسية والهندية من خلال الترجمات التي كثرت في هذا العصر ، كما انتقلت إليه كل معارف الشعوب التي أظلتها الدولة العباسية بحيث تَدَخَّلَ جميع ذلك في تركيبه وائتلف مع نسيجه وتولد منه جديد تِلْوَ جديد)[٣] ، وظهر هذا التطور واضحاً جلياً في كل أنواع النثر ومن بينها وصايا الآباء للأبناء والتي أخذت حيزاً كبيراً في هذا العصر، ومن الملاحظ أن هذا النوع من الوصايا يمكن تقسيمه إلى نفس الأنواع التي كانت في العصر الأموي فكان منها السياسي ومنها التربوي ، ولعل أبرز وأشهر وصايا الآباء إلى أبنائهم في هذا العصر وصايا أبى جعفر المنصور (الخليفة الثاني من خلفاء بني العباس ، والمؤسس الحقيقي للدولة العباسية) والتي وجهها لابنه وولى عهده المهدي (محمد بن عبد الله المنصور) وقد قال في إحدى هذه الوصايا: (يا بني لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه ،فإن فكرة العاقل مرآته،تريه حسناته وسيئاته، واعلم أن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه)[١] ، وقد حرص أبو جعفر في هذه الوصية على بناء شخصية ولده من جانبين: أولهما: الجانب التربوي القائم على الجانب الديني كتقوى الله وطاعته والاستعانة به والتقرب إليه ، والآخر: الجانب الرسمي بصفته ولى عهده وخليفة المسلمين فيما بعد ، حيث وجهه إلى العفو والابتعاد عن الظلم.

ومن الوصايا التربوية المهمة التي وجهها الآباء إلى أبنائهم في هذا العصر أيضاً وصية عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طالب ﷺ التي وجهها إلى ابنه محمد النفس الزكية أو ابنه إبراهيم إذ قال في وصيته التي تبرز ما للابن من الحقوق: (أي بني ، إني مؤد حق الله في تأديبك ، فأد حق الله في الاستماع منى ، أي بني ، كف الأذى ، وارفض البذا ، واستعن

---

(٣) سلسلة تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) – شوقي ضيف – صـ٤٤١ بتصرف.

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة – أحمد زكى صفوت – جـ ٣ – صـ ٢٩.

على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام فإن للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب ....)[٢] ومن الملاحظ في هذه الوصية تركيز الأب على الجوانب التربوية والاجتماعية التي حث ديننا الإسلامي الحنيف على الالتزام بهـــا في تربية الأبناء ، وكذلك اهتمامه بالقيم الاجتماعية التي حافظت عليها المجتمعات العربية منذ عصرها الجاهلي ، ولكنه أولى إعمال العقل أهمية كبرى ، لما في ذلك من أثر في الحمايـــة من الوقوع في مزالق الخطر التي يؤدى إليها التسرع والعجلة ، والمتأمل في هـــذه الوصـــية يلاحظ أنها تشير إلى أن الحياة الثقافية في هذا العصر قد خطت خطوات واسعة في إدراك حقائق الحياة وخفاياها نتيجة نماذج الثقافات المتعددة [٣] ، ومن خـــلال هـــذه الوصـــايا الكثيرة التي وجهها الخلفاء والحكام إلى أبنائهم في العصر العباسي لوحظ تركيـــز معظـــم هؤلاء الآباء في وصاياهم على تذكير أبنائهم بتقوى الله ﷻ وطاعته لأنها رأس الـــصلاح وأس التوفيق والنجاح ، كما حرصوا على تذكيرهم بواجب الرعية على الراعي من حيث الرأفة بهم والعدل بينهم وحمايتهم والحرص على توفير سبل الأمن والأمـــان والاســـتقرار والراحة لهم ، وأن يكون الراعي قدوة صالحة لرعيته.[١]

وكذلك من أبرز وأشهر الوصايا الاجتماعية والتربوية في العصر العباســـي وصـــية الخطاب بن المعلى المخزومي القرشي التي وجهها لابنه وهى وصية عظيمة مشتملة علـــى كثير من الآداب الدينية والدنيوية ، ومن أهم وصايا هذا العصر والتي تمثل نموذجـــاً لفئـــة العلماء الأبرار الذين تميزوا بالتمسك بالأخلاق الحميدة وصية الإمام أبى حنيفة النعمان التي وجهها لابنه "حمادٍ" وهى الأخرى مشتملة على كثير من الآداب الدينية والدنيوية ويخـــتم هذه الوصية لولده بضرورة التمسك بمذهب أهل السنة ويحثه على إخلاص النيـــة لله وأن يكون بين الخوف والرجاء في كل أحواله وفي جميع أوضاعه وأن يحسن الظن بخالقـــه وأن يقبل على الله بقلب سليم ، ونلاحظ في وصية الإمام أبى حنيفة النعمان لولده أنه اعتمد في

---

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة – أحمد زكى صفوت – جـــ ٣ – صـــ ٣٣، ٣٤.

(٣) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـــ ١٩٤، ١٩٥.

(١) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـــ ٢١٢ وما بعدها.

كل مضامينه وتوجيهاته على القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، ولم يعزز وجهة نظر أو فكرة من أفكار وصيته بمثل أو حكمة أو ما اعتاده الحكماء من الاستشهاد بالقصص والأشعار ، وإنما بقى في إطار ما تميز به من ضبط وإتقان للحديث النبوي الشريف ، فهذه الوصية تمثل نموذجاً لتنشئة الأبناء في إطار الشريعة الإسلامية انطلاقاً من تعاليم القرآن وأنوار السنة النبوية الشريفة ، ومن هذا النوع أيضاً وصية الإمام الشافعي ﷺ والتي وجهها لولده من منطلق تربيته تربية صحيحة قائمة على منهج التربية الإسلامية المبنية على التحلي بصفات الرجولة الكاملة التي تجمعها المروءة[٢] ، ومن الشرائح الأخرى التي لم يخل العصر العباسي من وصاياهم لأبنائهم شريحة النساء فقد أسهمن في هذا النوع من الوصايا بإسداء بعض النصائح والوصايا لأبنائهن فقد روى عن إبان ابن تغلب قوله: شهدت أعرابية وهى توصى ولداً لها يريد سفراً وهى تقول له: (أي بني اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك ، أي بني إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً ، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام ، وقلما اعتورت السهم غرضاً إلا كلمته حتى يهي ما اشتد من قوته ،وإياك والجود بدينك والبخل بمالك ....).[١]

ولم يقتصر الأمر على الوصايا القصيرة فحسب بل تطور هذا اللون الأدبي وألفت فيه كتب بأكملها كان على رأسها كتاب (الأدب الوجيز للولد الصغير) لعبد الله بن المقفع وهو رسالة صغيرة يقدمها لولده ويبدؤها بمقدمة رائعة تهيئ ذهن ابنه المتلقي للإقبال على هذه الوصايا والعمل على الإفادة منها إذ أكد أن هذه الوصايا واجب من واجبات الأبوة وأنها حق من حقوق ابنه عليه وأنها وسيلة من وسائل إصلاح الأبناء ، يقول ابن المقفع في مقدمة رسالته: (أي بني ، لما بشرني المولى تعالى بوجودك، ومن عليّ بعطائك، وقد أبلغك إلى هذه السن والدرجة والحد والرتبة، بأن صرت مستعدا لقبول الآداب، وقابلا لعدة الفضل فقد وجب عليّ أن أؤدي شكرا للخالق ﷻ على هذه الموهبة الهنية،

---

(٢) انظر وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٢٢٧ وما بعدها.

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب – أحمد الهاشمي – صـ ١٥٨ ، ١٥٩.

والعطية السنية، وبمقتضى الكلام الرباني ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٢] أطلب بأداء الشكر مزيد الاستمتاع والانتفاع ببقائك، وأبدى نظرا شافيا وفكرا كافيا في الاجتهاد مع نفسي وبذل المجهود من أجلك حتى تتعظ بأنوار آدابي وتكسب حظا تستطيع أن تنتفع وتتمتع به، فيكون ذلك حجة إشفاق أبوتي عليك، وقضاء لحق بنوتك الذي أوجبه الله تعالى عليّ كأب، ويكون في المستقبل داعيا وموجباً لأن تبر بي وتحسن إليّ جزاء ذلك وتحترز طريق العقوق والعدوان، وتعمل بحكم ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلاَّ الإِحْسَانُ﴾[٣] وتساعدني في أموري، ولا تضن بالمعونة والمؤاتاة والمسامحة والمواساة في كل ما يسنح ويعرض...)[٤] وتتوالى وصايا ابن المقفع الأخلاقية والسلوكية والاجتماعية لولده في هذه الرسالة في واحد وخمسين فصلا لتشمل الجانب الروحي والجانب الخلقي والجانب التعليمي.

وكذلك من الآباء الذين محضوا أبناءهم نصائحهم وخصوهم بوصاياهم في العصر العباسي وزينوا المكتبة العربية بمؤلفاتهم التي قدموها لأبنائهم الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي الذي كتب لولده أبي القاسم رسالة سماها (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) وقد ذكر ابن الجوزي في مقدمة رسالته السبب الباعث على كتابة هذه الوصية حيث يقول: (أما بعد ، فإني لما عرفت شرف النكاح وطلب الأولاد، ختمت ختمة ، وسألت الله تعالى أن يرزقني عشرة أولاد، فرزقنيهم فكانوا خمسة ذكور وخمس إناث، فمات من الإناث اثنتان، ومن الذكور أربعة ، فلم يبق من الذكور سوى ولدى أبي القاسم ، فسألت الله أن يجعل فيه الخلف الصالح ، وأن يبلغ به المنى والمناجح ، ثم رأيت منه نوع توان عن الجد في طلب العلم، فكتبت له هذه الرسالة أحثه بها وأحركه على سلوك طريقي في كسب العلم ، وأدله على الالتجاء إلى الموفق سبحانه وتعالى ، مع علمي بأنه لا خاذل لمن وفق، ولا مرشد لمن أضل، لكن قد قال تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا

(٢) جزء من الآية رقم (٧) من سورة إبراهيم.

(٣) الآية رقم (٦٠) من سورة الرحمن.

(٤) الأدب الوجيز للولد الصغير – عبد الله ابن المقفع – تعريب وتحقيق/ محمد غفراني الخراساني – صـ ٣ ، ٤.

بِالصَّبْرِ﴾[العصر:٤] وقال: (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى) [الأعلى:٩] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم).[١]

ثم أتبع ابن الجوزى هذه المقدمة بسبعة عشر فصلاً موزعة على الجانب الخلقي والجانب التعليمي والجانب السلوكي ، وبعد هذه الإشارة إلى الحالة التي وصلت إليها كتابات الآباء للأبناء من التقدم والرقى في هذا العصر يلاحظ أن هذا اللون الأدبي قد بلغ ذروته ولعل من (أبرز معالم التطور الذي خضعت له "الوصايا" في العصر العباسي أن هذه "الوصايا" لم تعد تقتصر على عبارة أو فقرة تحمل الوعظ والإرشاد فحسب ، بل تعددت ذلك حتى غدا فن الوصايا فنا أدبيا يخصص له مبدعوه رسائل وكتباً ومجلدات).[٢]

وفى بيئة الأندلس تتم نهضة هذا اللون الأدبي فلم يخل الأدب الأندلسي من هذا النوع من الوصايا بل ظهر فيه وانتشر انتشاراً واسعاً واحتل مكاناً بين الأنواع الأدبية الأخرى ، (وعلى الرغم من أن الأدب الذي ينسب إلى الأندلس قد تزامن مع العصر العباسي ، إلا أنه قد تميز ببعض الخصائص والسمات مما حدا كثيرا من الأدباء والمؤرخين والنقاد إلى تناوله منفردا عن الأدب في العصر العباسي)[١] فكما دأب عدد من أعلام الأدباء والخلفاء والحكام المشارقة على تدوين وصايا يتجهون بها في مناسبات معينة إلى أبنائهم ، فقد ساهم خلفاء وعلماء الغرب الإسلامي – بالأندلس وشمال إفريقية – في كتابة وصايا لأبنائهم تهتم بالتوجيه للعناية بالعلوم والدعوة للأخذ بمحاسن الأخلاق مقلدين في ذلك علماء وأدباء المشرق [٢] ، ومن هنا كثر هذا اللون الأدبي وانتشر انتشارا واسعا في بلاد الغرب الإسلامي ، ومن أبرز وصايا الخلفاء التي تطالعنا في العصر الأندلسي وصية عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي التي وجهها لولده المنذر عندما لم يرض عن

---

(١) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد – الحافظ أبو الفرج بن الجوزى – شرح وتحقيق/ أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم مكتبة الإمام البخاري – صـ ٢٥ : ٢٧.

(٢) وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٢٤٧.

(١) وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٢٦٣.

(٢) انظر: أدب الوصية من الآباء إلى الأبناء (مختارات من وصايا أندلسية مغربية موجهة للناشئة)– جمع وتحقيق/ محمد بن عزوز – صـ٦، ٧.

سلوكه حيث كان متكبرا ومتعاليا وسيئ الخلق لذا اتخذ عبد الرحمن الأوسط الأسلوب المباشر في تربية ولده ثم أتبعه بالأسلوب العلمي وأوصاه بما ينفعه في حياته من حيث الإغضاء لاسيما عند الاقتدار والالتزام بمعالي الأمور ، وقد أكد المؤرخون أن هذه الوصية قد آتت ثمارها وأثرت في سلوك الولد وتصرفاته وأثرت تأثيرا بالغا في شخصيته وتهذيب وجدانه وتوجهاته.[٣]

ومن أشهر وصايا العلماء لأبنائهم في العصر الأندلسي وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده وهو الذي قال عنه الدكتور شوقي ضيف: (وقد كان لسان الدين أبرع كاتب أخرجته الأندلس في عصورها الأخيرة حتى قيل: إنه كاتب الأرض إلى يوم العرض)[٤] ، وهى وصية جامعة نافعة جمع فيها لسان الدين بن الخطيب ما يمكن أن ينتفع به أبناؤه في دنياهم وأخراهم ، وقد استهلها بمقدمة طويلة أقرب ما تكون مقدمة كتاب ، أكد فيها أن النصيحة واجبة على الآباء للأبناء تأسيا بما أكده القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم ذكر بعدها الأسباب التي دعته لإنشاء هذه الوصية وحثته على توجيهها لأبنائه الثلاثة موضحا مشاعره نحوهم بما يثير عاطفتهم ويدعوهم إلى الإقبال على سماع الوصية بكل جوارحهم واهتماماتهم[١] حيث يقول في وصيته: (وبعد ، فإني لما علاني المشيب بقمته ، وقادني الكبر في رمته ، وادكرت الشباب بعد أمته ، أسفت لما أضعت ، وندمت بعد الفطام على ما رضعت ، وتأكد وجوب نصحي لمن لزمني رعيه ، وتعلق بعيني سعيه ، وأملت أن تتعدى إلىَ ثمرة استقامته وأنا رهين فوات، وفي برزخ أموات ، ويأمن العثار في الطريق التي اقتضت عثارى ، إن سلك – وعسى ألا يكون ذلك – على آثاري ، فقلت أخاطب الثلاثة الولد ، وثمرات الخلد ، بعد الضراعة إلى الله في توفيقهم، وإيضاح طريقهم،

(٣) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٢٦٥ وما بعدها.

(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي – شوقي ضيف – صـ ٣٣٤.

(١) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٢٨٢، ٢٨٣.

وجمع تفرقهم ، وأن يمن علي منهم بحسن الخلف ، والتلافي من قبل التلف ، وأن يرزق خلفهم التمسك بهدى السلف ، فهو ولى ذلك ، والهادي إلى خير المسالك). [٢]

ويركز الوالد في وصيته على أمور مهمة منها الدعوة إلى الإيمان بالله وطاعة رسوله ومحبته ومحبة أصحابه وأوليائه كما يؤكد لهم أهمية التمسك بأهداب الدين والتمسك بكتاب الله والعمل بما جاء فيه كما يهتم بوصية أبنائه بالالتزام بأركان الإسلام وفرائضه ويعددها واحدة تلو الأخرى ، كما نجده بعد أن أوصاهم بالتمسك بأركان الدين وإقامة شعائره يوجههم إلى أهمية العلم مبينا فضله ومكانته مؤكدا رأيه بما جاء في فضل كتاب الله، ثم يخص العلوم الشرعية بما تستحقه من التركيز لما لها من أهمية في حياة المرء[٣] حيث يقول: (اعلموا أن بالعلم تستكمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلى محاسنها من الانتقاب ، فعليكم بالعلم النافع ، دليلا بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى اللباب[٤] ، والله عز وجل يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾.[١]

ويتابع ابن الخطيب نصحه لأبنائه في الاتجاه الاجتماعي موجها إياهم إلى أهمية طاعة أولى الأمر والابتعاد عن الفرقة والاختلاف، والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة والتحذير من كل ما يغضب الله ﷻ بل يحثهم على التماس الحلال البين الذي لا تشوبه شائبة ، كما نجده يحثهم على الابتعاد عن الأمراض الاجتماعية المتمثلة في الحسد والنميمة والبخل معززا آراءه بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية ، وبعد أن عالج كثيرا من المشكلات الاجتماعية نجده يلتفت إلى حق الوطن على أبنائه ويوجههم إلى حق الأهل أولا ثم حق الوطن ثانيا ، كما نجده يرسم لهم دستورا ليسيروا عليه وينهجوا نهجه في التعامل مع أعداء

---

(٢) أدب الوصية من الآباء للأبناء (مختارات من وصايا أندلسية مغربية موجهه للناشئة) – جمع وتحقيق/ محمد ابن عزوز صـ ١١٤، ١١٥.

(٣) وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٢٩٢ وما بعدها بتصرف.

(٤) أدب الوصية من الآباء للأبناء – جمع وتحقيق/ محمد ابن عزوز صـ ١٢٢.

(١) الآية رقم (٩) من سورة الزمر.

الإسلام والمسلمين ، ثم يختتم لسان الدين بن الخطيب وصيته معترفا بطولها ومؤكداً أهميتها وقيمتها وموجها أبناءه إلى أن التزامهم بما جاء فيها ، وتطبيقهم لتعاليمها سيؤدى إلى سعادتهم في الدارين ، وأن تفريطهم بها وإهمالهم لها سيورثهم الهلاك والدمار[٢] حيث يقول: (هذه -أسعدكم الله- وصيتي التي أصدرتها ، وتجارتكم التي لربحكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها وبقدر ما أمضيتم من فروعها ، واستغشيتم من دروعها ، اقتنيتم من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعتم لآليها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواعث الندم ، ومهما سئمتم إطالتها ، واستغزرتم مقالتها ، فاعلموا أن تقوى الله فذلكة الحساب ، وضابط هذا الباب ، كان الله خليفتي عليكم في كل حال).[٣]

ومن أبرز كتابات الآباء للأبناء والتي لم يغفلها المؤرخون و لم يهملها المحققون وصية أبي الوليد الباجى لولديه محمد وأحمد في حال الصغر وقبل البلوغ، وهى وصية مشهورة عنى بها في هذا العصر الأستاذ (إبراهيم باجس عبد الحميد) وقام بجمعها وتحقيقها وأصدرها تحت عنوان (النصيحة الولدية) وقد افتتح أبو الوليد الباجى وصيته بمقدمة أوضح فيها الغاية من هذه الوصية إذ قال: (يا بني هداكما الله وأرشدكما ووفقكما وعصمكما ، وتفضل عليكما بخير الدنيا والآخرة ، ووقاكما محذورهما برحمته ، إنكما لما بلغتما الحد الذي قرب فيه تعيُن الفروض عليكما وتوجه التكليف إليكما ، وتحققت أنكما قد بلغتما حدَ من يفهم الوعظ ، ويتبين الرشد ، ويصلح للتعليم والعلم ، لزمني أن أقدم إليكما وصيتي ، وأظهر لكما نصيحتي ، مخافة أن تخترمنى منية و لم أبلغ مباشرة تعليمكما وتدريبكما)[١] ، وقد قسم الوالد وصيته إلى قسمين حيث يقول: (وتنقسم وصيتي لكما إلى قسمين فقسم فيما يلزم من أمر الشريعة ، أبين لكما منه ما يجب معرفته ، ويكون فيه تنبيه على ما بعده ، وقسم فيما يجب أن تكونا عليه في أمر دنياكما ، وتجريان عليه

(٢) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٢٩٦ وما بعدها.

(٣) أدب الوصية من الآباء للأبناء – جمع وتحقيق/ محمد ابن عزوز صـ ١٢٩.

(١) النصيحة الولدية (وصية أبى الوليد الباجى لولديه) – تحقيق/ إبراهيم باجس عبد المجيد – صـ ٩.

بينكما)[٢] وقد اشتمل القسم الأول من هذه الوصية على حثه لهما على طاعة الله ورسوله وحفظ كتاب الله والتمسك بسنة نبيه ، والمحافظة على أركان الإسلام وأدائها ، وتوقير العلماء ، وطلب العلم والحث عليه ، والتفقه في الدين ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، كما أمرهما بالالتزام بالصدق والأخلاق الحميدة ، وبُعدهما عن الأخلاق المذمومة التي تغضب الله تبارك وتعالى ، أما القسم الثاني من الوصية فقد رسم الباجى لولديه منهج السلوك الذي يريد أن يسلكاه في حياتهما ، وقد اشتمل هذا القسم على كثير من الأخلاق المبنية على تعاليم الدين الإسلامي ومنها إكرام الأخ لأخيه وعطف الكبير على الصغير ، والحث على صلة الرحم ، والوصية بالجار والصبر على أذى الناس ، ولزوم الجماعة ، والتوسط في الأمور ، إلى غير ذلك من الأخلاق النابعة من روح الدين الإسلامي الحنيف ، وكما افتتح أبو الوليد الباجى وصيته لولديه بمقدمة ضافية فقد اختتمها بخاتمة جامعة نافعة ترجم فيها إيمانه بأن الإنسان ميسر لما خلق له وأن دور الآباء في التربية والتنشئة ما هو إلا بلاغ وأخذ بالأسباب ، وأنهم لا يملكون لأبنائهم شيئاً ، أما الهداية الحقيقية فمرجعها ومردها إلى الله وقدرته وإرادته[٣] إذ يقول: (وإني لأوصيكما وأعلم أني لا أغنى عنكما من الله شيئا ، إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ، وهو حسبنا ونعم الوكيل) و لم يخل العصر الأندلسي من كتب بأكملها ألفت في هذا المجال ، فقد حفظت لنا المكتبة العربية كتابا ألفه أبو حمو بن يوسف الزيانى ملك تلمسان وأسماه (واسطة السلوك في سياسة الملوك) وقدمه لولده وولى عهده ليهذبه ويؤدبه.[١]

وهكذا لوحظ وجود هذا اللون الأدبي في جميع العصور وارتباطه بالحياة العامة للأدب في ذلك العصر ، ففي عصور ازدهار الأدب نجده منتشرا بين الأنواع الأدبية المختلفة ، وفي عصور الضعف والانحطاط نجده نادرا كما هو الحال في العصر العثماني فعندما تدهورت حالة الأدب في ذلك العصر وجدنا هذا اللون الأدبي قليل الوجود نادر

(٢) السابق – صـ ١٢.

(٣) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٣١٥ وما بعدها.

(١) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٣٢٨.

الآثار إلا أنه لم يختف تماما بل وجدت له بعض الآثار والتي من أبرزها وصية الإمام شهاب الدين بن محمود بن عبد الله الألوسي لأبنائه والتي كتبها لهم في مرض موته وهى بعنوان (إنباء الأبناء بأطيب الأنباء) وهى وصية مملوءة بالحكم والمواعظ والنصائح الغالية إلى جانب ما أفرغه فيها منشئها من تجاربه الشخصية في الحياة وصراعه مع أصناف الناس في عصره ، وقد ساقها الإمام الألوسي بأسلوب سهل ينم عن إدراكه لطبائع الناس وعنايته الخاصة بتربية أبنائه وتنشئة أبناء الأمة وإعدادهم لتحديات المستقبل.

ولم يختلف منهج الإمام الألوسي في وصيته عمن سبقه فقد بدأ وصيته لأبنائه يحثهم على تقوى الله مؤكدا لهم أنها ملاك الأمر وأنها أقوى الأسباب لصلة العبد بربه كما حثهم فيها على تعلم العلم ولاسيما العلوم الدينية وكما افتتح الإمام الألوسى وصيته بالحث على تقوى الله ختمها كذلك بالحث على تقوى الله ﷻ وعدها ملاك الوصايا.(٢)

وما أن وصلنا إلى العصر الحديث حتى وجدنا هذا اللون الأدبي يتطور تطورا كبيرا ، ويخطو خطوات واسعة ، ويسير على خطى ثابتة ، حتى صار فنا أدبيا له أصوله وقواعده ، وأصبحت الكتابة إلى الأبناء سجلاً حافلاً بالقيم النبيلة ، والمبادئ الأصيلة ، والأسس الراسخة التي سجلها الكتاب في كتاباتهم والتي تعد أساساً متيناً من أسس التربية الحديثة

مصادر الكتابة إلى الأبناء في العصر الحديث

تبين مما سبق أن الأدب العربي القديم قد زخر في عقوده المختلفة بالكثير من نماذج هذا اللون الأدبي فهو ليس جديداً ولا مستحدثاً بل هو فن أدبي قديم انتشر على مر العصور فلم يخل عصر من العصور الأدبية من هذا النوع ، كما لوحظ أن هذا النوع من الأدب شأنه شأن غيره من الأنواع الأدبية الأخرى من حيث التأثر بحالة الأدب في كل عصر يوجد فيه ففي عصور الضعف والانحطاط نجده ضعيفاً ، وفي عصور الازدهار نجده مزدهراً ، ولما كان موضوع البحث متعلقاً بهذا اللون الأدبي في العصر الحديث فلا مناص

(٢) وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٣٦٥ وما بعدها.

من الإشارة في وجازة إلى أمرين في غاية الأهمية أولهما: تحديد بداية العصر الحديث من الناحية الأدبية ، وثانيهما: حالة الأدب في العصر الحديث ، أما عن تحديد بداية العصر الحديث فقد انقسم الأدباء إلى فريقين وقد أجمل الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي أقوال كل فريق في كتابه (دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه) حيث يقول: (والأدب الحديث في مصر والعالم العربي يبتدئ في رأى كثير من الأدباء ببدء العصر الحديث ، أي بالحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م، نظراً لأثرها السياسي والفكري والعلمي ، ولأنها فتحت مجال الصلات بين الغرب والعالم العربي قوية مؤثرة في شعوب العرب جميعاً ، ويؤكد ذلك الكثير من الكتاب: جورجي زيدان في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية" وعمر الدسوقي في كتابه "في الأدب الحديث" ومحمود مصطفي في كتابه "الأدب العربي وتاريخه – الجزء الثالث" وأحمد حسن الزيات في كتابه "تاريخ الأدب العربي" وطه حسين وزملاؤه في كتابهم "المجمل" وفي كتابهم الآخر "المفصل" وممن ذهب إلى ذلك العقاد أيضا في مقالة له ، ذهب فيها إلى أن عصر النهضة في الأدب العربي الحديث يبدأ بالحملة الفرنسية ويشيد عبد الله عنان في بعض كتبه بالحملة الفرنسية إشادة بالغة وكذلك يحيي حقي في بعض مقالاته). [1]

وبعد أن ساق الدكتور خفاجي آراء الفريق الأول من الكتاب والأدباء ذكر أنه ليس من أنصار هذا الفريق بل هو ممن يرى أن الأدب الحديث يبدأ منذ قيام الثورة العرابية عام ١٨٨١م وفي ذلك يقول: (وفي رأيي أن الأدب لم يتغير بعد الحملة الفرنسية عما كان عليه قبلها فضلا عن أنه لا يمكن أن نؤرخ لبدء الأدب الحديث بحادث احتلال أجنبي لبلادنا مهما كانت نتائجه ، وأرى أن أدبنا الحديث يبدأ منذ قيام الثورة العرابية عام ١٨٨١م إلى اليوم ، ففي ذلك الحين ظهر أثر الثورة السياسية والفكرية والأدبية في أدبنا ..... ويؤكد مندور ذلك أيضاً في مقال له نشره في مجلة الهدف ، عدد يونيو ١٩٦٥ ، إذ رأى أن أدبنا الحديث قد ظهر منذ الثورة العرابية)[1] ، وبهذا يمكن أن نعترف بأن ما ينسب إلى الحملة

(١) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه – محمد عبد المنعم خفاجي – جـ١– صـ ٢١ ، ٢٢.

(١) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه – محمد عبد المنعم خفاجي – جـ١– صـ٢٢.

الفرنسية من نتائج سياسية وعلمية إنما هي أمور مبالغ فيها من جهة ، و لم تكن الحملة نفسها تقصد إليها من جهة أخرى.

ومن هنا يتبين لنا رأي كل فريق من الأدباء في تحديد بدايات الأدب الحديث أو ما يسمى بعصر النهضة الأدبية ، وقد بين الدكتور خفاجي السر في تحديد تاريخ الثورة العرابية كبداية للأدب الحديث حيث قال: (إن الأدب الذي ظهر بعد الثورة العرابية يخالف الأدب قبلها ، فبينما كان الأدب قبلها أدباً لفظياً ركيك الصياغة انقلب بعدها إلى أدب أفكار وموضوعات ومناح متعددة في الحياة ، وإلى أساليب عالية تحاكى أروع الأساليب في تاريخ آدابنا العربية)[٢] ويمكن القول بأن الأدب قد مر بمراحل متعددة في طريقه إلى النهضة الحديثة فكان مجيء الحملة الفرنسية أول هذه المراحل إلى النهضة التي بلغت أوج عزها بعد الثورة العرابية.

ومن الملاحظ أن جميع النصوص الموجودة لهذا اللون الأدبي – أدب الكتابة إلى الأبناء – تعد بعد الثورة العرابية ، أما عن حالة الأدب في العصر الحديث فعندما نتحدث عنها لابد من الرجوع إلى الوراء لربط الأحداث بعضها ببعض يقول الدكتور شوقي ضيف: (نحتاج في دراستنا لأدب أية أمة من الأمم إلى معرفة الأحداث الكبرى التي أثرت في حياة منشئيه ، لأن الأدب في حقيقته مرآة ناصعة صافية تنعكس عليها مرآة أهله وما تأثروا به من أحداث عامة وظروف خاصة)[١] فعلى مدار القرون الثلاثة التي سيطر فيها الحكم التركي على مصر أصيبت – مصر ومعظم البلاد العربية – بتقهقر وانحطاط في شتى المجالات فقد فرض الأتراك على البلاد نوعاً من الاحتلال هو في حقيقته محاولة لقتل البلاد مادياً وأدبياً ، فقد عملوا على امتصاص كل خيرات الشعب ومصادرة جميع موارده وتعويق أعظم ملكاته ، وفي سبيل تنفيذ ذلك نقل الأتراك من مصر الكثير من العلماء ، والعديد من الكتب والنفائس ، وأهملوا كل إصلاح ، و لم يوجهوا أية رعاية إلى التعليم ،

(٢) السابق – جـ١ – صـ ٢٣.

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر – شوقي ضيف – ط ١٠ – دار المعارف – د . ت – صـ ١١.

وقاموا بإغلاق المدارس بل وهدمها ، وكان من نتائج ذلك أن اضطربت الحياة الاجتماعية وانطفأت شعلة الحياة الفكرية والأدبية والعلمية في البلاد إلا وميضاً ينبعث من الأزهر الذي ظل الملاذ لما بقى من علوم الدين واللغة ، وإن كان يعانى في تلك الآونة كثيراً من الجمود ، وقد ظل الأدب في تلك الفترة يتسم بحالة من التردي والقصور ، ويشهد تحجراً في الحركة الأدبية ، وصار اهتمام الأدباء محصوراً في الصنعة اللفظية ، فأكثروا من المحسنات البديعية ووجهوا لها عناية خاصة ، وحادوا عن قواعد الإعراب ، وابتعدوا عن سلامة التركيب العربي الأصيل ، وزاد الأمر سوء عندما تسربت الألفاظ التركية إلى اللغة الفصحى فانحصرت الفصحى بين طائفة من أهل العلم وشيوخ الأزهر ، مما أدى إلى ضعف الحس بالعربية بين فئات المجتمع ، ومن هنا أصبح الأدب في حالة من السقم تقارب الموت ، وصارت الأعمال الأدبية – شعراً ونثراً – ليس وراءها أي صدق إحساس أو فنية تعبير[٣] ، ويعتبر مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر بداية أسباب اليقظة الأدبية والفكرية (فقد اطلع الشعب المصري من خلال هذه الحملة على بعض وجوه الحياة الأوربية ، ولفتت الحملة المصريين إلى ما أصاب الغربيين من تقدم في العلم)[٤] فقد (كانت الحملة الفرنسية ترمى إلى تكوين إمبراطورية شرقية مستقرة ، لذلك اتخذت العلم سلاحاً ضمن أسلحتها ، وحشدت العلماء جنداً ضمن جنودها)[٢] وكان لاحتكاك المصريين بهذه الطائفة من العلماء الفرنسيين – الذين استقدمهم نابليون – آثاره الايجابية فقد رأوا بأم أعينهم ما وصلت إليه المدنية الغربية في مجالات الحياة المختلفة ، وكان من أبرز آثار الحملة أن (أقام الفرنسيون مطبعة عربية وأصدروا صحيفتين فرنسيتين ونشرة باللغة العربية ، وفتحوا مدرستين لتعليم أبناء الفرنسيين، ومكتبة عامة جمعوا فيها ما حملوه معهم من كتب وما جمعوه من مساجد مصر وأضرحتها ، وكانوا يدعون بعض المصريين إلى

(٢) انظر: تطور الأدب الحديث في مصر – أحمد هيكل – ط ٦ – دار المعارف– ١٩٩٤م – صـ١٧ وما بعدها.

(٣) الأدب العربي المعاصر في مصر – شوقي ضيف– صـ ١٢، ١٣.

(٤) تطور الأدب الحديث في مصر – أحمد هيكل – صـ ٢٥.

مشاهدة ما بها من كتب ، كما كانوا يدعونهم إلى مشاهدة بعض تجاربهم العلميـــة)[1] ، ولعل هذه العوامل كانت هي النواة الحقيقية للنهضة الأدبية الحديثة في مصر.

ولما تولى محمد على مقاليد الحكم في مصر اهتم بالتعليم فأنشأ العديد من المـــدارس الابتدائية والثانوية ، كما اهتم بإرسال البعثات العلمية إلى الغرب حتى يـــتقن المـــصريون اللغات الغربية ، وزاد الأمر في عهد إسماعيل حيث قام بافتتاح قناة السويس (وكان لهـــذا الفتح آثار علمية واضحة ، إذ قربت القناة المسافات المادية بين الشرق والغـــرب، كمـــا قربت المسافات المعنوية بين الشعوب الشرقية والغربية في اتجاهات تفكيرها وحضارتها)[2] وإذا كانت هذه الأسباب والعوامل بمثابة مراحل نمو للنهضة الأدبية الحديثة فـــإن هـــذه النهضة لم تظهر جلية واضحة المعالم (إلا في آخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، حيث كان الاتصال الثقافي بأوروبا ، وحركات اليقظة العربية في كل مكان ، وتـــأثير جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وتلاميذهما ، وزيادة اهتمام العـــرب بالثقافـــة والأدب والتراث القديم ، وانتشار الطباعة والصحافة ودور الكتـــب والمـــدارس والجامعـــات في بلادهم، كان كل ذلك تمهيداً لقيام الأدب الحديث الذي أخذ من الماضـــي والحاضـــر ، وتطلع إلى الشرق والغرب ، وعبر عن ذات البيئة العربية ، وعن نفوس أدبائهـــا تعـــبيراً صادقاً)[3] ومنذ ذلك الحين بدأ الأدب العربي الحديث – بنوعيه الشعر والنثر– في التقـــدم والتطور، فازدهرت فنونه ، وتنوعت واكتست حللاً أسلوبية جديدة لم يعهدها الكتـــاب من قبل كان مصدرها الارتقاء المعرفي والانفتاح الثقافي ، وظهر للنثر – بصفة خاصـــة – فنون جديدة وألوان من التعبير ما كان لأدبنا سابق عهد بها، فظهرت المقالة بأنواعهـــا ، وشهدت الخطابة تطوراً كبيراً ، إلى غير ذلك من الأنواع الأدبية – كالقصة والمـــسرحية والرواية– التي خرجت من وهدة التخلف والركاكة والتحجر وانتقلت إلى طور التجديد والحداثة حاملة بين طياتها نسمات العصر الحديث.

---

(١) تطور الأدب الحديث في مصر – أحمد هيكل – الصفحة نفسها.

(٢) الأدب العربي المعاصر في مصر – شوقي ضيف– صـــ ١٥.

(٣) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه – محمد عبد المنعم خفاجي – جـــ ١ – صـــ ٣٠.

وهكذا ظل النثر في رقيه حتى وصل إلى أعلى درجات الرقى في عصرنا الحاضر على يد طائفة من الأدباء الذين تثقفوا بثقافات مختلفة وكان لهم الفضل في تحسين النثر الأدبي وتطويره ، فقد هجرت هذه الطائفة الزى القديم للنثر إلى زى أكثر ملاءمة لمعانيها وما تريد التعبير عنه.

ويعد أدب الكتابة إلى الأبناء من بين هذه الأنواع الأدبية النثرية التي نهضت نهضة واسعة في العصر الحديث ، فهو في مضمونه امتداد وتطوير لفن الوصايا أو الرسائل الذي عرف في الأدب العربي القديم ولكن بشكل يواكب العصر الحديث الذي كتبت فيه ، فكما حافظت عليه المجتمعات العربية في عصورها المختلفة فقد استمرت عناية الآباء والأمهات به في عصرنا الحاضر ، فنصائح الآباء للأبناء ليست مقتصرة على عصر من العصور ولا فترة من الفترات، كما أنها ليست حكراً على فئة دون أخرى بل هي باب مفتوح لكل من أراد الولوج فيه.

ومن هنا برز هذا اللون الأدبي في العصر الحديث ولكن بصورة أوسع وأشمل مما كان عليه من قبل فقد تطور تطوراً كبيراً وخطا خطوات واسعة نظراً للتقدم والرقى الذي أصاب الحركة العلمية والثقافية والأدبية في هذا العصر والذي تمثل في اتصال العرب بالغرب ، وانتشار المكتبات ، وسهولة الطباعة والنشر ، واتساع إمكانات الكتابة والإبداع ، هذا فضلاً عن الأثر الفعال الذي تركته حركات الإصلاح سواء الحركات الدينية أم الحركات السياسية أم الاجتماعية في حياة المجتمعات العربية ومفاهيمها كما أن التكنولوجيا المعاصرة وتطور أساليب الاتصال المباشر وغير المباشر قد تركت آثاراً متباينة في أساليب التربية والتعليم ، مما نحى الدور الأساسي الذي كانت تقوم به الأسرة في تربية الأبناء وتعليمهم و لم تعد الأسرة ترتكز في أعرافها وتقاليدها وأخلاقياتها وأنماطها السلوكية على ما تناقله الأجيال منذ انبلاج نور الإسلام حتى اليوم ، وقد تأثرت علاقات أفراد الأسرة الواحدة تبعا لقوة التصاق أفرادها أو تأثرهم بتلك المستجدات أو ابتعادهم عنها ، وتأثرت الأسرة في بنائها ومفاهيمها وأهدافها ووسائل تربيتها لأبنائها بكثير من المفاهيم

الغربية والوسائل التربوية الوافدة ، وما من شك في أن كثيراً من الآباء في هذا العصر قد أدرك أن الوسائل التربوية الحديثة ليست كافية لتربية أبنائهم ولا يمكن أن تكون بديلاً عن دور الأسرة في تربية الأبناء وتنشئتهم التنشئة السليمة ، وأنها لا تغنى برغم مسايرتها لروح العصر ومتغيراته الدائمة عن إحياء فن الوصايا الأدبية القديمة ولكن بصورة متطورة تتناسب مع التطور الثقافي والفكري الذي ساد في هذا العصر ، فظهر هذا اللون الأدبي في شكل فني جديد ومضامين جديدة مكتسبة من الثقافة القائمة على دراسة ماضي وحاضر الأمة الإسلامية ودراسة نقدية لاستجلاء مواطن القوة والضعف ، للإفادة من الإيجابيات والتخلي عن السلبيات بما يتناسب مع الحاجات الإنسانية المعاصرة والاستراتيجيات التربوية المناسبة.

وقد نظر كثير من الآباء إلى هذه الوصايا الموجهة للأبناء على أنها عمل إبداعي يحرص على تحقيق المواصفات الإبداعية الفنية ، ويحتاج إلى موهبة ودراية ، لأنها أصبحت اختزالاً للثقافات والمفاهيم والقيم والطموحات المستقبلية ، وليست مجرد حكمة مختصرة أو وصية قصيرة أو رسالة محددة يرسلها الأب إلى الابن ليعالج بها قضية أو مشكلة اجتماعية خاصة كما كانت من قبل في العصور الأدبية القديمة [1] ، بل أصبحت في هذا العصر تستوعب فى بعض الأحيان كتباً بأكملها من أولها إلى آخرها مُعَنونة بأسماء مختلفة تدل على أنها تخص ابن الكاتب أو ابنته وأحياناً تسمى بأسماء الأبناء المقدمة لهم هذه المؤلفات ، وعلى الرغم من خصوصية معظم هذه المؤلفات بأبناء الكُتاب إلا أننا نجد بعض الآباء يقدمون هذه المؤلفات إلى أبناء الجيل عامة ليعم النفع وتكثر الفائدة.

ولقد كان لهذا النوع الأدبي نصيبٌ موفورٌ من الاهتمام في هذا العصر ، فقد انتشر بين عدد من الكتاب والأدباء المرموقين الذين قدموا فيه أروع النصائح وأجمل الوصايا التي يستجلي القارئ من خلالها شخصية كل كاتب ومدى ما وصل إليه من ثقافة فكرية تتناسب مع العصر الحديث ، فهو يعد وسيلة للتعبير عن الذات وما يتصارع في أعماقها

(١) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٣٧٥ وما بعدها.

من طموح ونزوات ، وما تنفعل به من هموم ومسرات ، بل إن هذا اللـــون الأدبي يعـــد تجسيداً لانفعالات ووجدان الأديب أو الكاتب وصورة لنفسه بكل ملامحها وظلالها فكثيراً ما يصف الكاتب فيه حالة عصره ونفسه ويتحدث عن مصائر الناس ومعاشهم وأحلامهم ومشكلاتهم ويروى أخبار مجتمعه بكل أمانة دون زيف أو خداع ، وربما كان من أهم ما يتميز به هذا اللون الأدبي ما قد يتطرق إليه الكاتب من المقارنات بين واقعه حيث يقـــيم وواقع الآخرين حيث يعيش المرسل إليه ، أو بين زمنه الذي عاش وتربى فيه وبين الـــزمن الذي يعيش فيه الأبناء وهو ما يزخر به هذا النوع من الكتابات ، كما يسجل فيه الكاتب من الأمور الشخصية ما لا يمكن البوح عنه في أي من كتاباته الأخرى ، فهو يعد نوعاً من الفضفضة عما في الداخل أهم ما فيها أن الذي يتلقاها هو فلذة الكبد وثمرة الفؤاد ، ومن هنا تكمن أهمية هذا اللون الأدبي.

بالإضافة إلى أن كتّاب هذا اللون الأدبي في العصر الحديث بصفتهم آباء حريـــصين على مصلحة أبنائهم يعتبرونه إحدى الوسائل التربوية والأخلاقية التي حاولوا من خلالـــه غرس الكثير من القيم والآداب في نفوس الأبناء ، فهو ترجمـــة لعنايـــة الآبـــاء بأبنـــائهم ورعايتهم لهم مهما بلغت أعمارهم ومهما كانت مراكزهم ، لأنهم يشعرون دائماً بحاجة الأبناء إلى الرعاية والاهتمام وعدم استغنائهم عن النصح والإرشاد والتوجيه. [1]

ولا ريب في أن الكلمة الموجهة من الوالد لولده يكون لها بالغ الأثر فهي (تـــصور المشاعر الأبوية الصادقة ، وتجسد الحب الخالص الذي يكنه الآباء لأبنائهم، وتترجم كـــل ذلك بكلمات يملؤها الصدق والمحبة ، ويجللها الشوق والحنين، ويغلفها الأمل والرجاء) [2] حتى ولو كان الأب عاديا بسيطا ولم يكن أديبا أو كاتبا مشهورا فعاطفة الأبوة وحـــدها كفيلة بأن تقدم أجل الوصايا لأنها (تصدر عن المنطقة المعتدلة لمبدعيها)[1] بمعنى أن الوصية التي يقدمها الوالد لولده مهما كانت بسيطة وخالية من العناصر الفنية والجمالية التي يتقنها

(١) انظر مقدمة: رسائل الآباء إلى الأبناء في الأدب العربي – محمود شاكر سعيد.

(٢) رسائل الآباء إلى الأبناء في الأدب العربي – محمود شاكر سعيد – صـــ ٧.

(١) مقدمة: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد.

الأدباء لكنها تتمتع بعاطفة إنسانية لا مجال للشك في صدقها وقوتها ونبل بواعثها، لـــذلك نجد بعض كتاب هذا اللون الأدبي يتمنى أن لو قدم كل أب لولده أوراقاً ســـجل فيهـــا لقطات من حياته حتى يضعها الولد أمام عينيه لتكون نبراساً يهتدي به في حياته (ويا ليت كل أب مضى إلى ربه خلف لنا ولو قصاصة من الورق قال لنا فيها: هذه طريقـــي الـــتي مشيت فيها إلى المدفن ، فلا شيء أحنى وأكرم من عاطفة الأبوة ، وليست وصايا أفلاطون أو سقراط أو من أتى بعدهما بأعز علينا من وصايا الآباء والأجداد وإن كانت بسيطة ، أو صدى في جناح جبل من جبال الجزيرة العربية ، ليت الطريق الطويل التي تزاحمت عليهـــا ملايين البشر من الرجال العاديين البسطاء عبر الزمن ، تساقطت من جيوبهم خبرتهم بالحياة ولو أوراقاً ذابلة لنلتقطها ونقرأها لنرى كيف فكر وكيف عانى وكيف عاشر أطفاله وربة بيته ...).[٢]

ومن هنا فقد أدرك كثير من الآباء قيمة تقديم الوصية لأبنائهم لما لها من أثر كبير في نفوس الأبناء لذا فقد اتخذها بعض الآباء إحدى وسائل التربية الحديثة التي يمكن الاستعانة بها في تنشئة أبناء العصر الحديث ، ولعل هذا الأمر يعد من أهم المميزات التي يتميز بها هذا اللون الأدبي على سائر الألوان الأدبية الأخرى إذ هو بجانب كونه عملاً أدبياً يعد عمـــلاً تربوياً وأخلاقياً.

(٢) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجري –صـــ ١٩.

أنواع الكتابة إلى الأبناء في العصر الحديث وأبرز روادها

بعد هذه الإشارة إلى أهمية هذا اللون الأدبي في العصر الحديث فإنه يمكن التعامل مع كتابات الآباء للأبناء على أنها لون أدبي مستقل له شخصيته وقد أكد ذلك الدكتور محمود شاكر سعيد في كتابه رسائل الآباء إلى الأبناء في الأدب العربي حيث يقول عن كتابات الآباء للأبناء إنها (يمكن أن تمثل نوعاً أدبياً بارزاً بين الأنواع الأدبية بعد أن شهدت ما شهدته في أدبنا العربي من رسوخ التقاليد وأهمية في الأدب والحياة الاجتماعية ، لما لها من قدرة على استيعاب قدر وافر من المعلومات عن موضوع ما أو عدد من الموضوعات التي لا تقف عند حد)[1] لأن دراسته كجزء من فن آخر كالوصايا أو الرسائل يعتبر إجحافاً لحقه وإهداراً لكثير من قيمه الجمالية التي يستطيع الباحث استخراجها عند تحليل نصوصه لذا لابد أن يدرس هذا اللون الأدبي دراسة مستقلة لكي يستطيع الباحث أن يعطيه حقه من الدراسة والتحليل ويستخرج ما فيه من أدبيات وجماليات.

وعلى صفحات هذا المبحث نذكر أن أدب الكتابة إلى الأبناء في العصر الحديث قد أخذ نمطين مختلفين وكان لكل منهما رواده الذين قدموا فيه أروع النصائح والوصايا ، أما النمط الأول فهو (كتابات الآباء إلى الأبناء خاصة) وهو محل دراستنا ، ويندرج تحت هذا النمط شكلين هما (الكتب الكاملة الموجهة من الآباء للأبناء ، الوصايا والرسائل المستقلة) أما النمط الثاني فهو (كتابات الآباء إلى الأبناء عامة) وعلى الرغم من بعده عن محل دراستنا إلا أنه تجدر الإشارة إليه.

وفيما يلي نستعرض بالتفصيل كل نمط على حده مع ذكر أهم رواده ونماذجه.

---

(١) رسائل الآباء إلى الأبناء في الأدب العربي – محمود شاكر سعيد – صـ ٥٠.

النمط الأول

(كتابات الآباء إلى الأبناء خاصة)

يطلق هذا النمط من الكتابة على ما يقدمه الكاتب أو المؤلف أو الأديب من كتابات صبها صاحبها في قالب الوصية الموجهة من الأب إلى أبنائه الشخصيين – أي أبنائه من صلبه – في المناسبات المختلفة من نصائح ووصايا وتوجيهات ورسائل قاصداً بها إفادتهم وتوجيههم لما فيه نفعهم ومصلحتهم ، وهذا لا يمنع أن يكون الكاتب حريصاً في الوقت نفسه على نشر كتاباته على الملأ أو يذكر المؤلف بعبارة صريحة أنه يخاطب من وراء أبنائه الشخصيين أبناء الأمة جميعاً ، كما فعل الأستاذ أحمد أمين حين قدم رسائله إلى ولده لأبناء الأمة قاصداً من ذلك أن يستفيد منها جيل الشباب حيث يقول في مقدمة كتابه: (والمأمول أن ينتفع بها الجيل الحاضر كما انتفع بها ابني .... ولعلى بذلك أكون قد قمت بواجبي نحو أبنائي من صلبي ، وأبنائي من شبان الجيل)[1] ، وكذا هو الحال عند الشيخ عبد العزيز التويجري في كتابه (رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار) ، والدكتورة نعمات أحمد فؤاد في كتابها (رسائل إلى ابنتي) وغيرهما.

كما أن هناك بعض الآباء الذين كتبوا إلى أبنائهم لم يقوموا بنشر ما كتبوه ولكن جاء جمع هذه الرسائل عن طريق الأبناء كما فعل جمال الدين بن أحمد حافظ عوض حيث جمع رسائل أبيه في كتاب يحمل عنوان (من والد إلى ولده) حفظاً من الولد لتراث والده ، كما فعلت ذلك أيضا الابنة شيرين ابنة الأديب حمزة شحاته حيث جمعت الرسائل التي كان يبعث بها أبوها إليها حيث رأت في نشرها (متعة وفائدة لأي إنسان يقرؤها)[2] ، وكما فعلت ذلك أيضا ابنة الأديب يحيي حقي حيث قامت بجمع رسائل والدها التي كان يرسلها إليها وقدمتها في كتاب بعنوان (رسائل يحيي حقي إلى ابنته نهى حقي) وقد أخذ

---

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – ط١ – المكتبة العصرية – صيدا – لبنان – ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م– صـ ٩.

(٢) إلى ابنتي شيرين – حمزة شحاته – صـ ١٥.

هذا النمط من الكتابة حيزاً كبيراً في كتابات الآباء للأبناء ، ولكنه جاء على شكلين مختلفين كما يلي:-

أ- الكتب الكاملة الموجهة من الآباء إلى الأبناء:-

اتجه بعض الآباء الذين كتبوا في هذا اللون الأدبي إلى تقديم وصاياهم لأبنائهم في كتاب كامل يصدره الأب إلى ابنه أو ابنته أو أبنائه جميعاً مقدماً فيه لهم نصائحه وخبراته وتجاربه في الحياة ومناقشاً فيه الكثير من القضايا التي تنفع الأبناء في حياتهم ، وقد كثرت نماذج هذا النوع من الكتابة في العصر الحديث فكان من أولها رسائل الأستاذ أحمد حافظ عوض[1] التي أرسل بها إلى ولده جمال الدين أثناء دراسته في الكلية الأمريكية في بيروت ، والتي جمعها الولد فيما بعد وأصدرها في كتاب سماه (من والد إلى ولده)[2] ويحتوى هذا الكتاب على تسع عشرة رسالة ذات طابع تربوي تعليمي عام بجانب كونها مشحونة بالتوجيه الأبوي والخلقي الرفيع ، وقد ناقش الكاتب في كتابه كثيراً من القضايا المتعلقة بأساليب التربية الحديثة وما لها من أثر في تكوين وبناء الشخصية ، ومن هنا كان هذا الكتاب ذا قيمة كبيرة في مجال التربية فهو (كتاب جيد ، وعلى قدر كبير من الأهمية وذلك بسبب ما يشتمل عليه من أفكار نيرة عميقة ، ومعارف دقيقة ثمينة ، وعواطف زكية نبيلة ، وكذلك بسبب ما يتمتع به من لغة رفيعة جميلة ، وأسلوب بياني أنيق ، وهيكل فني حي ، وهو ما يدخله في عداد الكتب التربوية الأدبية الممتازة).

وكذلك من أوائل ما كتب من هذا اللون الأدبي في العصر الحديث الرسائل التي كتبها الأديب الفلسطيني (خليل السكاكيني)[3] والتي قدمها لولده سرى الذي كان يتم

---

(١) أحمد حافظ عوض ، كاتب مصري ومن كبار الصحفيين ، ولد عام ١٨٧٧م ، وعمل مترجما عن اللغة الانجليزية ، ثم كاتبا في جريدة المؤيد ، وأصدر مجلة الآداب ، عمل سكرتيرا خاصا للخديوي عباس الثاني ، ثم أصدر جريدة كوكب الشرق اليومية والتي استمرت زهاء ٢٠ سنة ، عين في مجلس الشيوخ مدة ، وكان من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، توفى بالقاهرة عام ١٩٥٠م ، من مؤلفاته (فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت في مصر ، اليتيم، من والد إلى ولده ، وغيرها)

(٢) من والد إلى ولده (رسائل في التربية والتعليم والآداب) - أحمد حافظ عوض - ت/ سعيد المقداد - مؤسسة الوحدة - ١٩٨٦م.

(٣) هو خليل قسطندي السكاكيني من مواليد القدس عام ١٨٧٨م، منح اسمه وسام القدس للثقافة والفنون ، تخرج في الكلية الإنكليزية عام ١٨٩٣م عمل في التدريس والصحافة ، عين مفتشاً عاماً للغة العربية في إدارة معارف فلسطين ، انتخب عضواً في كل من

دراسته في أميركا ، وقد صدرت هذه الرسائل في بعض أجزاء من كتابه (يوميات خليل السكاكيني) فقد خص المؤلف ثلاثة أجزاء من هذا الكتاب جمع فيها رسائله لولده تحت عنوان (بين الأب والابن رسائل خليل السكاكيني إلى سرى في أميركا) وهو عبارة عن مجموعة رسائل كتبها إلى ابنه الوحيد سري من منطلق الأبوة المشتاقة والحريصة على إرشاد الابن في الغربة ، لكنه كان هادفاً لأن تكون رسائله منبراً متميزاً يرشد من خلاله الأجيال الصاعدة لأبناء وطنه ، فقد كان سري ابنه وابن وطنه في آن واحد.

ومن أبرز نماذج هذا اللون الأدبي في العصر الحديث الكتاب الذي صدر في أوائل الخمسينيات للكاتب والمفكر الموسوعي الأستاذ أحمد أمين [1] وعنوانه (إلى ولدي)[2] وهو مجموعة رسائل كتبها صاحب (فجر الإسلام) إلى ولده الذي ذهب لطلب العلم في إنجلترا، وهذه الرسائل كانت في بدايتها عبارة عن سلسلة مقالات كانت تنشر في مجلة الهلال ثم جمعها المؤلف في كتاب فيما بعد ، ويحتوى هذا الكتاب على ثماني عشرة رسالة وجه منها ست عشرة رسالة إلى ولده ، وواحدة إلى ابنته ، والرسالة الأخيرة هي رسالة من الولد إلى والده يرد فيها على رسائل والده ، وقد حرص أحمد أمين على أن يقدم لولده خلاصة تجربته في الحياة ، ويبثه بعضاً من همومه ، ويحكى له كثيراً من المشاهد التي

المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بعد النكبة انتقل إلى القاهرة وعاش هناك حتى وفاته ، توفي في مصر عام ١٩٥٣م ، من أعماله: (الاحتذاء بحذاء الغير ، النهضة الأرثوذكسية في فلسطين ، فلسطين بعد الحرب الكبرى ، مطالعات في اللغة والأدب ، الدليل في تعليم اللغة العربية ، كذا أنا يا دنيا ، يوميات خليل السكاكيني) نشر بعد وفاته.

(١) ولد أحمد أمين بالقاهرة عام ١٨٨٦م لأسرة متواضعة ، كان أبوه "الشيخ إبراهيم الطباخ" فقيهاً فأخذ يلقنه المتون الأزهرية ، وحفظ القرآن الكريم ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية ودرس اللغة الفرنسية ، والتحق بالأزهر الشريف لفترة قصيرة ، ثم انتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي ، وبعد تخرجه عمل قاضياً ببعض المحاكم الشرعية لفترة ولكنه انصرف إلى التدريس كأستاذ للغة العربية في كلية الآداب بالقاهرة حتى أصبح عميداً لها عام ١٩٣٩م ، ثم أصبح مديراً للإدارة الثقافية في وزارة المعارف ثم في الجامعة العربية ، وقد منحته الجامعة المصرية درجة الدكتوراه الفخرية في الآداب عام ١٩٤٨م ، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والمجمع العلمي العراقي ببغداد، وكان من أعماله إشرافه على "لجنة النشر والتأليف" مدة ثلاثين سنة وكان رئيساً لها ، له مقالات كثيرة في المجلات والصحف لاسيما مجلة الرسالة والثقافة والهلال وقد جمع معظم هذه المقالات في كتابه (فيض الخاطر) ، توفي أحمد أمين عام ١٩٥٤م بعد أن ترك للمكتبة العربية مؤلفات عديدة كان من أهمها المجموعة القيمة التي تعنى بحضارة الإسلام وهى في عدة مجلدات (فجر الإسلام ، ضحى الإسلام ، ظهر الإسلام ، يوم الإسلام) ومن مؤلفاته في السيرة والنقد والخواطر: (حياتي ، النقد الأدبي ، قصة الأدب في العالم ، إلى ولدى وغيرها).

(٢) إلى ولدى – أحمد أمين – ط١ – المكتبة العصرية – صيدا – لبنان – ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.

رآها في حياته فيقول له في إحدى رسائله (هذه يا بني بعض تجاربي في الحياة وما أكثرها! ولكني أخشى أن أطيل عليك فتمل ، وأحب أن أقدمها إليك جرعة فجرعة لتستسيغها وتتذوقها وتأخذ نفسك بتشربها رشفة فرشفة).[1]

وكذلك من أشهر نماذج الكتابة إلى الأبناء في العصر الحديث كتاب الأديب الأردني يعقوب العودات[2] المعروف بالبدوي الملثم الذي أطلق عليه اسم (رسائل إلى ولدى خالد)[3] وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل التربوية التي كتبها الوالد لولده الوحيد "خالد" الذي غادره إلى بيروت ليلتحق بالجامعة الأمريكية ، وقد استقى الكاتب مادة التربية في رسائله من التراث العربي الإسلامي – على الرغم من أنه مسيحي الديانة – وأضاف إليها ما أملته عليه ظروف بيئته وعصره ، كما أن رسائل البدوي الملثم دارت حول القضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية والأخلاقية التي كانت تشغل باله وبال كثير من الناس في الفترة التي عاش فيها ، كما اهتم فيها الأب بحث ولده على الالتزام بالقيم الاجتماعية والأخلاقية والتربوية ، والالتزام بأهداب الدين الحنيف، كما بين موقفه من بعض القضايا الجوهرية ذات الأبعاد التربوية.

---

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ١٧.

(٢) هو الأديب الأردني يعقوب العودات ، رائد من رواد الفكر والأدب في الأردن ، أديب ومفكر وبحاثة ومؤرخ وقاص ومترجم، من مواليد مدينة الكرك عام ١٩٠٩م وبها تلقى دروسه الأولى ثم انتقل إلى مدينة إربد حيث أنهى دراسته الثانوية ، وعمل في التعليم خمس سنوات ونقل بعدها إلى ديوان رئاسة الوزراء فأمانة المجلس التشريعى ، استقال العودات من وظيفته وعمل مترجماً في القدس عام ١٩٤١م ، ثم ما لبث أن عاد إلى الأردن بعد النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨م وهاجر منها إلى المهاجر الأميركية وأقام بها عامين ونصف العام ولكن الحياة الغربية لم تستهوه فعاد إلى عمان وعين في ديوان المحاسبة واستمر فيها حتى أحيل على المعاش ، وتوفي بها عام ١٩٧١م بعد أن خلف نحو عشرين كتابا مطبوعا منها (إسلام نابليون ، الناطقون بالضاد في أميركا الجنوبية ، أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، رسائل إلى ولدى خالد) وغيرها من المؤلفات الأخرى.

(٣) رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – طبعة دار المعارف بمصر – ١٩٧٠م.

ومن أبرز الأدباء والكتاب السعوديين الذين شاركوا في هذا اللون الأدبي في العصر الحديث الشيخ عبد العزيز عبد المحسن التويجري[1] الذي يعد رائد هـذا اللـون الأدبي في المملكة العربية السعودية فعلى الرغم من أن التويجري كان أحد رجال السلطة في المملكة العربية السعودية إلا أنه كان (واحداً من هؤلاء الذين تتغلب مواهبهم وحبهم للأدب على إغراء السلطة وما تفيض به على أصحابها من شهرة ومجد تجعلهم في غير حاجة إلى البحث عن مجال آخر للشهرة والمجد ، وبذلك استطاع هذا الشيخ المثقف الجاد أن يختزل أفكـاره ورؤاه في كتاباته التي تعد إضافة حقيقية إلى ما قدمته الجزيرة العربية في القرن العشرين من طلائع كتابات أدبية وفكرية).[2]

ومن أبرز الآثار الأدبية التي خلفها التويجري كتابه (رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار)[3] وهو عبارة عن مجموعة رسائل كتبها لولده الذي سـافر لإتمـام دراسـته في الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد استطاع أن يقدم لولده خلاصة تجاربه وخبراته في الحياة ويبين له مدى قلقه عليه وعلى جيل الشباب من سلبيات الحضارة وتطورات العصر ولعل عنوان الكتاب خير دليل على الهدف الذي يقصده المؤلف – حتى لا يصيبنا الـدوار – إذ يختزل هذا المعنى الكبير ما توحي به رسائله من قلق تجاه ما تتركه الحـضارة الحديثـة في نفوس الأجيال الجديدة ، ومن هنا لم تكن رسائله مجرد رسائل شخصية من أب إلى ولده،

---

(١) ولد الشيخ عبد العزيز عبد المحسن التويجرى في حوطة سدير سنة ١٣٣٦هـ ثم انتقل منها إلى المجمعة وعمـره سـت سنوات تلقى الشيخ التويجري تعليمه بكتاتيب القرية ثم بدأ عمله متطوعاً في صفوف جيش الملك عبد العزيز. وقد تقلد التويجري عددا من المهام القيادية بالدولة كان آخرها تعيينه نائبا لرئيس الحرس الوطني السعودي ، كما حصل على عدد من الأوسمة والميداليات ، وقام بالعديد من المشروعات الخيرية داخل المملكة وخارجها. تأثر التويجري تأثراً كبيراً بالمتنبي وبأبي العلاء المعرى وظهر هذا التأثر في كتاباته ، بدأ التويجري في الكتابة بعد سن الستين وأصدر عددا مـن المؤلفـات يتجاوز الخمسة عشر كتابا منها ما هو تاريخي ومنها ما هو أدبي ومن أهم هذه المؤلفات (في أثر المتنبي بـين اليمامـة والدهناء ، حتى لا يُصيبُنَا الدُوار (رسائل إلى ولدي) ، أبا العلاء ضَجَرَ الركب مِنْ عَناء الطريق ، لسُرَاةِ الليـل هَتَـفَ الصباح ، رسائل وما حكته في بيتي) توفي الشيخ التويجري عام ١٤٢٨هـ عن عمر يناهز ٩٥ عاماً.

(٢) مقال بعنوان: (التويجري وفن كتابة الرسائل الحديثة) بقلم د. عبد العزيز المقالح ، المجلة الثقافية ، العدد ١٨٠ ، شهر ذو القعدة ١٤٢٧هـ.

(٣) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز عبد المحسن التويجري – ط٢ – الدار العربية للعلـوم ناشـرون – ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م.

بل كانت خلاصة تفكير عميق مع النفس في تمردها وقلقها ، وصدى لحوار ساخن مع العصر وتداعياته تلك التي وضعت الإنسان –والعربي بخاصة– بين ضفتي نهر اليأس والأمل.

ومما خلف الآباء للأبناء من هذا اللون الأدبي فى العصر الحديث الكتيب الذي ألفه الشيخ محمد إبراهيم شقرة [1] تحت عنوان (أي بني خذ عنى بعضا منى) فقد بين فيه الوالد مدى حبه لولده وحرصه عليه وخوفه على مستقبله كما وجه له فيه العديد من النصائح السديدة والوصايا الدينية والدنيوية بالإضافة إلى عصارة خبرته وتجاربه في الحياة، والتي اعتبرها الأب من خير ما كَتب وسَطَّر خاصة وأنها موجهة إلى قرة عينه وفلذة كبده.

وكذلك من كتاب هذا اللون الأدبى فى العصر الحديث أبو عبد الله فيصل بن عبده الحاشدي[2] صاحب كتاب (رسالة إلى ولدى من تصاحب)[3] وهو عبارة عن مجموعة من النصائح الدينية التي قدمها الكاتب لولده ، وإن كان يتفق مع الشيخ شقرة في أن وجهة كل منهما دينية إلا أن الحاشدي خصص جهده في كتابه إلى موضوع واحد وناقش قضية واحدة وهى (اختيار الصديق) ويظهر ذلك من خلال عنوان الكتاب.

---

(١) وُلِد الشيخ محمد بن إبراهيم شقرة في قرية عين كارم من قُرى قضاء القدس ، عام ١٩٣٤م وفيها تَلَقَّى تعليمه الابتدائي، ثم كانت مِحنَةُ خروجه من أرضه وبلده وهو في سِنِّ الثالثة عشرة مُهاجراً حتى انتهى به وأهله المَطاف في عمَّان البلقاء، فكان لذلك كلِّه أثره في صَقْل نفسه، وقوة شكيمته في الحقِّ. ثم سافر إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف وأكمل به دراسته المدرسيّة ، ثم بدأ دراسته الجامعية ، واندَمَجَ في التيار وكان شديد الوَلَع بقراءة كُتُب ابن تيمية وابن القيِّم، وبعد انتهاء الدراسة في تلك المرحلة التي كانت من أشد مراحل الصراعات الفكرية والحضارية في مصر ، وتأثير تلك المرحلة في صَقْل نفسه للدعوة ، عاد إلى الأردن، ومكث بها فترة ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية لِيَعْمَل مُدَرِّساً في الجامعة الإسلامية، حيث التقى هناك بالعديدين من أهل العلم؛الشيخ عبد العزيز بن باز– رحمه الله– ، والإمام محمد الأمين الشنقيطي، وغيرهم ، مما كان له أعظم الأثر في دعوته فيما بعد ، وكان له من المكانة العظيمة عند الشيخ عبد العزيز ما جَعَلَته – رحمه الله – وبعد العودة من السعودية عمل فى مجال الدعوة فى مساجد عمان وقد لقي فى دعوته الكثير من المحن ولكنه واجهها بقوة واستمر في مسيرة الدعوة ، من مؤلفات الشيخ محمد شقرة (أي بني خذ عنى بعضا منى).

(٢) فيصل بن عبده بن قائد الحاشدى كاتب يمنى معاصر اهتم بالكتابات الدينية ذات الطابع الأخلاقي من مؤلفاته (منتقى الفوائد ، صحيح السنة بتراجم نساء نبي هذه الأمة ﷺ ، رسالة إلى ولدى من تصاحب ، الأخلاق بين الطبع والتطبع).

(٣) رسالة إلى ولدى من تصاحب ، أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدى – ٢٠٠٨م.

و لم تقتصر كتابات الآباء للأبناء على فئة الأدباء والعلماء فحسب بل ظهرت طائفة أخرى من الآباء تشارك بأقلامها فى هذا النوع الأدبى فكان كل منهم يقدم رسائله بما يتناسب مع شخصيته أو مهنته أو موقعه في المجتمع فقد شارك فيها بعض رجال السياسة ورجال الطب إلى غير ذلك مما تجدر الإشارة إليه لأن جميعهم يشتركون في توجيه هذا اللون الأدبي لفئة واحدة وهم الأبناء كما أنهم جميعاً يكتبون بعاطفة واحدة وهى عاطفة الأبوة الحانية تلك العاطفة التي لا تقتصر على طائفة الأدباء فحسب بل يحسها كل الآباء على اختلاف وتفاوت فئاتهم وعصورهم ومجتمعاتهم ، فمن رجال السياسة الذين شاركوا في هذا اللون الأدبي الرئيس محمد أنور السادات[1] الذي عرف عنه اهتمامه بالكتابة والتأليف فقد ألف كتاباً بعنوان (يا ولدى هذا عمك جمال) يخاطب فيه ولده جمال وقد ذكر الوالد في مقدمة كتابه أنه ألف هذا الكتاب عام ١٩٥٧م وكان عمر ولده آنذاك شهرين ، ويعد هذا الكتاب سياسياً إلا أنه صيغ بأسلوب أدبي حيث تناول المؤلف في كتابه كل صغيرة وكبيرة عن ثورة الضباط الأحرار التي حررت مصر من الملكية ونفت الملك فاروق خارج مصر ، كما حَدَّثَ ولده عن حضارة مصر وانتصاراتها رابطاً بين الماضي والحاضر ، كما نجد السادات يكرس الكثير من الحديث في كتابه عن الرئيس جمال عبد الناصر ومعالجته للأمور ودوره الكبير في إنجاح الثورة ، كما تضمن هذا الكتاب الكثير من الذكريات والحكايات كل ذلك بأسلوب شائق وكأنه يخاطب ولده الصغير من ذلك قوله: (إن أول ما تفتحت عليه عيناي يا بني في بلدتنا هو ذلك الحديث الهامس الذي تحكيه لي جدتي – لوالدي– كل ليلة قبل النوم وهو الحديث الذي كنت أعيش عليه طوال

---

(١) ولد محمد أنور السادات بقرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية عام ١٩١٨م ، وتلقى دراسته الابتدائية بمدرسة الأقباط بقرية طوخ دلكه بالمنوفية ، وتلقى دراسته الثانوية بمدرسة فؤاد الأول بالعباسية بالقاهرة ، والتحق بالكلية الحربية وتخرج منها عام ١٩٣٨م وعين في سلاح الإشارة برتبة ملازم ثان ، اشترك السادات في الحركات الوطنية خلال السنوات السابقة للثورة واعتقل وسجن عدة مرات وأبعد عن الجيش ثم أعيد إلى الخدمة عام ١٩٥٠م ، عين رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية حتى عام ١٩٥٦م ، وكان مشرفا على المؤتمر الإسلامي عام ١٩٥٧م ، انتخب رئيساً لمجلس الأمة منذ عام ١٩٦٠م حتى عام ١٩٦٨م ، تولى رئاسة جمهورية مصر العربية عام ١٩٧٠م ، وظل في هذا المنصب حتى اغتياله عام ١٩٨١م له مؤلفات كثيرة منها (البحث عن الذات ، قصة الثورة كاملة ، صفحات مجهولة من تاريخ الثورة، وصيتي ، يا ولدى هذا عمك جمال) كما ألفت فيه كتب كثيرة بعد وفاته.

يومي ، في انتظار قدوم الليل)[1] ، ومن هنا فإن هذا الكتاب يعد سرداً تاريخياً لحقبة من الزمن وفترة من الفترات التي مرت بها مصر ، إلا أن الكتاب قد يدخل في مجال الأدب إذا اعتبرناه سيرة ذاتية فقد تحدث فيه الكاتب عن الكثير من جوانب حياته الشخصية مما يجعله قريباً من الترجمة الذاتية فلم تخل صفحات كتابه من حديث الوالد عن حياته ومراحله المختلفة ومن ذلك قوله: (فقد تركني والدي أنا وأخي الأكبر ، في رعاية جدتي ، لأنه كان يعمل موظفاً بالسودان ، وكانت جدتي رحمها الله لا تتولى أمري أنا وأخي فقط وإنما كانت أيضا تقوم على أمر العائلة بأكملها .. وعلى زراعة المساحة الصغيرة من الأرض التي تمتلكها العائلة)[2] ويتطرق الوالد في حديثه لولده عن شخصية جمال عبد الناصر وما كان يتمتع به من مميزات وما كان له من دور في إنجاح الثورة ولعل هذا يظهر من خلال ذكر اسمه في عنوان الكتاب ، وعلى الرغم من أن هذا العنوان ليس دقيقا كل الدقة فهو يوهم بأنه ترجمة للزعيم ووصف لحياته ، ولكنه فى الحقيقة يسلط الضوء على الثورة ورجالها فكان من الأولى أن يسميه (يا ولدى هذه هي قصة الثورة ورجالها) ولا يقصره على شخصية واحدة ، ولما كان الكتاب موجهاً من الوالد لولده كان من الواجب ألا نغفل ذكره بين كتابات الآباء للأبناء في العصر الحديث ، وليس السادات هو أول رجال السياسة الذين قدموا هذا العمل لأبنائهم بل نجد في اللغة الهندية كتاب (لمحات من تاريخ العالم) الذي ألفه (جواهر لآل نهرو) وهو عبارة عن (مجموعة لرسائل كان يبعثها نهرو لابنته أنديرا بينما كان يتنقل من سجن إلى سجن في الفترة الواقعة بين أكتوبر ١٩٣٠م وأغسطس ١٩٣٣م)[1] وهو كتاب مترجم إلى العربية ، ويبدو أن السادات قد أخذ فكرة كتابه من كتاب نهرو حيث إن كلاً من الكاتبين يتحدث عن أهم الأحداث التاريخية التي كانت تمر بها بلده في هذه الحقبة ، والتي كان كلاهما من أبرز أبطال هذه الأحداث.

---

(١) يا ولدى هذا عمك جمال – محمد أنور السادات – ط١ – منشورات مكتبة العرفان – ١٩٦٥م– صـ٢١.

(٢) السابق – الصفحة نفسها.

(١) لمحات من تاريخ العالم – جواهر لآل نهرو (نقله إلى العربية لجنة من الأساتذة الجامعيين) – صـ ٧.

وإلى جانب هذه الكتب التي قدمها الآباء السياسيون لأبنائهم نجد بعض الآباء نهج منهجاً آخر في الكتابة إلى الأبناء كما هو الأمر عند الدكتور سليمان عبد الرحمن الحقيل[1] الذي ألف كتابا تحت عنوان (رسائل من والد إلى ولده يحذره فيها من الوقوع في المخدرات)[2] ، وهذا الكتاب يتكون من إحدى وثلاثين رسالة قدمها الكاتب إلى ولده يحذره فيها من الوقوع في المخدرات – كما هو ظاهر من عنوان الكتاب– وقد ساقها الوالد لولده بأسلوب علمي مبيناً له مدى خطورتها وأضرارها الجسيمة وأنها تعد مرضاً قاتلاً تعود آثاره على الإنسان في دنياه وأخراه ضارباً له الكثير من الأمثلة لأناس سلكوا طريق المخدرات فكانت سبباً في تدميرهم بدنياً وعقلياً ونفسياً ومادياً ، كما نجده يهتم في كتابه بأن يسوق لولده أقوال الأطباء وعلماء النفس في الآثار السلبية التي تسببها المخدرات مدعماً أقواله ببعض الإحصائيات عن الخمر والمخدرات في العالم كله ، إلى جانب ذكره للكثير من القصص الواقعية لأناس صاروا ضحايا الإدمان ، وعلى الرغم من أن الكاتب اتخذ أسلوباً علمياً في هذه الرسائل إلا أنه استطاع من خلاله أن يجعل من المخدرات عدواً فاتكاً يجب على الإنسان أن يحذره ويبتعد عنه مدعماً أقواله بالأدلة الدينية التي تحرم المخدرات ، وبالأدلة الطبية التي تبين مدى خطورتها وآثارها السلبية على من يتعاطاها.

وكذلك من أروع كتابات الآباء للأبناء في هذا العصر كتاب (رسالة إلى ولدى)[3] تأليف داود عبد العفو سنقرط[4] وهو عبارة عن ست وثلاثين رسالة وجهها الأب الحاني إلى ولده بل إلى جميع أبنائه وبناته وقد ذكر الوالد أنه جمع فيها خلاصة دراسته وتجاربه

---

(١) الدكتور سليمان بن عبد الرحمن الحقيل ، كاتب سعودي معاصر ، وأستاذ التربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض اهتم بالقضايا التربوية التي تخص فئة الشباب ، له مؤلفات كثيرة من أهمها (حقوق الإنسان في الإسلام ، حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب ، رسائل من والد إلى ولده يحذره فيها من الوقوع في المخدرات).

(٢) رسائل من والد إلى ولده يحذره فيها من الوقوع في المخدرات – سليمان بن عبد الرحمن الحقيل – ط١– ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٣) رسالة إلى ولدى – داوود عبد العفو سنقرط – ط١– مكتبة الفلاح بالكويت – ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

(٤) داود عبد العفو سنقرط: كاتب أردني معاصر له مؤلفات متعددة في مجالات مختلفة منها (جذور الفكر اليهودي ، القوى الخفية لليهودية العالمية ، الماسونية ، اليهود في الوطن العربي ، العروبة والإسلام ، سبيلي إلى الله ، رسالة إلى ولدى).

وكل عواطفه وأحاسيسه فجاءت أشبه ما تكون بباقة زهر جمعت من كل روضة زهرة فلم يترك الوالد جانباً من الجوانب إلا وكتب فيه فنجد بعض الرسائل دينية وبعضها اجتماعية وبعضها سياسية وبعضها أخلاقية إلى غير ذلك من الموضوعات المتعددة التي تناولها الوالد في هذه الرسائل وتعد رسائله أقرب إلى المقالات الأدبية فقد جعل الوالد لكل رسالة عنوانا يتناول موضوعه تناولاً دقيقاً وكاملاً.

وتعد رسائل منيف الرزاز[1] إحدى كتابات الآباء للأبناء في العصر الحديث وإن كانت تبدو مختلفة عن سائر كتابات الآباء لأبنائهم فهي لا تعدو أن تكون سيرة ذاتية وترجمة شخصية ومذكرات له في مراحل عمره المختلفة كتبها الأب لأبنائه وجمعها الابن في كتاب عنوانه (رسائل إلى أولادي) وهى تنقسم إلى قسمين سلط الوالد الضوء في القسم الأول منها على جوانب كثيرة من حياته منذ مولده مروراً بطفولته ومراحله الأخرى إلى أن وصل إلى الجامعة ، وتحدث في القسم الثاني من الكتاب عن حياته في مرحلة الجامعة وما تلاها من مراحل مبيناً ما كان من أثر لهذه المرحلة من حياته في تكوين شخصيته ، وقد كان الوالد دقيقاً في وصف بعض الأحداث التي مرت به في تلك المراحل المختلفة.

و لم يقتصر دور الآباء على الكتابة إلى أبنائهم الذكور فحسب بل وجدنا بعض الآباء يوجه كتاباته لبناته في شكل وصايا أو رسائل حرصاً منه على مصلحتهن ولكننا نجد أن معظم كتابات الآباء للأبناء وللبنات كانت رسائل شخصية قام البنات بجمعها في كتب فيما بعد ومن أهم هذه الكتب كتاب (رسائل يحيي حقي إلى ابنته)[2] وهو عبارة عن

(١) هو السياسي والمفكر الدكتور أحمد منيف سليم الرزاز ولد في دمشق عام ١٩١٩م ثم انتقل مع أسرته إلى الأردن وهو صغير ودرس بها ، ثم التحق بالجامعة الأمريكية ببيروت لمدة عامين وانقطع عن الدراسة وعمل فترة بالتدريس في عمان ثم سافر إلى القاهرة لدراسة الطب بالقصر العيني ثم عاد إلى عمان بعد تخرجه ليمارس مهنته طبيباً ، اهتم بالعمل السياسي حيث انتسب إلى حزب البعث (فرع الأردن) عام ١٩٥٠م وانتخب أميناً عاماً للحزب سنة ١٩٦٥م، توفى بالعراق عام ١٩٨٤م ودفن بالأردن تنفيذاً لوصيته له مؤلفات عديدة جمعت ونشرت تحت عنوان (الأعمال الفكرية والسياسية لمنيف الرزاز).

(٢) رسائل يحيي حقي إلى ابنته – إعداد/ نهى حقي ، إبراهيم عبد العزيز – تقديم/ نجيب محفوظ .

مجموعة رسائل كان يكتبها الأديب الكبير يحيي حقي لابنته نهى أثناء سفرها وبعدها عنه وقد جمعت نهى رسائل أبيها إليها في هذا الكتاب تخليداً لذكرى والدها ، وتعد هذه الرسائل شخصية يحكى فيها الوالد تفاصيل حياته اليومية ويسرد لها ما يقابله فيها من مواقف دون تورع عن ذكر بعض الخصوصيات في حياته ولعل ذلك راجع لثقته بعدم اطلاع أحد غير ابنته على هذه الرسائل ، أو أن السر فى ذلك يرجع إلى أن الأديب الكبير يحيي حقي أحد الأدباء ذوى النزعة الإنسانية الذين لا يرون بأسا فى البوح والإفضاء والتكشف بما فى مكنون صدورهم على صفحات ما يكتبون ، فهم يعترفون بحقيقة الضعف الإنساني الذي لم ينج منه أحد من الناس ، لذا فإن تلك الطائفة من الأدباء يجدون متعة فى التخفف من مكنون صدورهم وإن كان ثمن ذلك هو الإقرار ببعض عيوبهم ، كما نجد الوالد دائما ما يهتم بأن يورد لها في رسائله بعض آرائه المختلفة في شتى شئون حياته ، ولا يفوته أن يوجه لها بين ثنايا رسائله النصائح التي تنفعها في حياتها العملية ، أما عن لغة الكتابة التي كتب بها الوالد رسائله فقد كثر فيها استعمال اللغة العامية ولعل مرد ذلك إلى أن الوالد كان يعتبر هذه الرسائل نوعا من الدردشة بينه وبين ابنته و لم يكن فى خاطره أنها ستنشر لذا لم يدقق فى اختيار الألفاظ، وإما أن يكون السر فى ذلك هو أن الأديب الكبير يحيي حقي كان معتاداً فى قصصه ومقالاته على دملجة الفصحى بالعامية وإن كان يشترط فى الألفاظ الدارجة التي يستعملها أن تكون ذات أصل فصيح ، ولعله يقصد بذلك إضفاء طابع من الواقعية والحيوية على النص الأدبى حتى يزداد به تقربا إلى متلقيه.

وممن كتب من الأدباء إلى ابنته أيضاً الأديب السعودي حمزة شحاته[1] وقد جاءت رسائله قريبة من رسائل يحيي حقي لابنته فقد كتبها كلا الوالدين لابنتيهما في ظروف أبوية واحدة وهى بُعد البنات عنهما بسبب زواجهن وكما اشترك الأبوان في نفس الظروف تشابهت الابنتان في نفس العمل فقد قامت الابنة شيرين هي الأخرى بجمع رسائل أبيها إليها في كتاب عنوانه (إلى ابنتي شيرين)[1] كما فعلت نهى ابنة الأديب يحيي حقي ، وعلى الرغم من تقارب الظروف الأبوية لكلا الأديبين إلا أن رسائل كل منهما لابنته جاءت مختلفة عن الأخرى فنجد في رسائل حمزة شحاته دفقاً من مشاعر الأبوة الحنون ، والأحاسيس الصادقة التي انطلق الأب في التعبير عنها لابنته من خلال رسائله ، فقد امتلأت بكل ما ينبض به قلبه من الحب ، وبكل ما يهتز له وجدانه من القلق عليها والحرص على مصلحتها ، وقد تعددت موضوعات هذه الرسائل و لم تتوقف عند موضوع معين ، فمرة نجده ينصحها نصائح لحياتها الخاصة ومرة لعلاقتها مع الناس ومرة لعلاقتها مع الأدب ومرة يرشدها لقراءة كتاب ما أو لدراسة سيرة حياة شخص ما إلى غير ذلك من موضوعات الرسائل المختلفة ، وقد اتسمت رسائله لابنته بالخصوصية التي تدل على أنه لم يرد إطلاع أحد عليها سوى ابنته شيرين ، وهو ما أكدته ابنته في مقدمة الكتاب من أن والدها رفض فكرة نشر هذه الرسائل ، ولعل هذه الخصوصية هي التي جعلت الكاتب ينطلق على سجيته وفى عفوية الأب الذي يتحدث إلى ابنته فلا يتكلف الاحتراز من خطأ ، ولا يحرص على التأنق في العبارة ، وعلى الرغم من هذه العفوية في كتابة رسائله نجد أنه

---

(١) حمزة شحاته: شاعر وكاتب سعودي ولد بمكة عام ١٩١٠م وتلقى تعليمه بمدرسة الفلاح بجدة وكان متفوقا في دراسته حيث درس لكبار كتاب التيارات التجديدية والرومانسية العربية التي انتشرت في البلاد العربية آنذاك ، سافر إلى الهند ومكث بها عدة سنوات تمكن خلالها من الإطلاع على الأدب والثقافة الغربيين وكان شديد التأثر بجبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي وجماعة الديوان والتي كانت رافداً أساسياً في تكوين شخصيته الفكرية ونزعته التجديدية ، تقلد عدة وظائف حكومية وعمل فترة بالتجارة ثم هاجر إلى مصر وظل بها حتى نهاية حياته ، وكانت داره في القاهرة ملتقى الأدباء والشعراء ورجال الفكر في عصره ، تزوج حمزة شحاته ثلاث مرات وكانت نهايتهن جميعاً الطلاق وصار أباً لخمس بنات عكف على تربيتهن ، كان حمزة شحاته بعيداً عن مجال الشهرة وكف بصره في نهاية حياته وتوفى بالقاهرة عام ١٩٧٢م ودفن بمكة.

(١) إلى ابنتي شيرين – حمزة شحاته – ط١ – إصدارات إدارة النشر بتهامة – سلسلة الكتاب العربي السعودي – ١٩٨٠م.

يستحيل تقريباً أن تضطرب عنده العبارة أو يضعف السبك أو يتعقد الترابط في تسلسل الجمل أو تلتبس مفاهيم الفكرة

ومما خلف الآباء من كتابات لبناتهن كتاب (رسائل إلى نازك)[٢] الذي ألفه الأديب السعودي سعد البواردي[٣] لابنته نازك ، وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل الصغيرة التي وضع الكاتب كل واحدة منها تحت عنوان يناسب موضوع الرسالة ، ويمكننا تقسيم رسائل هذا الكتاب إلى قسمين أكثر الكاتب في أولهما من الحديث عن نفسه وعن مولده وطفولته وما كان عليه من تمرد عن الطاعة واستهزاء بالرضي وسخرية من اليقين وكفرٍ بالنعمة ، وأخذ يقص على ابنته ألواناً من الشقاوة التي كان يتسم بها في طفولته مروراً بما كان عليه من حال سيئة أثناء فترة التحاقه بالمدرسة والتي كان نهايتها فصله من المدرسة وطرده منها شر طردة ، ثم ينتقل الوالد بالحديث عن ذاته من مرحلة إلى مرحلة ومن فترة إلى أخرى من فترات حياته المختلفة ، وهذه الرسائل التي يتحدث عنها المؤلف عن نفسه يمكن أن يطلق عليها مذكرات شخصية أو لون من الاعترافات ، ثم يبدأ الوالد بعد ذلك في توجيه النصائح المختلفة لابنته ما بين نصائح دينية وأخرى اجتماعية من خلال القسم الثاني من كتابه ، وهكذا يسير سعد البواردي في رسائله لابنته والتي تعد كل رسالة منها موضوعاً مستقلاً يبدى رأيه فيه ويظهر من خلاله نظرته الواعية موجهاً بين ثنايا هذه الرسائل الكثير من الحكم والنصائح التي يتمنى لابنته أن تتمسك بها وأن تسير على هديها يسوق لها ذلك كله في أسلوب أدبي جذاب مكرراً بين هذه النصائح نداءه لها بقوله (يا ابنتي ، يا نازك).

---

(٢) رسائل إلى نازك – سعد البواردي – ط ١ – مطبوعات نادي الطائف الأدبي – د .ت .

(٣) سعد البواردي شاعر وأديب سعودي ، ولد في مدينة (شقراء) عام ١٣٤٨ هـ ، ١٩٢٩ م، عمل في وظائف حكومية متعددة منها عمله في وزارة المعارف بالرياض ، سكرتارية المجلس الأعلى للعلوم والفنون والآداب، الإشراف على إصدار مجلة (المعرفة)، كما عمل في بيروت مستشاراً ثقافياً ، وفي القاهرة ملحقاً إعلامياً ، أنشأ مجلة (الإشعاع) الشهرية ، له عدة دواوين شعرية منها (أغنية العودة – ذرات في الأفق – لقطات ملونة –) ومن أعماله الإبداعية (شبح من فلسطين)(قصة) وله مؤلفات متنوعة منها (أجراس المجتمع – شبح من فلسطين – حتى لا نفقد الذاكرة – رسائل إلى نازك).

ومن هذا النوع أيضاً الكتاب الذي ألفه الأستاذ الدكتور/ محمد رزق طرهـــوني[1] تحت عنوان (هديتي لابنتي عند زفافها) وأهداه لبناته جميعاً وخاصة من اقترب زفافها منهن وهو كتاب كبير جمع فيه المؤلف الأب كل الأمور التي تهم ابنتـــه وقريناتهـــا في حيـــاتهن الزوجية ، ويعد هذا الكتاب من أكبر الكتب التي قدمت من الآباء إلى البنات فقد قـــسمه إلى أربعة عشر فصلاً تناول من خلال هذه الفصول كل ما يخص المرأة وقد ابتدأ كتابـــه بفصل يحمل عنوان (تكريم المرأة) بيَّن فيه مدى تكريم الإسلام للمرأة مقارنة بما كانت عليه من حال في العصور السابقة بل في الديانات الأخرى ، ثم ختم المؤلف كتابه بفصل يحمل عنوان (حقوق المرأة في الكتاب والسنة) ذكر فيه لابنته ما أقرَّه لها الدين الإســـلامي مـــن حقوق، وقد استطاع الوالد أن يجمع لابنته أو لبناته الكثير من الأخلاق الدينية والتربويـــة والاجتماعية في صفحات هذا الكتاب ، كما لم يخل كتابه من معلومات طبيـــة وعلميـــة خاصة حين يحدث ابنته عن مرحلة الحمل والرضاعة وغيرها من المراحل المختلفـــة الـــتي ستواجهها بعد زواجها ، وقد خص الكاتب فصلا من فصول الكتاب جمع فيـــه بعـــض الوصايا والنصائح التي وردت على لسان آباء وأمهات للبنات عند زواجهن قديماً وحديثاً ، ويمكن القول بأن الوالد قد جمع في كتابه جميع القضايا التي تخص المرأة فجعل منه مؤلفه مرجعاً تستطيع البنت أن ترجع إليه في كل أمر قد يلم بها في مستقبل أيامها ، وعلى الرغم

---

(١) هو محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني ولد بالقاهرة عام ١٩٦٠م ونشأ في أسرة علمية بارزة يرعاها والده الذي يعد من كبار الأطباء الجراحين بمصر ، أنهى دراسته الثانوية في مدارس القاهرة ، وكان ذا ميول للعلوم الشرعية وعلـــى وجه الخصوص للقرآن الكريم الذي حصل فيه على شهادة الامتياز للطلبة المتفوقين في مسابقة القـــرآن الكـــريم عـــام ١٩٧٠م بعد حصوله على الشهادة الثانوية التحق بكلية الهندسة بجامعة القاهرة عام ١٩٧٧م وأتم فيها الدراســـة لمـــدة سنتين اهتم خلالها بكثير من العلوم الشرعية عن طريق الاطلاع والدراسة على أهل العلم وتنقل خلال هذه الفترة بـــين مصر والمملكة العربية السعودية واليمن وطلب فيها العلم ، وأتم حفظ القرآن واهتم بالقراءات وبعد سفره تمكـــن مـــن الالتحاق بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ثم التحق بالدراســـات العليـــا بجامعة الأزهر وحصل على الماجستير والدكتوراه في التفسير ودرس التوحيد والعقيدة والأديـــان والفـــرق والمـــذاهب المعاصرة والسيرة النبوية وعلوم اللغة كالنحو والصرف والبلاغة والأدب وحصل على الإجـــازة في الحـــديث والفقـــه والعقيدة ، والتقى بعدد من جهابذة العصر وأساطينه والذين كان لهم أثر في حياته ومنهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وفضيلة الشيخ الألباني وغيرهما. له مؤلفات كثيرة منها: (الصيحة الحزينة في البلد اللعينة، أحكام الـــسترة في مكـــة وغيرها وحكم المرور بين يدي المصلي ، هديتي لابنتي عند زفافها).

مما عرف عن الكاتب من التزامه الديني ووجهته العلمية الدينية إلا أنه مما يؤخذ على كتابه أن الوالد تطرق فيه لأدق تفاصيل الحياة الزوجية باسطاً الحديث عن العلاقة الجنسية غير متورع من ذكر الكثير من الألفاظ التي تخدش الحياء ، وكان من الممكن أن يشير إلى هذه العلاقة بأسلوب أفضل من ذلك الأسلوب الذي استعمله خاصة في الفصل السادس الذي جعل عنوانه (المعاشرة الجنسية) ومن العجيب أن الوالد يعلم تمام العلم أن حديثه في هذا الفصل كان مكشوفاً وصريحاً أكثر من اللازم لذا فقد حذر الوالد من قراءة هذا الفصل لغير المتزوجين حيث يقول في بدايته أنه (خطر ممنوع ممنوع لغير المتزوجين والمتزوجات ، لا أحل قراءته لأيم وهو لمتزوج حل وبل) وكان الأحرى لوالد وصل إلى هذه الدرجة العلمية أن يترفع عن ذكر مثل هذه الألفاظ خاصة إذا كان يقدم كتابه لجيل الشباب والفتيات فضلاً عن أنه يقدمه لبناته ، ولكن من المعلوم أن الوالد كتب ما كتب وقال ما قال تحت ستار (لا حياء في الدين)، ومع ذلك لا يُنكر أن هذا الكتاب قيم في مجمله ومشتمل على الكثير من الآداب ومتعرض لحلول كثير من المشكلات التي تواجه الفتيات في حياتهن الزوجية بل هو من أغزر الكتب المقدمة إلى البنات من ناحية الموضوعات التي تناولها وناقشها و لم يخرج فيه الوالد عن تعاليم الإسلام وآدابه.

ويعد كتاب (رسائل إلى ابنتي)[1] لمؤلفه محمد محمد على الإبشيهي[2] من أبرز ما كتب في هذا اللون الأدبي فقد قدم فيه كاتبه مجموعة رسائل خص بها ابنته وركز فيها على الجانب الديني ومكانة المرأة في الإسلام وما شرعه لها من حقوق وما يضمنه لها الإسلام من سعادة في الدنيا والآخرة ، ثم وضع لها بعض القواعد والأسس التي تضمن لها

(١) رسائل إلى ابنتي – بقلم/ محمد محمد على الإبشيهي – ط٢ – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٢) محمد محمد علي الإبشيهي ، شاعر وأديب مصري من مواليد مدينة طنطا بمحافظة الغربية عام ١٩١٩م التحق بالمعهد الأحمدي الأزهري بمدينة طنطا، ثم قصد القاهرة ، فالتحق بكلية اللغة العربية بالأزهر، حتى تخرج فيها ، وعمل مدرسًا للغة العربية بالمعاهد الأزهرية ، ثم أعير إلى دولة قطر ومكث بها فترة ثم عاد إلى مصر، وتدرج في سلك التدريس حتى صار موجهًا أول للغة العربية بالأزهر الشريف ، توفى بمدينة طنطا عام ٢٠٠٢م بعد أن خلف عددا من القصائد الشعرية التي نظمها في المناسبات المختلفة ، ومن كتاباته النثرية (رسائل إلى ابنتي)

الحياة الزوجية المستقرة ، كما ركز على دورها المهم في تربية أبنائها ومدى تـــأثير الأم في حياة الأبناء ، و لم يقتصر الأب على ذلك فحسب بل ذكر لها بعض الآداب والأخـــلاق التي من الواجب على البنت المسلمة أن تتمسك بها وألا تحيد عنها ، كل ذلك بأســـلوب شائق ولغة رصينة وعاطفة أبوية.

ومن خلال ما سبق يتضح أنه قد (جرت العادة على أن ينصح الآباء الأبناء ، ولكن الأمهات يكتفين بالأمل المرنم في المهد ، والبث الهامس في الرشـــاد ... أمـــا أن تكتـــب الأمهات أحاسيسهن وهى عميقة ، ويصورن مشاعرهن وهى جمة غنية بالألوان ، فـــذلك منهن قليل نادر)[٣] وعلى الرغم من كونه قليلاً نادراً إلا أن بعض الأمهات اللواتي ذاعت شهرتهن في مجال الكتابة شاركن بأقلامهن في هذا اللون الأدبي ، وقمـــن بتوجيـــه أروع الوصايا والحكم لبناتهن ، وقدمن لهن تجاربهن في الحياة ممزوجة بعاطفة الأمومـــة الـــتي لا تدانيها عاطفة فجاءت وصاياهن لبناتهن أو لأبنائهن في قمة الروعة بما حوته من مـــشاعر صادقة قلما نجدها في أعمالهن الأدبية الأخرى.

وتعد رائدة الأمهات في أدب الكتابة إلى البنـــات في العـــصر الحـــديث الأســـتاذة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد[١] صاحبة كتاب (إلي ابنتي) والتى صارت بهذا العمل صـــاحبة أول كتاب من أم لابنتها في العصر الحديث ، ويعد كتابها من أبرز ما كتب من الأمهات

---

(٣) إلى ابنتي – نعمات أحمد فؤاد – ط١ – دار البلسم للنشر والتوزيع – ٢٠٠٦م– صـــ ٨.

(١) ولدت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد بمركز مغاغة محافظة المنيا عام ١٩٢٧م وحفظت القرآن الكريم في طفولتـــها والتحقـــت بالمدرسة الابتدائية لنفس البلدة ، والتحقت بالمدرسة الثانوية للبنات بحلوان ثم التحقت بكلية الآداب جامعة القاهرة وبعـــد تخرجها أعدت رسالتها في الماجستير عن أدب المازني؛ وكانت أول رسالة تقدم للجامعة في الأدب الحديث، كما حـــصلت على الدكتوراه من جامعة القاهرة في الأدب عام ١٩٥٢م وكان موضوعها "النيل في الأدب العربي"، شغلت عدة مناصـــب هامة من أهمها مدير عام المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، وأستاذ الدراسات العليا بجامعة حلوان لمادة فلسفة الحضارة، كمـــا قامت بالتدريس بجامعات دول عديدة: استانبول، جامعة جورج تاون بواشنطن، جامعة طرابلس بليبيا، وجامعـــة الأزهـــر الشريف، وأكاديمية الفنون بالقاهرة، كما أنها كانت عضواً بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية (لجنة العلوم والحضارة) وعضو اللجنة الدائمة للآثار الإسلامية والقبطية، وعضو اتحاد القلم الدولي ، وعضو اتحاد الكتاب المصريين، ولها من المؤلفات الـــتي تقترب من الأربعين كتاباً في الأدب والنقد والسياسة والدين والفن، من أهمها (دراسة في أدب الرافعـــي ، أدب المـــازني، الأخطل الصغير، إلى ابنتي، النيل في الأدب المصري، قمم أدبية، شخصية مصر، خصائص الشعر الحديث) ، وغيرها الكثير.

إلى البنات في العصر الحديث فقد أعطت فيه الأم أجمل ما يمكن أن تعطيه أم لبناتها ، لقد اختارت الأم وسيلة جديدة للتعبير عن حبها لأبنائها حنان وفينان وأحمد حيث فضلت أن تهديهم كتابا من تأليفها لتعبر من خلاله عن المشاعر المتدفقة الصادقة التي انتابتها في اللحظة التي علمت فيها أنها حامل في كل واحد منهم ولحظة الميلاد وعند اختيار الأسماء.

ومن الأمهات اللواتي شاركن في هذا اللون الأدبي أيضاً (نجاة حافظ)[٢] التي ألفت كتيباً بعنوان (رسالة إلى ابنتي – وصية لكل بنت) وهى رسالة وجهتها الأم إلى ابنتها وضمنتها كثيراً من التوجيهات الإسلامية والأخلاقية التي اعتبرتها الأم من الأساسيات التي يجب أن تكون في نفس كل مسلم ومسلمة ، وقد ركزت الأم على دعوة ابنتها إلى التمسك بالعقيدة الصحيحة وإخلاص العمل لله ﷻ والصبر على ما يصيبها وغير ذلك من أخلاق الإسلام حيث تقول: (إن لكل عمل ناجح أسساً وسبلاً يبنى عليها ، وحين نعرضه على ميزانه الذي وضع له ، لابد أن تكون له بعض الصفات حتى يكون مقبولاً).[٣]

ب ـ الوصايا والرسائل المستقلة :ـ

قام بعض الآباء بتوجيه وصاياهم لأبنائهم بطرق متعددة لكنها لم تصل فى النهاية إلى كونها كتبا كاملة كالنوع الأول بل لم تتعد كونها وصايا جاءت متفرقة فى بطون الكتب ، وقد جاء هذا النوع فى ألوان مختلفة فمنها ما قدمه الآباء على شكل رسائل ومنه ما كتب على شكل مقالات موجهة من الآباء للأبناء فى المناسبات المختلفة ، ويعد هذا النوع أقرب فى الشكل إلى كتابات الآباء للأبناء فى العصور القديمة ، ومن الملاحظ أن معظم أصحاب هذا النوع من الوصايا أو الرسائل هم الشخصيات البارزة في المجتمع وكان لكل رسالة أو وصية منها دافعها المختلف عن الآخر ، ونماذج هذا النوع كثيرة لعل من أبرزها وصية

(٢) نجاة حافظ – كاتبة مصرية معاصرة ، اهتمت بالقضايا التربوية ذات الطابع الديني ، لها مؤلفات متعددة منها (أختاه ، رسائل إلى ابنتي).

(٣) رسالة إلى ابنتي وصية لكل بنت – نجاة حافظ – تقديم/ زينب الغزالي– دار الفضيلة للنشر والتوزيع– ٢٠٠٧–صـ ١١

الملك عبد العزيز آل سعود[1] مؤسس المملكة العربية السعودية التي وجهها لولده وولى عهده (سعود) قبل توليه عرش الحكم وقد نهج الوالد فيها طريقة الخلفاء والملوك في العصور الإسلامية الأولى في وصاياهم لولاة العهد من بعدهم فبدأها بحث ولده على التواضع وعدم التكبر على الرعية ثم أمر ولده بأن يعقد نيته على ثلاثة أمور، أولها: النية الصالحة والعمل على إعلاء كلمة التوحيد والاجتهاد في عبادة الله عز وجل والحرص على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن يفعل ذلك كله بعزيمة صادقة ونية خالصة لله تبارك وتعالى ، والأمر الثاني: الاجتهاد في النظر في أمور المسلمين والتزام العدل في الحكم بين الرعية وتحكيم شريعة الله جل جلاله ، والأمر الثالث: النظر في أمور عامة المسلمين والعمل على إرضائهم والنصح لهم ، واختتم الوالد وصيته لولى عهده بتوجيهه إلى الاهتمام بالعلم والعلماء حيث قال (أوصيك بعلماء المسلمين خيراً ، احرص على توقيرهم ومجالستهم وأخذ نصيحتهم، واحرص على تعليم العلم لأن الناس ليسوا بشيء إلا الله ثم بالعلم ومعرفة هذه العقيدة)[1] وهذه الوصية ترسم صورة واضحة للملك عبد العزيز -رحمه الله- واهتماماته وفيها يبدو مدى حرصه على التوجيه الديني والأخلاقي والاجتماعي ورسم المنهج السلوكي لمن يتولى زمام الملك من بعده سواء أكان ولى عهده أو من يلي الحكم من أولاده الآخرين فيما بعد ، وقد جاءت هذه الوصية على غرار وصايا الخلفاء لولاة عهودهم في العصور القديمة.

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ، ملك المملكة العربية السعودية الأول ومنشئها ، ولد في بلاد نجد (الرياض حالياً) عام ١٨٧٦م خرج مع أبيه بعد مطاردته من عدوه ابن رشيد واستقر معه في الكويت وشب فيها وشن الغارات على آل رشيد وأنصارهم وخاض الكثير من المعارك حتى استولى على الملك وأعلن توحيد الأقطار الخاضعة له وتسميتها (المملكة العربية السعودية) عام ١٩٣٢م ، وقد اشتهر الملك عبد العزيز بشجاعته وفروسيته وعروبته وتدينه ، وكان خطيباً بارعاً ، وكان يجل العلم ويقدر العلماء ويترلهم منازلهم ، توفى الملك عبد العزيز عام ١٩٥٣ م وقد ألفت في سيرته كتب كثيرة .

(١) وردت هذه الوصية بكتاب: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز - خير الدين الزركلي - ط ٥ - دار العلم للملايين - بيروت- ١٩٨٨م - صـ ١٥٨، ١٥٩ ، بعنوان : الوصية لمن يلي الملك ، كما وردت في كتاب: وصايا العلماء والملوك في حسن السيرة والسلوك - عبد العزيز محمد الأحيدب ، ط١ - ١٤٠٥ هـ - صـ ١٣١، ١٣٢.

ومن هذا النوع أيضاً وصية الملك (محمد الخامس ملك المغرب)[٢] لولده وولى عهده (الحسن) وقد كتب إليه هذه الوصية في الذكرى السابعة والعشرين من مولده ، وقد سجل في هذه الوصية كثيرا من الذكريات التي مرت به في حياته فبدأ يقص عليه مراحل طفولته وكيف أنه حرص كل الحرص على تنشئته التنشئة الصالحة فاهتم بتعليمه القرآن الكريم وغرس في قلبه حب الدين وعزة العروبة والإسلام ، كما ربى فيه الاعتماد على النفس حتى تزدهر شخصيته ويصبح عصامياً قبل أن يكون أميراً، وذكر لولده أنه بجانب اهتمامه بتربيته وتعليمه اهتم بإعداده الوطني والسياسي حتى يؤدى واجبه في ولاية العهد على أكمل وجه ، وقد أخبر الوالد ولده أن هذه التربية قد آتت ثمارها فنتج عنها نجاحه في الحياة ورأى منه والده في أوقات الأزمات ما أقر عينه وأبهج قلبه ، ولا يفوت الوالد في ختام رسالته أن يذّكر ولده بأن مهمته خطيرة وأن عليه أن يتزود بالعلم والمعرفة إلى ما لا نهاية ، وقد ختم الوالد وصيته بقول الله تعالى: ﴿يَا بُنَيِّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[٣] ، ولا شك أن الوصية كلها مستمدة من روح الإسلام وتعاليمه وأخلاقياته ، كما يظهر فيها محافظة الوالد على الطابع العربي ومحاولة غرسه في نفس ولده ، ومما خلف الآباء الملوك من وصايا لأبنائهم في العصر الحديث وصية الملك (حسين ابن طلال)[١] ملك الأردن لولده الأمير (حمزة بن الحسين) وهو يودعه في رحلته المدرسية إذ قال فيها: (يا بني: أوصيك بتقوى الله ، وحب الناس ، وحب الوطن: أما التقوى فلسوف تمنحك الإيمان الذي سيمدك بالقوة وحسن الإدراك في رحلتك الطويلة ، وأما حبك للناس فلسوف يكسبك حب الناس ووقوفهم معك وإلى جانبك ، وأما حبك للوطن فلسوف يمنحك الكرامة والكبرياء ، ويكسبك

---

(٢) الملك محمد الخامس بن يوسف من مواليد عام ١٩٠٩م تقلد العرش في المغرب بعد وفاة أبيه عام ١٩٢٩م وظل به حتى وفاته عام ١٩٦١م.

(٣) انظر: انبعاث أمة – أقوال وأعمال – محمد الخامس ملك المغرب – المطبعة الملكية – الرباط – ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م – صـ١٧١ : ١٧٨.

(١) الملك حسين بن طلال من مواليد عام ١٩٣٥م تقلد الحكم بعد أبيه عام ١٩٥٢م وظل ملكاً للمملكة الأردنية الهاشمية حتى وفاته عام ١٩٩٩م.

رضي الله ، ورضي الناس...)[٢] وقد ضم الوالد في وصيته لولده أغلى ما يمكن أن يحقق للإنسان الحياة المثلى في دنياه وآخرته ، ويبدو من خلال كلمات الوصية أنها جمعت خلاصة فلسفة الوالد وخبرته التي أراد أن يضعها بين يدي ولده راسماً له بها النهج السديد في أخلاقيات الحاكم وعلاقته بالرعية اعتماداً على خلق التسامح والتواضع والمحبة والإيمان والتقوى.[٣]

ومن نماذج هذا النوع أيضا وصية الدكتور فاخر عاقل[٤] وقد أورد هذه الرسالة إميل ناصيف في كتابه (أروع ما قيل من الوصايا)[٥] وهى وصية عظيمة ضمنها الكاتب خلاصة أفكاره وفلسفته في الحياة فبدأها بالحديث عن مرحلة المراهقة ودور الأسرة تجاه الأبناء في هذه المرحلة ، كما ركز فيها على الاهتمام بالعمل وأعلى من قيمته في هذا العصر حيث وصفه بقوله (إنه عصر العمل) بل جعل كل ما سوى العمل من ثروات وأملاك موروثة لا قيمة له بجانب العمل لذا نصحه بأن يولى العمل جل تفكيره وأن يحب عمله فالسعادة لا تأتى إلا بحب المرء لعمله ، ولما كان العمل لا يتناسب مع الكسل فقد حذر الوالد ابنه من الكسل أو التهاون في العمل ، وحثه على الجد والاجتهاد ولا يفوت الوالد أن يذكر لولده أن الإيمان هو دافع العمل وجوهر الخلق ومعيار النجاح ، ثم يسوقه الحديث عن الإيمان إلى الحديث عن الأخلاق الطيبة والتحلي بها ، كما ينصحه بالتسلح بالعلم ، ويختم الوالد وصيته بأمنية تجسد حب الأبوة وحنانها وتبرز عاطفة صادقة ومحبة

---

(٢) نقلاً عن: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٣٩٢.

(٣) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ٣٩٢ وما بعدها .

(٤) الدكتور فاخر عاقل: باحث وعالم سوري حديث من مواليد شمال غرب سوريا عام ١٩١٨م لأسرة اشتهرت بالعلم والثقافة تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارس حلب ، ثم التحق بالجامعة الأمريكية ببيروت حيث درس التربية وعلم النفس ، كما حصل على الماجستير باختصاص علم النفس من الجامعة نفسها ، أما الدكتوراه فقد حصل عليها من الكلية الجامعية بلندن. عين بعدها أستاذاً مساعداً في جامعة دمشق ثم رئيساً لقسم علم النفس ، وله ما يقرب من ثلاثين مؤلفاً في علم النفس من أهمها (أصول علم النفس التربوي وتطبيقاته ، وعلم النفس وعلم التكيف لبشري، ورحلة عبر المراهقة، وسلوك الطفل ، والإبداع وتربيته ، وأسس البحث العلمي في العلوم السلوكية). كما ألف قاموسين هما (معجم علم النفس ، ومعجم العلوم النفسية) ، توفى الدكتور فاخر عاقل بسوريا عام ٢٠١٠م.

(٥) أروع ما قيل من الوصايا – إميل ناصيف – صـ ١٠٠ ، ١٠١.

مخلصة إذ يقول: (متعك الله بالسعادة وجنبك مزالق الحياة ، وعصمك من الزلل ، وجعلك عضواً نافعاً لمجتمعك ، لائقاً بإنسانيتك).[1]

ومن نماذج هذا اللون الأدبي أيضاً وصية الأديبة اللبنانية إدفيك شيبوب[2] لولدها والتي بدا فيها اهتمام الكاتبة بالقضية الوطنية ، فبعاطفة الأم الحنون ، ومشاعر الأم الرءوم أخذت تذكر ولدها بما لوطنه عليه من حقوق تستوجب ألا يبخل عليه بشيء ، وأن يعطيه من شبابه وقلبه وعقله ، بل ويضحى من أجله بدمه إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، وعلى الرغم من صغر هذه الوصية إلا أنها تبرز مدى حب الكاتبة لوطنها وارتباطها به ومحاولتها أن تنقل هذا الحب وهذه المشاعر الصادقة إلى ولدها حتى يكون وطنياً محباً لبلاده ويحقق لها أمنيتها فيه حيث تقول: (يا حبذا يا ولدى هذا الشباب الذي أترقبه فيك وقلبي يضج بالأماني ، حبذا شبابك يطلع غداً على بلادك ، صدراً عامراً بالإيمان بها ، وقلباً يزخر بالبطولة في سبيلها).

وكذلك من وصايا الآباء للأبناء في هذا العصر وصية الشيخ حسنين مخلوف (مفتى الديار المصرية سابقاً)[1] لولده عبد الهادي عندما أوفدته وزارة الخارجية في بعثة دراسية إلى

---

(١) أروع ما قيل من الوصايا – إميل ناصيف – صـ ١٠١.

(٢) إدفيك جريديني شيبوب: أديبة لبنانية معاصرة ولدت عام ١٩١٩ م في بلدة الشويفات وتلقت تعليمها في الكلية الوطنية ، ثم قصدت بيروت حيث درست مدة عامين في الجينور كولدج الأمريكية وتخرجت فيها سنة ١٩٣٤م ، التحقت بالجامعة الأميركية ببيروت وحصلت على ليسانس الآداب قسم اللغة العربية وتابعت دراستها العليا وحصلت على الماجستير من نفس الجامعة عام ١٩٦٩م ، عملت مذيعة في الإذاعة اللبنانية ومقدمة برامج لمدة ثلاثين عاما وتولت رئاسة تحرير مجلة دنيا المرأة ، اهتمت بالقضايا الوطنية وأولت عناية خاصة لشئون الأسرة وكانت تمثل لبنان في عدد من المؤتمرات الدولية ، لها مؤلفات كثيرة منها (ذكرياتي مع جبران ، الحرف الشعبية في لبنان ، الحركة الشعبية في لبنان ، وغيرها) ولها ديوانيين شعريين هما (بوح ، شوق) توفيت عام ٢٠٠٢م.

(١) الشيخ حسنين محمد مخلوف: من مواليد القاهرة عام ١٨٩٠م ، تلقى دروسه في مختلف العلوم على يد كبار الشيوخ في الأزهر ، حصل على الشهادة العالمية من الأزهر وعمل فترة بالتدريس في الأزهر الشريف ، ثم عين قاضياً بالمحاكم الشرعية حتى أصبح رئيسا لمحكمة الإسكندرية في أواخر عام ١٩٤١م ، تدرج في المناصب حتى تم تعيينه مفتياً للديار المصرية عام ١٩٤٥م ، ثم اختير عضواً في هيئة كبار علماء الأزهر الشريف وعضواً لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر وولى رئاسة جمعية البحوث الإسلامية ، توفى عام ١٩٩٠م ، وله مؤلفات كثيرة منها: (أسماء الله الحسنى والآيات الواردة فيها) ، بلوغ السؤل في مدخل علم الأصول ، الدعوة التامة والتذكرة العامة)

الولايات المتحدة الأمريكية لنيل درجة الدكتوراه فكتب له والده هذه الرسالة بمناسبة سفره وقد بدأ رسالته بدعائه لولده أن يحفظه من كل سوء ويقيه كل ضير ، ثم شرع يبين لولده الهدف الذي من أجله غادر البلاد وكيف أنه غرض نبيل ومطلب عظيم يقتضى منه مثابرة وجهاداً وصبراً وعزماً وهمة حتى يحقق ما سافر من أجله ، ثم أخذ يوجه إليه بعض الوصايا كان على رأسها الالتزام الديني والبعد عن إتباع الهوى ، حتى يكون أسوة حسنة لغيره وأن يأخذ من هذه الحياة الجديدة ما هو حسن ويجتنب ما هو قبيح وفى نهاية رسالته يأمره بأن يحافظ على هذه الوصية وأن يتخذها دستوراً له حتى يحقق الغاية التي سافر من أجلها وحتى يحقق الأمل الذي عقده عليه أهله ومحبوه.[٢]

وكذلك من كتابات الآباء للأبناء في العصر الحديث وصية الأستاذ عبد الرءوف الحناوي والتي أوردها في صدر كتابه (بر الوالدين) تحت عنوان (نداء) ، وقد وجهها إلى أولاده خاصة وإلى الأولاد عامة ، وهو يعتبره نداء منه إلى معشر الأولاد بحسن معاملة الآباء والأمهات وبرهم ، فقد بدأ نداءه بالحديث عن نفسه ومدى بره بوالديه ، ثم هو يتمنى من جميع الأبناء أن يسيروا على هذا النهج مختتما نداءه بقول المصطفى ﷺ (بروا آباءكم تبركم أبناؤكم) وبقوله (بروا آباءكم فالحياة دين ووفاء)[٣] فهي تعد وصية دينية قصد الوالد منها حث الأبناء على بر الآباء والأمهات ، وقد ورد في كتاب وصايا العلماء والملوك في حسن السيرة والسلوك لعبد العزيز محمد الأحيدب عدة وصايا تندرج تحت هذا النوع الأدبي الأولى منها جاءت تحمل عنوان (رسالة إلى ابني) للأستاذ محمد عبد الرحمن الشيباني والتي يحث ولده فيها على الاهتمام بالعلوم والمعارف التي يعتبرها غذاء العقل فيريد ولده عالماً وأديباً نافعاً لمجتمعه ووطنه قوياً بأخلاقه وعقيدته وإيمانه[١] وهى تندرج تحت الوصايا التربوية ، ويليها في نفس الكتاب وصية أخرى بعنوان (وصية إلى ولدى) بقلم

---

(٢) انظر: من وصايا الآباء والأمهات للبنين والبنات – جمع وإعداد/ عبد الله بن جار الله الجار الله – ط١– دار المرجان للنشر والتوزيع – المدينة المنورة – ١٤١٥هـ – صـ١١ وما بعدها.

(٣) انظر: مختصر بر الوالدين – عبد الرءوف الحناوي– دار الحرمين للطباعة بالقاهرة – ١٤١٥هـ ، صـ ٩، ١٠.

(١) انظر: وصايا العلماء والملوك في حسن السيرة والسلوك – محمد عبد العزيز الأحيدب – صـ ٨٣ ، ٨٤.

الأستاذ شعبان جبريل عبد العال ، وقد صاغها الكاتب بأسلوب شائق يلفت نظر القارئ، وهى وصية دينية وجه فيها ولده إلى التمسك بالعقيدة السليمة والاهتمام بالعلوم الدينية وعلى رأسها القرآن الكريم كما أوصاه بقراءة كتب التفسير ، وكذلك الاهتمام بالحديث النبوي الشريف ثم ختمها بالحديث عن فضل العلم والعلماء داعماً ذلك بآيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية المطهرة.[٢]

ومما يمكن أن يندرج تحت هذا اللون الأدبي أيضاً ما كتبه الدكتور طه حسين في ختام كتابه الأيام (الذي يتحدث فيه عن نفسه لابنته مقارناً بين حاضرها الرغد وماضيه)[٣] وموجهاً إليها ترجمته الذاتية بأسلوب بارع (يمس القلوب ويثير العواطف بما فيه من سلاسة وعذوبة وصفاء وقدرة على التصوير والتلوين)[٤] ولعل عميد الأدب العربي أراد بذلك ألا يترك لونا من ألوان الأدب دون أن يضع بصمة فيه ، لذا ختم كتابه بكلمات موجهة إلى ابنته يحكي فيها شيئاً من طفولته وصباه حيث يقول: (نعم يا ابنتي: لقد عرفت أباك في هذا الطور من حياته وإني لأعرف أن في قلبك رقة ولياناً وإني لأخشى لو حدثتك بما عرفت من أمر أبيك حينئذ أن يملكك الإشفاق وتأخذك الرأفة فتجهشي بالبكاء).[٥]

وقد كان من عادة الآباء أن يكتبوا لأبنائهم وهم على قيد الحياة إلا أن المنفلوطي والزيات قد كتبا لأبنائهما بعد وفاتهما ، فقد فجع كلاهما بموت ابنيهما في طفولتهما فقام كل منهما برثاء ولده بمقال نثرى ظهر فيه مدى حزنهما على ابنيهما ولوعة الفراق التي أصابت كلاً منهما ، وتعد مقالة المنفلوطي الأقرب للكتابة إلى الأبناء وذلك لأنه وجه الخطاب فيها إلى ولده أما الزيات فقد صاغها بأسلوب آخر وكأنه يوجه الخطاب إلى أحد أصدقائه ويرثى له حاله التي وصل إليها بعد موت ابنه ، وقد جاءت مقالة المنفلوطي في

---

(٢) انظر: السابق – صـ ٨٧ وما بعدها.

(٣) الأدب العربي المعاصر في مصر – شوقي ضيف – صـ ٢٨٥.

(٤) السابق – صـ ٢٨٦.

(٥) الأيام – طه حسين – مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٤م – جـ١ – صـ١٤٦.

كتابه النظرات بعنوان (الدفين الصغير) وقد صاغه الكاتب بأسلوب المخاطبة وكأنه يخاطب ولده وفيه يقول متأثراً لما سقاه من الدواء والموت يقتطع الحياة من بين جنبيه قطعة قطعة (لقد كان خيراً لي ولك يا بني أن أكل إلى الله أمرك في شفائك ومرضك وحياتك وموتك ، وألا يكون آخر عهدك بي يوم وداعك لهذه الدنيا تلك الآلام التي كنت أجشمك إياها ، فلقد أصبحت أعتقد أنني كنت عونا للقضاء عليك ، وأن كأس المنية التي كان يحملها لك القدر في يده ، لم تكن أمَرَّ مذاقاً من قارورة الدواء التي كنت أحملها لك في يدي)[1] وهكذا جاء ت كلمات المنفلوطي مؤثرة بدا فيها حزنه الشديد على ولده ، وتعد هذه المقالة أحد نماذج الكتابة إلى الأبناء في العصر الحديث.

ومن الملاحظ فى هذا النوع من الكتابة – وهو الوصايا والرسائل المتفرقة – أنه يعد نوعاً تقليدياً يكثر الكاتب فيه من النصائح الدينية كتقوى الله ﷻ والتمسك بالأخلاقيات الدينية كالإخلاص والأمانة وبر الوالدين فهي تعد وصايا تقليدية متعارفة اجتماعياً ، وقد نجد بعض من كتب هذه الوصايا أو الرئاسل القصيرة يناقش قضية معينة ولكنه يتعرض لها في عجالة دون أن يتعمق في تحليلها كما هو الحال عند أصحاب الكتب الكاملة.

(١) النظرات – مصطفى لطفي المنفلوطي – ط١ – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – ١٩٩١م – صـ ٦٠.

النمط الثاني

(كتابات الآباء إلى الأبناء عامة)

اتجه بعض الأدباء والكتاب إلى الكتابة وإلى توجيه الوصية مباشرة إلى عامة أبناء الأمة أو الوطن سواء كان المقصود بالخطاب شريحة الشباب أو كان الخطاب موجها إلى الجميع حرصا منهم على أن تعم الفائدة ويكثر النفع ، وهذا النوع يمكن أن نطلق عليه (كتابات الآباء إلى الأبناء عامة) إلا أن هذا النمط من الكتابة يعتبر بعيداً عن مجال الرسالة وذلك لأن من المعلوم فى الدرس الأدبى أن القالب الأدبى أو الشكل الفني للنص له تأثير فى طبيعته ووظيفته وعناصره الفنية ، فاختلاف النمطين من الكتابة يجعل الأول منهما أقرب إلى موضوع الرسالة وأحق بالدرس والتحليل فى إطارها ، ولعل هذه الطائفة من الآباء الذين قاموا بتقديم نصائحهم لأبناء الجيل عامة قصدوا بذلك أن تعم المنفعة لأكبر عدد من الأبناء شأنهم فى ذلك شأن الآباء الذين كتبوا لأبنائهم خاصة ثم قاموا بنشر كتاباتهم حتى يستفيد منها قدر كبير من الأبناء ، وهذا النوع من الكتابة ليس من مستحدثات هذا العصر بل نجده قديماً (منذ أن وضع ابن المقفع كتاب (الأدب الكبير) و(الأدب الصغير) وغيرهما من كتب الآداب العامة التي ينبغي أن يتصف بها الأبناء في سلوكهم وأخلاقهم وتعاملهم مع الآخرين ، ومنذ أن توالت حلقات سلسلة (الحكمة العملية السياسية) التي تناولت (آداب السلوك الفردي والتعامل الاجتماعي) وهدفت إلى بعث الشيم الكريمة ورد الأخلاق اللئيمة (كالتاج في أخلاق الملوك) المنسوب للجاحظ ، وكتاب (العهود اليونانية) لأحمد بن يوسف الداية ، وكتاب (سر الأسرار) لإخوان الصفا ، وكتاب (الحكمة الخالدة) لمسكويه ، وكتاب (السياسة) للوزير المغربي، وكتاب (النهج المسلوك في سياسة الملوك) للشيرازي، ... وغيرها)[1] وعلي هذا النهج سار بعض الآباء في العصر الحديث فأخذوا يوجهون كتاباتهم لأبناء الأمة جمعاء ، راجين أن ينتفع بها الأجيال تلو الأجيال في مستقبل حياتهم.

---

(١) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ٣٩٥ ، ٣٩٦

ومن أشهر ما كتب في هذا اللون الأدبي في العصر الحديث كتيب تحت عنوان (وصايا الآباء للأبناء أو الدروس الأولية في الأخلاق المرضية) الذي ألفه الشيخ محمد شاكر[1] ، يقول المؤلف في مقدمته: (وبعد: فهذه (دروس أولية في الأخلاق المرضية) وضعتها لطلبة العلوم الدينية ، وقد ضمنتها من الأخلاق ما يحتاج إليه طالب العلم في بداية أمره ، حتى إذا وفقه الله للتخلق بها كان مرجواً أن ينفعه الله بعلمه ، وأن ينفع به كثيرا من خلقه)[2] ، وقد اشتمل الكتيب على عشرين درساً ، استهل المؤلف كل درس منها بلفظ (يا بني) وقد تكرر هذا اللفظ كثيراً في ثنايا كل درس حتى أن القارئ لا يشك لحظة في أن هذه الوصايا موجهة لابن المؤلف من صلبه خاصة إذا لم يطلع على مقدمة المؤلف ، وهذا يؤكد لنا أن أهداف هذه الوصايا لا تبتعد عن أهداف (وصايا الآباء للأبناء خاصة) ولا تختلف عنها إلا في الشمولية والعموم واتساع دائرة الجمهور المستهدف الذي توجه إليه المؤلف.[3]

ومن الكتب التي وجهها أصحابها إلى الأبناء عامة كتاب (إلى أبنائي وبناتي خمسون شمعة لإضاءة دروبهم)[4] الذي ألفه الدكتور عبد الكريم بكار وقد ذكر في مقدمته أنه وجه الخطاب فيه مباشرة إلى معشر الفتيان والفتيات مغايرا بذلك مسلك الكتاب في توجيه الخطاب للآباء والأمهات لتهذيب أبنائهم ، ويتكون هذا الكتاب من خمسين رسالة اختار الكاتب تسمية كل واحدة منهن بالشمعة إذ الهدف منها إضاءة الطريق للأبناء.

---

(١) هو الشيخ محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر من آل أبي علياء بصعيد مصر ، ولد في مدينة جرجا عام ١٨٦٦م وتعلم بالأزهر الشريف حيث تلقى العلم على يد كبار الشيوخ في عصره ، ثم عمل في القضاء حتى عين قاضي قضاة في السودان ، ثم شيخا لعلماء الإسكندرية ثم وكيلا للأزهر ، وكان عضوا في هيئة كبار علماء الأزهر ، وكان أحد العلماء الذين شاركوا في ثورة ١٩١٩م توفى الشيخ محمد شاكر عام ١٩٣٩م .

(٢) وصايا الآباء للأبناء أو الدروس الأولية في الأخلاق المرضية – محمد شاكر – ت/ عبد القادر الأرناؤوط – ط١– مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض – ١٤٣١هـ/١٩٩٣م.

(٣) وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد – صـ ٣٩٧ ، ٣٩٨ بتصرف.

(٤) إلى أبنائي وبناتي خمسون شمعة لإضاءة دروبهم – عبد الكريم بكار – ط١ – دار الإيمان بالإسكندرية – ١٤٢٨هـ.

وقد تناول الكاتب من خلال رسائله عدة مجالات كان من أهمها القضايا التي تشغل بال الشباب في فترة المراهقة ، مشيراً إلى الفروق بين الذكر والأنثى وأن لكل دوره في الحياة ، وموجهاً هذه الأجيال إلى الالتزام بمبادئ الدين وآدابه والاسترشاد بما جاء به النبي ﷺ ، كما تطرق الكاتب في بعض رسائله هذه إلى الحديث عن التعليم وأهميته ، مستشهداً في هذه الرسائل بما يناسبها من الكتاب والسنة ، وقد اتسم أسلوب الكاتب بالعموم ليستفيد منها هذا القطاع العريض من المجتمع ، وقد ذكر المؤلف أن هدفه من هذه الرسائل هو الارتقاء بشخصية الأبناء وتقديم العون لهم ، ونقل خبرة جيله إلى جيل الشباب ، راجياً أن تحقق رسائله ثمرتها وهي تفوق الأبناء والبنات في حياتهم العلمية والعملية ، ومن هذا النوع أيضاً كتاب (نبض الحب إلى ولدى) تأليف الدكتور يوسف التركي والذي جمع فيه الكاتب طائفة من النصائح والوصايا مفعمة بالحب الصادق موجهة لفلذات الأكباد لتضئ لهم درب الحياة يقول المؤلف في مطلع كتابه: (إن مشاعر الوالدين تجاه أولادهم ذكوراً وإناثاً مليئة بنبع الحب المتدفق بغزارة ، وهذه المشاعر والأحاسيس تجعل القلب ينبض حباً ورحمة وشفقة ومودة للأبناء والبنات صغاراً وكباراً دون تمييز أو تفضيل لأحدهم على الآخر ، فكلهم في الحب سواء ، وهذه المشاعر الفطرية لا يمكن وصفها كاملة بكلمات أو سطور ، ولكنها مشاعر فياضة بالحب الذي جعله الله في قلوب الوالدين لفلذات أكبادهم وقرة عيونهم).[1]

ومن نماذج هذا النوع من الكتابة إلى أبناء الأمة الكتيب الذي ألفه الدكتور محمد بن عبد الله الدويش والذي يحمل عنوان (يا بني لقد أصبحت رجلاً)[2]، وقد تناول فيه المؤلف مرحلة البلوغ والمراهقة وما يمر به الشاب والفتاة من تحولات وتغيرات في تلك المرحلة محاولا إيجاد بعض الحلول لما قد يواجهه الأبناء والبنات في هذه الفترة من مشكلات وهموم إيمانا منه بأهمية دور الآباء ومسئوليتهم في الأخذ بأيدي الأبناء في هذه المرحلة الحرجة من

(١) نبض الحب إلى ولدى – يوسف عبد الله التركي – صـ ١١.

(٢) يا بني لقد أصبحت رجلاً – محمد بن عبد الله الدويش .

مراحل حياتهم ، وقد صاغ المؤلف كتابه بطريقة جذابة فجعلها على صورة حوار بين ابن وأبيه يقوم الابن بتوجيه الأسئلة إلى أبيه فيقوم الأب بالإجابة عليها .

ومن ذلك أيضا الرسالة التي كتبها الشيخ على الطنطاوي تحت عنوان (يا ابني)[1] ، وهو عبارة عن إجابة لسؤال شاب أرسله إلى الشيخ فما كان منه إلا أن يوجه الإجابة لشباب الأمة جميعاً ، ويتناول الشيخ في هذا الكتيب أو هذه الرسالة مرحلة المراهقة ومدى خطورتها على من يمر بها مستعرضاً أهم المشاكل التي قد تواجه الشباب في تلك المرحلة مع إيجاد حلول لها يجب على الشباب أن يتمسكوا بها وألا يسيروا وراء نزواتهم ورغباتهم في تلك الفترة الحرجة ، كما أن له رسالة أخرى تحت عنوان (يا بنتي).

وكذلك من المؤلفات التي قدمت لبنات الأمة الكتاب الذي وضعته الدكتورة زينب الغزالي الجبيلي والذي يقع في جزءين تحت عنوان (إلى ابنتي) وقد ذكرت في مقدمته الهدف من تأليف هذا الكتاب حيث تقول: (إلى ابنتي المسلمة الواعية ، التي تشتاق إلى عودة الأمة من جديد إلى رحاب الأمن والإيمان في ظل نور التوحيد، واستقامة الطريق ، ومقعد العزة والقيادة والريادة ، إلى ابنتي التي نذرت حياتها لحب هذا الدين ، والدفاع عن قيمه وأصوله، فعاشته سلوكاً في حياتها ، ويقينا في قلبها وضميرها ، وأملاً تحيا من أجله ، إلى ابنتي التي عشت لها مربية وناصحة وداعية ، أبث فيها معالم الإسلام ، وأشرح لها أصول العمل في حقل الدعوة إلى الله ، حتى تستقيم الأمة على دين ربها وتتربى على مائدة قرآنها وسنة نبيها ﷺ ، إلى ابنتي المسلمة الواعية أقدم هذا الكتاب الذي يحمل بعض أنفاسي ، ونبضات قلبي ، ودقات فؤادي ، وهمسات نفسي .. إنه ثمرة من ثمار رحلة العلم التي عشتها في محراب الدعوة ، قرابة الستين عاما داعية وموجهة ، إنه ثمرة من ثمار الحب الذي ملك على نفسي واستولى على فؤادي فأصبحت – بفضل الله – أعيش لهذه الدعوة ،

(١) يا ابني – بقلم/ على الطنطاوي – ط ١– الناشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة – سنة ١٤٠٦ هـ.

وأتنفس من هوائها ، وأشتاق إلى اليوم الذي يمكن الله لها في قلوب أبناء هذه الأمة ، وفى حياتهم ومستقبلهم).[٢]

كما بينت المؤلفة في نفس المقدمة أنها وضعت هذه النصائح والوصايا لتفيد منها بنات الأمة إلى جانب الداعيات في مجال الدعوة إذ يمكن أن يتخذن منها مدخلاً ومرجعاً يوجههن في مجال الدعوة وفى بحث شئون المرأة وقضايا الأسرة إذ قالت في مقدمة كتابها (ولذلك كتبت هذه التوجيهات التي نشرت معظمها في جريدة (المسلمون) تحت عنوان (إلى ابنتي) وهى توجيهات سريعة وقصيرة كتبت على فترات ، لكنها مفيدة إن شاء الله ، وأدعو الله أن تحقق الأمل والرجاء وأن تكون عونا لبناتي العاملات في حقل الدعوة الإسلامية)[١] وقد اشتمل الجزء الأول من هذا الكتاب على موضوعات دينية واجتماعية من أهمها: دعائم البيت المسلم ، آداب النصيحة ، رعاية الطفل ، رسالة المرأة ، الثقة بين الزوجين ، تيسير الزواج ... وغيرها ، كما اشتمل الجزء الثاني على عدة موضوعات تفيد المرأة المسلمة منها: حق اختيار الزوج، تهذيب الأخلاق ،عمل المرأة ، أهداف الأسرة وغيرها ، ومن الكتيبات التي وجهت إلى بنات الأمة رغبة في صلاحهن وتوعيتهن توعية إسلامية قائمة على تعزيز الثوابت الإسلامية في نفوسهن كتيب (ابنتي الحبيبة أنتي المسئولة)[٢] للأستاذة بدرية العزاز ، والذي اشتمل على الكثير من النصائح والوصايا والتوجيهات التي تفيد الفتاة وتساعدها على إقامة صرحها الأخلاقي وعلى تأسيس بنائها الثقافي ، ومما كتب في هذا اللون الأدبي أيضاً رسالة الأستاذ (حيدر قفه) إلى نادية التي صدرت بعنوان (رسائلي إليها) ، ورسالة الأستاذة أمل بنت عبد الله التي وجهتها إلى إحدى طالباتها وصدرت تحت عنوان (إليك).[٣]

---

(٢) إلى ابنتي – زينب الغزالي الجبيلي – ط ١ – دار التوزيع والنشر الإسلامية – ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م مقدمة الجزء الأول.

(١) إلى ابنتي – زينب الغزالي الجبيلي – ط ١ – دار التوزيع والنشر الإسلامية – ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م مقدمة الجزء الأول.

(٢) ابنتي الحبيبة أنتي المسئولة – بدرية العزاز – مكتبة المنار الإسلامية – الكويت – ١٤٣١هـ / ١٩٩٣م.

(٣) ذكرهما الدكتور/ محمود شاكر سعيد في كتابه: وصايا الآباء في تربية الأبناء – صـ ٤٠٢ ، رسائل الآباء إلى الأبناء في الأدب العربي – صـ ٣٩.

وبعد هذا العرض لمعظم ما صدر من كتابات الآباء للأبناء فى العصر الحديث لـــيس فى مصر وحدها بل فى معظم الأقطار العربية تجدر الإشارة إلى أن هناك بعض المؤلفـــات تحمل عنواناً يوحى للمطلع عليها من ظاهرها أنها قريبة الصلة بموضوع البحث ولكنها في الحقيقة بعيدة كل البعد عنه ، ولعل من أهم هذه المؤلفات كتاب (ولدى) للكاتب الكبير محمد حسين هيكل ، فقد كان هذا الكتاب من أوائل الكتب التي قمت بتحصيلها لتكون مصدراً من مصادر البحث ظناً مني أنه يخص موضوع دراستي ، ولكنى وجـــدت أنـــه لا يقترب من موضع البحث إلا بعنوانه فقط، فمادة الكتاب تدور حول أدب الرحلات وقد ذكر المؤلف في مقدمته سر تسمية كتابه بهذا الاسم حيث يقول: (فلو أن هـــذا الكتـــاب نشر من عام مضى لنشر باسم غير اسمه ، ولنظمت مواده على غير نظامها الحاضر ، فإلى عام مضى كان عزمي أن أجعل عنوانه (خلال أوروبا) وأن أرتب مواده على أنه كتـــاب سياحة، وأن أجعل إهداءه إلى زوجي أن كان من أجلها اجتيازنا أوروبا شـــرقاً وغربـــاً وشمالاً وجنوباً ولم يكن عنوان (ولدى) ليدور يومئذ بخاطري أو لتجرؤ أن تخطه يداي)[1] ولكن ظروف وفاة ولده الصغير الوحيد أثناء فترة تأليفه للكتاب هي التي جعلته يضع هذا العنوان تخليداً لذكرى ولده الذي حرم منه منذ طفولته.

أما مادة الكتاب فهي بعيدة كل البعد عن مادة البحث ولا يدخل في باب الكتابـــة إلى الأبناء ، حيث أن الكاتب يحكي فيه ذكرياته خلال رحلاته المتعددة إلى أوروبا ، ومن الجدير بالذكر أن هناك بعض الآباء قدموا لأبنائهم بعض القصائد الشعرية علـــى غـــرار الوصايا الشعرية القديمة موجهين لهم فيها نصائحهم وخبراتهم وتجاربهم على نحـــو هـــذه الكتابات ولكنها وإن كانت مقدمة إلى الأبناء لا تخص موضوع الرسالة لأنه خاص بمـــا كتب إلى الأبناء نثراً وليس شعراً.

(١) ولدى – محمد حسين هيكل – ط٤ – دار المعارف – ١٩٧٨م – صـــ ٧.

مراحل تطور كتابات الآباء للأبناء في العصر الحديث

يدور موضوع الكتاب حول دراسة كتابات الآباء إلى الأبناء في العصر الحديث وهذا يعنى أن النماذج التي تقوم عليها الدراسة لم تكن في فترة زمنية واحدة بل جاءت متفرقة على مدار ما يزيد عن قرن من الزمان منذ مطلع العصر الحديث حتى يومنا الحاضر ، ولعل طول الفترة الزمنية التي صدرت فيها هذه الكتابات جعل هناك تفاوتاً كبيراً في الأفكار والمضامين التي تحتويها تلك النماذج، فمن الطبيعي أن ما كتب في بدايات القرن العشرين لابد وأن يكون مختلفا عما صدر في منتصف القرن نفسه، بل يزداد اختلافا كلما اقتربنا من نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الجديد، وهذا أمر طبيعي لأن تطور البيئة أمر له أثر كبير في تطور هذا اللون الأدبي واختلافه من حيث المضمون ومن حيث الأسلوب ، ولكن طول هذه الفترة الزمنية لم ينتج عنه اختلاف كبير في كتابات الآباء للأبناء على طول الخط بل كان هناك بعض أوجه التقارب في بعض الكتابات كما كان هناك نوع من التأثير والتأثر بين الكتاب المتقدمين ومن تبعهم في هذا اللون من الكتابة ، لذا يمكن القول بأن هناك اتجاهات مختلفة لكتابات الآباء للأبناء اتحد فيها بعض الآباء واختلف فيها البعض الآخر.

ولما كان التطور أمراً طبيعياً في كل شيء وسنة من سنن الحياة كان لابد من ترتيب نماذج كتابات الآباء للأبناء حتى نستطيع أن نلحظ هذا التطور ، ومن خلال التتبع التاريخي لهذا النوع الأدبي في العصر الحديث تبين أن رسائل الأستاذ أحمد حافظ عوض التي أرسلها إلى ولده جمال الدين أثناء دراسته في الكلية الأمريكية في بيروت قد كتبها الوالد إلى ولده قبيل الحرب العالمية الأولى التي بدأت عام ١٩١٤م ومن هنا يثبت أن هذه الرسائل كتبها الوالد لولده فى هذا العام أو قبله بفترة وجيزة مما يدل على أن هذا الكتاب هو أول نماذج هذا اللون الأدبي فى العصر الحديث ، ويؤكد ذلك ما ذكره الدكتور محمد عبد الغنى في حديثه عن رسائل الآباء إلى الأبناء في كتابه (دراسات في الأدب العربي والتاريخ) أن هذا الكتاب وكتاب أحمد أمين (إلى ولدى) أول كتابين لهذا النوع الأدبي في العصر الحديث حيث يقول عن كتاب أحمد أمين: (وقد ذكرني هذا الكتاب بكتاب سبقه

في عالم التأليف العربي ، ومن إنتاج هذا القرن العشرين بعنوان (من والد إلى ولده) للمرحوم أحمد حافظ عوض كما ذكر خطأ في مقدمة كتاب أحمد أمين ، فالكتابان في اللغة العربية لا ثالث لهما)[1] ومن هنا تثبت أولية كتاب أحمد حافظ عوض، وإن كان هناك ملاحظة في كلام الدكتور محمد عبد الغنى حسن فقد ذكر أن هذين الكتابين لا ثالث لهما في هذه الفترة ولكن من خلال التتبع التاريخي لمؤلفات هذا اللون الأدبي لوحظ أنه كان هناك كتاب آخر بعد كتاب أحمد حافظ عوض يسبق كتاب أحمد أمين الذي صدر عام١٩٥١م وهو كتاب (يوميات خليل السكاكيني) – الذي يشار إليه فيما بعد – فقد صدر في فترة الثلاثينيات من هذا القرن ، وهذا يعنى أنه أسبق في الوجود من كتاب أحمد أمين ، إلا إذا كان الدكتور محمد عبد الغنى حسن يقصد أنهما لا ثالث لهما في عالم التأليف في مصر ، وقد عَدّ المؤلف (خليل السكاكيني) ضمن الآباء المعاصرين الذين كتبوا رسائل إلى أبنائهم حيث يقول (ولقد كان من الآباء المعاصرين الذين كتبوا رسائل إلى أبنائهم حفنة من كرام الكتاب منهم المؤرخ جرجى زيدان الذي كتب إلى ولده (أميل) ، والدكتور محمد حسين هيكل ، وخليل السكاكيني الذي كتب إلى ولده (سرى)[2] ، ولعل المؤلف اعتبره من المعاصرين له حيث أن خليل السكاكيني توفي عام (١٩٥٣م) فعده معاصراً له.

ومن هنا يتبين لنا أن كتاب أحمد حافظ عوض هو أول ما ظهر من كتابات هذا اللون الأدبى فى العصر الحديث ويلي هذا الكتاب فى الترتيب الزمني كتاب خليل السكاكيني إلى ولده سرى ، وهذا هو الترتيب الزمني الصحيح لكتاب خليل السكاكيني حيث إنه صدر فى فترة الثلاثينيات من هذا القرن ، فقد كتب الوالد هذه الرسائل لولده الذي كان يتم تعليمه فى أميركا على امتداد العامين ١٩٣٥و١٩٣٧م ، وبهذا يكون أسبق فى عالم التأليف من كتاب أحمد أمين ، ثم جاء بعدهما كتاب (إلى ولدى) للكاتب أحمد أمين فقد قام الكاتب بتأليفه عام ١٩٥٠م والذي كان فى بدايته مجموعة مقالات نشرها

(١) دراسات في الأدب العربي والتاريخ – محمد عبد الغنى حسن – الدار القومية للطباعة والنشر – صـ٦٧.

(٢) السابق – صـ٨٠ ، ٨١.

الكاتب على صفحات مجلة الهلال وهذا ما أثبته المؤلف فى مقدمة كتابه حيث قال: (طلبت إلى مجلة الهلال فى آخر سنة ١٩٤٩ أن أكتب لها سلسلة مقالات بعنوان (رسالة إلى ولدى) تنشر خلال عام ١٩٥٠ ، فأتممتها اثنتي عشرة مقالة ، وجهت فيها نصائحي ونتائج تجاربي إلى ولدى ، وصادف ذلك أن كان لي ابن يتم تعليمه فى انجلترا فاستحضرته في ذهني عند كتابتها).[1]

ويأتي بعد ذلك فى الترتيب الزمني كتاب (إلى ابنتي) للدكتورة نعمات أحمد فؤاد الذي بدأت المؤلفة فى كتابته عام ١٩٥٥م وقصة الكتاب كما ترويها الكاتبة بدأت منذ لحظة معرفتها بأنها باتت علي شفا خطوة من الأمومة ، فبدأت في كتابة ما يطرأ علي بالها من عبارات تعبر عن مشاعرها تجاه جنينها ، وعقب الولادة العسيرة التي ألمت بها ، شعرت بالخواطر تنهال علي رأسها وبخاصة بعد علمها بأن المولودة أنثي ، فطلبت من الممرضة أوراقاً وقلماً وشرعت فى كتابة هذا الكتاب ، وعلى الرغم من أن الكاتبة بدأت الكتابة فيه منذ الخمسينيات، إلا أنه لم يخرج للنور بطبعته الأولي إلا في العام ١٩٨٤، حيث انتظرت لتكتب مشاعرها تجاه ابنتها الثانية «فينان» ، وولدها أحمد.

وما أن جاءت فترة الستينيات إلا ووجدنا كثيراً من كتاب هذه الفترة يشاركون بأقلامهم فى هذا اللون الأدبى ، وكان من أبرز ما كتب فى هذه الفترة كتاب (رسائل إلى ولدى خالد) تأليف البدوي الملثم وهو عبارة عن مجموعة رسائل كتبها الوالد لولده خالد الذي كان يدرس فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، وقد حدد الكاتب فى مقدمة كتابه الفترة الزمنية التي قام بكتابة رسائله فيها حيث يقول: (فى خريف عام ١٩٦٨م التحق ولدى خالد بالجامعة فى خريف عام ١٩٦٨م التحق ولدى خالد بالجامعة الأمريكية فى بيروت فعنَ لي أن أوجه إليه (رسائل) هي فى الواقع خطاب لكل طالب عربي أنى كانت إقامته ، إذ أنظر لكل شاب عربي نظرتي إلى وحيدي (خالد) ، وأتمنى له ما أتمناه لولدي من الخير

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ٨.

والغنم!)[٢] وقد ذكر البدوي الملثم فى تلك المقدمة أن عمله هذا يعد تكملة لسلسلة الرسائل التي سبقتها بأقلام جهابذة وأعلام سبقوه فى هذا المجال وذكر منهم (أحمد حافظ عوض ، وخليل السكاكيني ، وأحمد أمين) وفى ذلك دلالة كافية على أن هؤلاء الثلاثة سبقوه فى عالم التأليف فى هذا المجال ، ولا شك فى أن البدوي الملثم قد تأثر فى رسائله بسابقيه وجاء كثير من آرائه متفقة مع آرائهم فى بعض القضايا التي تناولوها فى كتاباتهم ، كما ظهر تأثره ببعض هؤلاء الثلاثة حيث ساق فى رسائله بعض النصوص التي كتبها السابقون فى رسائلهم لأبنائهم مستشهداً بها على ما يقول.

ومن كتابات فترة الستينيات أيضا الرسائل التي كتبها الأديب حمزة شحاته إلى ابنته شيرين والتي جمعتها الابنة بعد وفاة أبيها وأصدرتها فى مطلع الثمانينيات تحت عنوان (إلى ابنتي شيرين) ، وعلى الرغم من أن الرسائل ليس فيها إشارة واضحة إلى الفترة الزمنية التي كتبت فيها إلا أن الكاتب قد ذكر فى أكثر من موضع فى هذه الرسائل ما يدل على أنه قام بكتابتها فى فترة الستينيات ، ففي إحدى رسائله يتحدث لابنته عن الجهاد وفضله وعلو منزلته ويتطرق الحديث عن حرب فيتنام حيث يقول: (كم كنت أود أن أراك بجانبي فى المعركة .. وأن نحمل السلاح معا كما يفعل الناس فى فيتنام الآن)[١] ومن المعلوم أن تلك الحرب دارت رحاها فى فترة الستينيات ، كما نجده فى نفس الرسالة يتنبأ بالانتصار العظيم الذي تحقق فى حرب أكتوبر التي وقعت فى مطلع السبعينيات حيث يقول: (إن انتصارنا بمشيئة الله محقق ولكن النضال مرير) فهذا دليل على أن الكاتب قام بكتابة هذه الرسائل فى فترة الستينيات وتحديدا فى نهايتها أي بعد النكسة وقبل حرب أكتوبر المجيدة ، فهو يكون بذلك متزامنا مع رسائل البدوي الملثم إلى ولده ، وتأتى بعد ذلك رسائل الأديب الكبير يحيى حقي لابنته نهى فمن خلال التتبع التاريخي لتلك الرسائل والمدون على معظم رسائله يلاحظ أن هذه الرسائل كتبت على فترات مختلفة فمنها ما كان فى فترة الستينيات وظل الوالد يتابع رسائله طوال فترة السبعينيات والثمانينيات.

---

(٢) رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – صـ ١٣.

(١) إلى ابنتي شيرين – حمزة شحاته – صـ ٥٤.

وفى فترة السبعينيات أيضاً وتحديداً فى نهايتها يكتب منيف الرزاز رسائله إلى أولاده وعلى الرغم من أن رسائله ليس بها أية إشارة إلى زمن كتابتها إلا أن ولده قد ذكر فى تقدمته للكتاب أن والده كتب هذه الرسائل وهو فى فترة الإقامة الجبرية التي فرضت عليه هو وعائلته فى بغداد نظراً لمشاركته فى الحياة السياسية حيث يقول: (كان منيف الرزاز يكتب وعين "الرقيب" تترصد كل حركاته وقد كتب هذه الرسالة وهو يتوقع أن يصادرها الرقيب الذي زجه في الإقامة الجبرية، لذلك لا نجد فيها أثرا واضحا للتحليل السياسي)[1] ومن خلال الترجمة الذاتية للكاتب تبين أنه زج به في الإقامة الجبرية عام ١٩٧٩م وبهذا يتضح أن هذه الرسائل كتبت فى نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات أي فى السنوات الأخيرة من حياته حيث أن وفاته كانت عام ١٩٨٤م ، ولعل مادة رسائله وما ذكره فيها من أحداث لخير دليل على أنه كتبها في هذه الفترة.

وقد كثرت المؤلفات فى هذا اللون الأدبي في فترة الثمانينيات فكان في طليعتها كتاب (رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار) تأليف الشيخ عبد العزيز التويجرى فقد ثبت من خلال البحث فى سيرته الذاتية أنه لم يلج أبواب التأليف إلا بعد أن بلغ الخامسة والستين من عمره أي في تلك الفترة وقد نشر هذا الكتاب في طبعته الأولى عام ١٩٨٣م، وقد بدا الكاتب متأثرا بمن سبقوه في الكتابة في هذا اللون الأدبي ، حيث ساق في كتابه بعضا من أقوال أحمد أمين لولده في بعض رسائله.

ومن نماذج هذا اللون الأدبي التي ظهرت فى تلك الفترة أيضا كتاب (رسالة إلى ولدى) الذي ألفه الكاتب داود عبد العفو سنقرط في مطلع الثمانينيات ، ومما ظهر في تلك الفترة أيضا كتاب (رسائل إلى ابنتي) تأليف محمد محمد على الإبشيهى ، ومن كتابات هذه الفترة أيضا كتاب (أي بني خذ عنى بعضا منى) الذي ألفه الشيخ محمد إبراهيم شقرة ، كما ظهرت فى الآونة الأخيرة طائفة من الكتابات التي تدخل فى هذا اللون الأدبى لمجموعة من الكتاب المعاصرين كان من أبرزها كتاب (رسالة إلى ولدى من

(١) رسائل إلى أولادي – منيف الرزاز – تقديم/ مؤنس الرزاز – صـ ٧.

تصاحب) لمؤلفه أبي عبد الله فيصل الحاشدى، وكذلك الكتاب الـــذي ألفـــه الـــدكتور سليمان الحقيل تحت عنوان (رسائل من والد إلى ولده يحذره فيها من الوقوع في المخدرات ، وكتاب (هديتي لابنتي عند زفافها) تأليف الدكتور محمد رزق طرهونى ، إلى غير ذلـــك من النماذج الأدبية التي صدرت فيما بعد.

دوافع كتابات الآباء إلى الأبناء فـي العصر الحديث

من المعلوم لدى باحثي الأدب أن لكل عمل أدبي دوافعه وبواعثه التي كانت سبباً في إنتاج ذلك العمل ، وقد تختلف هذه الدوافع والبواعث من كاتب لآخر حسب ظـــروف حياته وبيئته فهناك دوافع فطرية يشترك فيها جميع الكتاب والمؤلفين كالمشاعر والأحاسيس التي تدفع الكاتب أو المؤلف لإبداع عمله الأدبي ، كما أن بيئـــة الكاتـــب والأحـــداث المختلفة التي يمر بها في حياته قد تكون هي الأخرى أحد دوافع نتاجه الأدبي ، وعلى الرغم من تعدد تلك الدوافع واختلافها من كاتب لآخر إلا أن بعضها قد تتحد أو تقترب عنـــد أكثر من كاتب.

ولما كان أدب الكتابة إلى الأبناء أحد الأنواع الأدبية فإنه كسائر الأنواع الأُخر لـــه دوافع وبواعث كانت سبباً فى إنتاجه وقد اعتاد كثير من أصحاب هذا اللـــون الأدبي في كتاباتهم لأبنائهم منذ القدم أن يذكروا هذه الدوافع والأسباب والبواعث التي دفعتهم لهذا النوع من الكتابة ولعل من أهم وأكثر الدوافع انتشاراً عند معظم الآباء عاطفة البنوة الـــتي تعد أعمق العواطف الإنسانية تلك العاطفة الفطرية التي جعلها الله عند جميع الآباء فهـــي كفيلة أن يصدر عنها أصدق الوصايا وأعظم النصائح وأرقى التوجيهات ، ومن هنا لوحظ أن معظم القدماء الذين كتبوا لأبنائهم قد ذكروا دوافعهم التي جعلتهم يقدمون الرسالة أو الوصية أو الكتاب لأبنائهم ، و لم يختلف الآباء أصحاب هذا اللون في العصر الحديث عن أسلافهم فساروا على هذا المنهج في كتابتهم حيث قام كثير منهم بذكر الـــدوافع الـــتي جعلتهم يقومون بتوجيه الرسالة أو الكتاب إلى أبنائهم ، والمتتبع لهذه الـــدوافع يجـــد أن معظمها دوافع نفسية تدور في فلك واحد وهو حب الأبناء والحرص علـــى مـــستقبلهم

والخوف عليهم والرغبة في تربيتهم التربية الصالحة ، وتزويدهم بما يرونه أقوم سبيل إلى تنشئتهم تنشئة صالحة على أساس من الخلق والمعرفة ، فلا غرابة في ذلك فالولد بعض أبيه وقطعة منه وهو ثمرة حياته ، وهو الذي يتمنى أبوه – في صدق وإخلاص – أن يراه ناجحاً في عمله ، وأن يرتفع شأنُه بين الناس ، فلا يمكن أبداً أن يبخل عليه بشيء يراه نافعاً له ، أو بشيء يزيل عن طريقه الأشواك والعقبات ، وإلى جانب هذا الدافع الفطري توجد دوافع أُخر تأتى مختلفة من والد لآخر حسب ظروفه الشخصية أو حسب مهنته أو حسب بيئته أو حسب ظروف من يقوم بالكتابة إليه.

ومن الملاحظ أن معظم الآباء الذين كتبوا لأبنائهم في العصر الحديث قد جمعتهم ظروف أبوية واحدة نتج عنها نوع أدبي واحد ، فقد كان معظم الآباء من كتاب هذا اللون الأدبي يكتبون لأبنائهم في حال بعدهم عنهم وسفرهم خارج البلاد وإن اختلفت أسباب البعد ما بين إتمام الدراسة بالخارج أو سفرهم لأغراض أخرى ، ولعل هذا البعد كان عاملاً رئيساً في زيادة خوف الآباء على الأبناء لذا خصوهم بهذه الكتابات لتكون نبراساً لهم يتمسكون بأهدابها ويسيرون على نهجها في خضم هذه الحياة الجديدة التي استظلوا بظلالها ، ومن هنا وجدنا بعض الآباء يصرح عن هذه الدوافع في بعض رسائله ، حتى من لم يصرح بها فلن تكون دوافعه بعيدة عن هذا الإطار.

ولما كان الأستاذ أحمد حافظ عوض صاحب أول عمل أدبي إلى الأبناء في هذا العصر من خلال كتابه (من والد إلى ولده) فلا يفوته أن يبين لولده دوافع تأليفه لهذا الكتاب والغرض الحقيقي الذي جعله يكتب له رسائله ، فيؤكد في رسالته الأولى أنه ما وضع هذه الرسائل إلا حباً فيه وشغفاً به وحرصاً على مستقبله وهداية وإرشاداً له في سبل حياته ، كما أخبره أن أول وأهم هذه الدوافع التي جعلته يخط هذه الرسائل هو خشيته من انقضاء أجله قبل أن يوجه إليه هذه العواطف حيث يقول: (أحب أن أشرح لك العوامل التي دفعتني إلى توجيهها إليك ، وأوضح لك العواطف التي حملتني على أن أبادر بوضع

هذه المبادئ والخطط لك خشية أن يذهب الدهر بي ، كما ذهب من قبل بغيري)[1] فالوالد يعتبر رسائله لولده خططاً ومبادئ يجب على الولد أن يلتزم بها ويسير عليها لذا كان الوالد حريصاً على توجيهها إليه قبل فوات الأوان ، وليس هذا هو الدافع فحسب بل يذكر له دافعاً آخر دفعه بقوة إلى الكتابة إليه وهو بلا شك دافع متوفر عند جميع الآباء ويتمثل في عاطفة الحب الأبوي ذاك الحب الذي فاق كل أنواع الحب فهو في نظره حب من نوع خاص من الوالد لولده غير مشوب بشيء من أثر الشهوات بل يعده أقوى عاطفة في الدنيا كلها ويرجو الأب أن يكون هذا الحب سببا في تمسك الولد بكلام أبيه لأنه يَعتبر هذا الكلام الصادر من هذا القلب المتأجج بنار الحب وحياً من الذات الإلهية ، وفى ذلك يقول: (فلعلك حين تظهر لك حقيقة ما يشعر به نحوك أبوك من عواطف الحب الأبوي ، تقدر كلامه حق قدره، وتتمسك بأهدابه ، وتسلك الطريق الذي يرشدك إليه، وإني أؤكد لك ، ولكل إنسان لم يصر بعد أباً مثلك ، أنه لا توجد في الدنيا عاطفة أقوى من عاطفة حب الوالد لولده ، وأنا واثق أنك إذا فهمت أنت ومن كان مثلك معنى هذا الحب الذي تتأجج ناره ، وتسرى روحه في جميع أجزاء جسم أبيك ، لوجدت أنك إذا اعتبرت ما يلقيه عليك والدك من النصيحة والإرشاد وحياً من الذات الإلهية ما كنت في هذا الاعتبار مبالغاً ، لأن النصح الذي يصدر من نفس متشبعة متشععة بنور هذا الحب ، لهو مستمد من وحى الله على القلوب التي خلقها وأودع فيها سره الإلهي)[1] ، ويؤكد الوالد الحاني أن هذه النصائح والإرشادات التي تضمنتها رسائله ليست إلا نبعاً مما يمليه عليه ذلك الحب المتمكن من قلبه الساري في روحه حيث يقول: (هذا الحب الكامل هو الذي يملى علىّ ما أوجهه لك ولإخوتك من النصح والإرشاد) كما نجده في نهاية هذه الرسالة يذكر لولده دافعاً آخر جعله يخط هذه الرسائل وهو أمله في أن يضعها الولد أمام عينيه حتى يهتدي بها في صحراء الحياة وألا يشذ عنها في وقت من الأوقات وإن ابتعد عنها فليعد إليها سريعاً وفى ذلك يقول: (وهذه الرسائل التي أضعها لك إنما أردت أن تكون أمام عينيك تهديك

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ٩.

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ٩.

في صحراء هذه الحياة إلى ساحل السلامة ، فإذا لاح لك أن تتحول عنها قليلاً في وقت من الأوقات ، فلا تبتعد عنها بمقدار يضلك في مهامها ، بل سر يميناً أو يساراً ولكن ارجع بأسرع ما يمكن إلى الطريق الذي رسمته لك) وإذا كان أحمد حافظ عوض قد ذكر لولده دوافع الرسائل بصفة عامة ، فنجده فى كثير من رسائله يجعل لها سبباً خاصاً ودافعاً معيناً جعله يقدم له الرسالة فى هذا الموضوع الذي يتحدث عنه ، ففي رسالته التي يحدثه فيها عن اختيار المهنة يجعل دافعه فى كتابتها تمهيد الطريق له فهي فى نظر الوالد بمثابة الطريق الممهد الذي رسمه له حتى يسير عليه ، ولتكون مرشدة له فى مواقفه العصيبة التي قد تواجهه فى المستقبل خاصة في تلك المرحلة التي تعد من أصعب المراحل التي يمر بها الابن فى حياته وهى مرحلة اختيار المهنة وتحديد المصير فيقول: (وما هو واجبي؟ بل وما هي مهمتي؟ بل ما هو الغرض من رسائلي المتكررة المتوالية ، إذا أنا لم أصارحك القول فى هذا الموقف العصيب ، وأشير لك بإصبعي إلى الطريق المعبد ، والسبيل الممهد ، وأحذرك من الولوج في المسالك المملوءة بالأشواك والأدغال ، والمعرضة للأخطار والمفاجآت ، كيما يسلم جسمك وعقلك ، وتأمن على صرح حياتك من التداعي والانهيار)[1] ، وفى رسالة أخرى يصرح لولده أنه ما كتب رسائله إليه إلا رغبة منه فى أن يوقظ فيه عاطفة الميل للفضائل ومكارم الأخلاق، ويحذره من ارتكاب الهفوات والأغلاط، ويريه ما ينتظره في مستقبله ، يريد أن يرفع له المصباح بيديه حتى ينير له الطريق ، إلى أن يشتد ساعده، ويأمن على قدميه من العثار)، هكذا تعددت الدوافع عند أحمد حافظ عوض والتي جعلته يقوم بكتابة هذه الرسائل لولده قاصداً بها النفع والإرشاد.

ومن دوافع كتابات الآباء للأبناء الحالة النفسية التي يمر بها الأبناء والتي دفعت بعض الآباء إلى توجيه الرسائل إليهم ليشدوا من أزرهم ولتكون تلك الرسائل معيناً لهم فى مواجهة تلك الأزمات النفسية التي يمرون بها خاصة وهم فى خارج بلادهم، لذا وجدنا خليل السكاكينى يهتم بالكتابة إلى ولده من أجل هذا الدافع (فما كاد سرى يغادر أرض الوطن إلى أمريكا، حتى ضاق ذرعاً ، وبعث لأبيه رسالة يتذمر فيها من حياته هناك، لكن

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ١٠٢.

الأب بعث إليه يطمئنه وأوصاه بأن لا يمتدح بلاده لأن هذا المدح تعريض بالبلاد التي هو فيها، وأخذ يبعث إليه رسائل يطلب من ابنه أن يكون صريحاً معه لا يخفى عنه شيئاً ويطلب منه أن يرفع الكلفة بينهما فيقول فى إحدى رسائله: (ليكن شعارك بعد اليوم لن أكتم أبى شيئاً فإذا أخطأت تحريت لك وجه الصواب وإذا أصبت أثنيت عليك وافتخرت بك).[٢]

وقد ذكر الكاتب الأردني يعقوب العودات البدوي فى مقدمة كتابه لولده (رسائل إلى ولدى خالد) أنه كتب هذه الرسائل تكملة لما جاء من كتابات سابقة فى هذا اللون الأدبى وسيراً على نفس المنهج والخطوات حيث يقول: (وهذه الرسائل الملونة المنوعة التي أزفها لكل طالب عربي تكمل سلسلة الرسائل التي سبقتها بأقلام جهابذة أعلام)[١] لذا لم تبتعد دوافعه عن دوافع من سبقوه فى عالم الكتابة إلى الأبناء بل كان قريباً منها حيث ذكر لولده أنه ما أسدى إليه هذه النصائح المحتوية على حصيلة تجاربه التي مر بها خلال سني عمره إلا بدافع تزويده بالحكمة وإضاءة الطريق له، ليسلك السبيل القويم ، وليفرق الخيط الأبيض من الخيط الأسود يقول البدوي الملثم مخاطباً ولده خالداً: (النصائح التي أسديكها هي حصيلة التجارب التي مررت بها خلال سني عمري ، وإذا ما وجهت إليك بعض ما يخطر منها في البال ، فهدفي تزويدك بالحكمة ، وإضاءة طريقك ، لتتفادى الجادة الشائكة ، ولتسلك السبيل القويم ، ولتفرق بين الخيط الأبيض من الخيط الأسود!)[٢] ولما كانت هذه الرسائل والنصائح مبنية على الخبرة والتجارب وموجهة إليه بدافع الحرص على مصلحته أخذ يبين له أهمية هذه النصائح ومدى استفادته منها إن هو تمسك بها فهي فى نظر الوالد أفضل قيمة من أعلى الشهادات التي تعطيها الجامعات حيث يقول: (صدقني يا "خالد" أن نصيحة يقدمها لك شيخ عركته التجاريب عرك الرحى ... هي في نظري خير من ألف شهادة وألف ألف "دكتوراة")

---

(٢) خليل السكاكينى المربى الأديب الإنسان – حموده زلوم – صـ ١٢٩.

(١) رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم– صـ ١٣.

(٢) السابق – صـ٢٢.

ويبدو أن أحمد أمين هو الكاتب الوحيد الذي تختلف دوافعه فى كتابه (ولدى) فقد ذكر فى مقدمته أنه كتب هذه الرسائل بناءً على رغبة إحدى المجلات التي طلبت منه ذلك فكانت رسائله فى بداياتها مقالات تنشر على صفحات المجلة يقول أحمد أمين: (طلبت إلى مجلة "الهلال" فى آخر سنة ١٩٤٩ أن أكتب لها سلسلة مقالات بعنوان "رسالة إلى ولدى" تنشر خلال عام ١٩٥٠ ، فأتممتها اثنتي عشرة مقالة فى كل شهر مقالة ، وجهت فيها نصائحي ونتائج تجاربي إلى ولدى ، وصادف ذلك أن كان لي ابن يتم تعليمه فى إنجلترا فاستحضرته فى ذهني عند كتابتها)[1] وهكذا ظهر أحمد أمين مختلفاً عن سائر كتاب هذا اللون الأدبي فلم تكن كتابته لولده من داخله بل كانت في بدايتها عملاً أدبياً أو مقالات أدبية استحضر فيها الوالد ابنه المغترب ، فقد جمع بين الأمرين فى آن واحد بين كون رسائله عملاً أدبياً مقدماً إلى جمهور القراء وبين كونه موجهها إلى ولده (ولعل الناس قرأوها في مجلة الهلال بمصر قبل أن يقرأها الابن في انجلترة ... ولعل الابن لم يخص ولده بهذه المنشورات رسالة رسالة ، وإنما اكتفى بأن يطلع الابن عليها منشورة في المجلة)[2] ثم تحولت بعد ذلك إلى رسائل إلى ولده، ولكن هذا لا يمنع أن يكون الوالد قد كتب هذه الرسائل بدافع الحرص والخوف على مصلحة ابنه فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ويكون بذلك قد استطاع أن يجمع بين الأمرين بين كونها عملاً أدبياً للجمهور وكونها رسائل مقدمة إلى ولده بهدف النفع والاستفادة والإرشاد والتوجيه.

وممن تعددت دوافع كتاباتهم لأبنائهم الشيخ عبد العزيز التويجرى فقد بين في رسائله إلى ولده أنه ما كتب هذه الرسائل إلا خوفاً عليه حين سافر لإتمام الدراسة في جامعات الغرب ذلك الخوف هو الذي دفعه أن يخط رسائله حيث يقول في مقدمتها: (وما في هذه الرسائل – التي أضع لها هذه المقدمة – إلا مخاوفي ووعظي لأولادي حين كانوا في جامعات القوم هناك بعيدين عن هذه الصحراء وقيمها ومعتقداتها الكريمة).[3]

---

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ٨.

(٢) دراسات في الأدب العربي والتاريخ – محمد عبد الغنى حسن – صـ ٦٩.

(٣) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجرى – صـ ١١.

ويؤكد التويجري أنه ليس الأب الوحيد الذي ينتابه هذا الخوف على مستقبل أبنائه من سلبيات تلك الحضارة بل يشاركه فى ذلك آباء كثيرون كما أن خوفه ليس مقصوراً على أولاده فحسب بل على جيل الأبناء جميعاً وفى ذلك يقول: (وما أولادي وحدهم الذين أخاف عليهم ، أبداً ... فمخاوفي أو مخاوف الآباء الآخرين على أولادهم من سلبيات هذه الحضارة ، قدر أخذنا من عزلتنا إلى عالم البشر ، وهو أمر لا يستطيع اليوم خائف أن يختفي عنه وإن لاذ بالظلام)[1] ، ويوضح التويجري أن ذاك الخوف الذي جعله يسطر هذه الرسائل لا يعنى وقوع الأبناء في الخطأ بل إن فكرة الرسائل إنما كانت من أجل أن تكون وقاية لهم من الوقوع فيه فيقول: (وحين قامت في نفسي فكرة الوعظ لكم ، تابعت رسائلي إليكم وأنتم في مدارسكم وجامعاتكم خارج البلاد وداخلها ، وكانت نقطة الارتكاز فى وعظي لكم معلقة في رؤيتي للأحداث على المثل القائل: الوقاية خير من العلاج!)[2] ، كما يذكر التويجرى أن مما دفعه إلى الكتابة إلى ولده أن يتمسك الولد بهذه الرسائل ويضعها نصب عينيه ويعمق فكره ووعيه جيداً فى رسائله حيث إنه يعتبرها أفضل ميراث يتركه له لأن الميراث المادي عرض زائل لذا يحث الوالد ولده على التمسك بهذه الرسائل قائلاً: (هذه رسالتي إليك أودعت فيها ملامح الطريق إليك ، فعمق وعيك فى كل ما آتيك به لعله يكون أفضل ميراث أتركه لك فمشاعري وأحاسيسي وخواطري هي أنا وهى البصمة الوحيدة التي أتركها على دربي .. أما مادياتي وما أورثتك إياه فهي ، كما قلت ، أعراض زائلة وغبار أثرته فى وجهك)[3] وتتكرر دوافع الوالد حول هذا المعنى فهو يتمنى أن يعيَ هذه الرسائل كل شاب وفتاة ويأخذوا منها ما يفيدهم (وهذا ما آمل أن يحمل كل شاب وشابة فى وطنك الصغير ووطنك الكبير على هذه الرسائل أمانة الوعي وطهارة الضمير ومحاورة الخطأ والصواب فيها بانحياز عن الهوى لعله يجد منها ولو جملة واحدة مفيدة)[4] وهكذا بدت معظم دوافع التويجري تدور حول مدى خوفه وقلقه وقد

(١) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجرى – صـ ١١.

(٢) السابق – صـ ١٧.

(٣) السابق – صـ ٢٥.

(٤) السابق – صـ٥٣.

استطاع أن يترجم بقلمه هذا الخوف من خلال رسائله ، ولقد كان أحد دوافع الكتابة المشتركة عند كثير من الآباء إحساسهم أن تقديم النصيحة والتوجيه إلى أبنائهم يعد حقاً من حقوق الأبناء على الآباء وواجب من واجباتهم التي يجب أن يقدموه لهم فنجد الأستاذ أحمد حافظ عوض يعتقد اعتقاداً جازماً بأنها واجب مقدس عليه وعلى كل والد نحو ولده (كما أنها من أقدس الواجبات على كل والد ، حتى لا يصدق عليهم قول المعرى "هذا جناه أبى ...")[1] ، كما وجدنا أحد الآباء يؤكد ذلك أيضاً حيث يكتب لولده - في مقدمة رسالته- قائلاً: (فهذه رسالة بعنوان "من تصاحب؟" كتبتها لأحد أبنائي تذكيراً له وإيجابا لحقه).[2]

ولما كان ابتعاد الأبناء عن آبائهم دافعاً لكتابتهم لهم فقد ظهرت طائفة من الآباء ابتعد عنهم بناتهم لظروف الزواج فأحسوا بلوعة الفراق فأسرعت أقلامهن تترجم هذه اللوعة وتبين مدى تأثرهم بهذا الفراق فبدأوا يكتبون لبناتهم تفاصيل حياتهم وأدق أسرارهم ظناً منهم أنهم بذلك يقربون المسافات بينهم وبين بناتهم ، فها هو يحيي حقي يكتب رسائله لابنته بعد زواجها وسفرها مع زوجها ويعتبر هذه الرسائل وسيلة من وسائل الفضفضة بينه وبينها مسجلاً فيها أدق التفاصيل والأحداث اليومية التي يمر بها ، ويسير على نفس الطريق أيضاً الأديب حمزة شحاته فى رسائله إلى ابنته شيرين التي كتبها لها بعد أن فارقته بزواجها فقد (شغل وقته بالكتابة إليها ليقول لها الكثير والرائع مما يتجنح ويتألق من آرائه في إطار العلاقة بين أب وابنته)[3] ، وهنا يلاحظ اتحاد الدافع عند الكاتبين فلولا زواج البنات وبعدهن عن آبائهن لما قدم الأبوان هذا النوع من الكتابة لهما.

ومن دوافع كتابات الآباء للبنات ما ذكره الدكتور محمد رزق طرهونى فى مقدمة كتابه لابنته من أنه لاحظ أن معظم المشاكل التي تواجه الزوجين تقع المسئولية فيها أكثر ما تقع على المرأة لأنها الدعامة الأساسية داخل البيت لذا آثر الوالد الحريص على مصلحة

---

(١) من والد إلى ولده - أحمد حافظ عوض - صـ ١٠٨.

(٢) رسالة إلى ولدى من تصاحب - أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدى - صـ ٥.

(٣) إلى ابنتي شيرين - حمزة شحاته - صـ ٨.

ابنته أن يوجه إليها كتابه المحمل بالنصائح والوصايا والمتعرض لحلول كثير من المشاكل التي قد تواجه الزوجين في حياتهما الزوجية ، وهذا الدافع يحمل بين طياته الدور الكبير الـــذي يقع على عاتق المرأة في نجاح حياتها الزوجية ، حيث يقول لابنته: (فقد آثرت أن أكتـــب لك يا ابنتي هذا الكتاب ، ليس ككل كتاب قرأتيه عن واجبات الزوجة ووصايا المتقدمين والمتأخرين لها ، وإنما كتاب يبصرك لأول وهلة بحقيقة هي أهم حقيقـــة وهـــى حقيقـــة وجودك في هذه الحياة ، التى لو عرفتيها حق المعرفة وحاولت تحقيقها في واقـــع حياتـــك رجوت لك حياة مليئة بالسعادة والهناء بعيدة عن المشاكل والصعاب خلا النذر اليـــسير الذي لا يكدر صفوها ولا يعكر صفاءها).[1]

ولما كان القاسم المشترك بين الآباء هو الحرص على مصلحة الأبناء والخوف عليهم وجدنا بعض الآباء المعاصرين يكتبون رسائلهم ونصائحهم لأبنائهم يحذرونهم فيهـــا مـــن الأخطار المنتشرة في عصرهم فكلما تطورت الحياة وازدادت مخاوف الآباء على أبنـــائهم وجدناهم يواكبون هذا التطور فى رسائلهم ونصائحهم لهم ، فمـــع انتـــشار المخـــدرات والمسكرات بين طائفة كبيرة من الشباب ظهرت طائفة من الآباء تهتم بهذا الجانب وتؤلف كتباً كاملة تحذرهم فيها من الوقوع فى المخدرات ، ومن أبرز ما كتب فى هـــذا النـــوع كتاب (رسائل من والد إلى ولده يحذره فيها من الوقوع فى المخدرات) الدكتور/ سليمان ابن عبد الرحمن الحقيل والذي اهتم فيها بتحذير ولده من المخدرات وبيَّن له – بالأدلـــة القاطعة وبالأمثلة الواقعية التي لا تجد مجالاً للشك – مدى خطورتها على جيـــل الـــشباب الذين هم عماد الأمة وذروة سنامها فهو يعتبر خطر المخدرات لا يقل بحال من الأحـــوال عن خطر السلاح النووي الذي يهدد الوجود البشرى ، ومن هنا نجده فى مقدمة هـــذه الرسائل يذكر الدافع الذي جعله يكتب هذه الرسائل حيث يقول: (ما كنت أتـــصور فى يوم من الأيام أن تكون رسائلي لك رسائل للتحذير من الوقوع فى المخدرات والمسكرات ولكنها كانت كذلك لأن مشكلة المخدرات أصبحت مشكلة العصر بـــدون مبالغـــة ، خطرها لا يقل بحال من الأحوال عن خطر السلاح النووي الذي يهدد الوجود البشرى ،

(١) هديتي لابنتي عند زفافها – محمد رزق طرهوني – ط١ – دار الأندلس للنشر والتوزيع – حائل – ٢٠٠١م.– صـــ ٦.

فلقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن تعاطي المخدرات مرض قاتل مثله مثل السرطان والإيدز ، مرض يصيب الإنسان في عقله ، ودينه ، وعرضه ، وماله ، ونفسه ، وأهله ، وعمله ، ومستقبله ، ودنياه ، وآخرته .... ومن هنا أعددت هذه الرسائل لك ، لأعرفك على عدو من ألد أعدائك ، لتعرف عنه كل شيء لتتمكن من إعداد العدة لمحاربته والانتصار عليه)[٢] ، فهو ما كتب لولده هذه الرسائل إلا ليثبت له أن المخدرات تعتبر عدواً بل من ألد الأعداء التي من الواجب أن يحذرها الولد ويعد العدة من أجل الانتصار عليه ، ولعل الخوف والحرص على مستقبل الابن كان هو السبب الرئيس الذي دفع الوالد إلى توجيه هذه الرسائل لولده ولجيل الشباب جميعاً.

وقد جاءت دوافع الأمهات للكتابة إلى بناتهن قريبة من دوافع الآباء فهي لم تبتعد عن هذا الإطار وإن كانت تزيد عليها فى كونها مشحونة بعواطف الأمومة الصادقة ومشاعر الحنان المتدفق من الأمهات إلى البنات، وقد ذكرت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد فى مقدمة كتابها أنها كتبت هذه الرسائل لابنتها سيراً على خطا من سبقها ممن كتبن فى هذا المجال إلا أنها وجدت أن الكتابات التي قدمتها الأمهات قبلها كانت (عبارات قليلة موجزة من أم لابنتها أو ولدها ، ولكنها لا تعدو أن تكون إشارات تومئ ولا تحيط ، إنها لا تشبع ذلك الدفق من العواطف من صدر أم ، ومن ثم كانت حاجتي ملحة إلى الكتابة إليك ولك)[١] فهي لم تجد في كتابات الأمهات الأوائل الفائدة الكافية التي تستطيع البنت أن تتغذى بها في حياتها لذا حرصت الوالدة على أن تقدم لابنتها ما تراه نافعاً ومرشداً لها في مستقبل أيامها.

وقد كانت الأمهات في كتابتهن لبناتهن يحرصن كل الحرص على جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات التي ينتفع بها البنات في مختلف مراحلهن، كما كن حريصات على نقل خبراتهن وتجاربهن في الحياة وقد أكدت ذلك الدكتورة نجاة حافظ حين ذكرت لابنتها

---

(٢) رسائل من والد إلى ولده يحذره فيها من الوقوع فى المخدرات – سليمان الحقيل – صـ ٩.

(١) إلى ابنتي – نعمات أحمد فؤاد – صـ ٨.

دوافع كتابتها حيث تقول: (ومما دعاني – بنيتي الحبيبة – لتقديم هذه الرسالة وقوفي على بعض المعاني التي تهمك، خلال قراءتي للكثير من الكتب التي تهتم بإعادة بناء الشخصية الإسلامية وتكوينها منذ النشأة الأولى ، وفى مختلف مراحل الحياة ، والاهتمام بإنشاء جيل جديد ، يتعامل مع جميع المفاهيم والقيم من خلال النظرة الإسلامية الصحيحة التي لم تشبها شائبة ، و لم يعكر صفوها شئ من كدر المبادئ والنظريات الأرضية).[٢]

ولما كان الدافع المشترك عند معظم الكتاب هو الحرص على مصلحة الأبناء ومحاولة النفع بهذه الكتابات فقد شدد معظم الآباء على أبنائهم في ضرورة التمسك بهذه الرسائل والعمل بما فيها وعدم الابتعاد عما تضمنته هذه الرسائل مهما وصلوا إليه من خبرة ومنزلة في الحياة فهم دائماً فى حاجة إلى تلك النصائح المفعمة بالصدق الأبوي والمملوءة بالعاطفة والحنان ، ويبدو ذلك جلياً في رسائل أحمد حافظ عوض لولده حين يقول له: (كن مع نصحي هذا كما تكون في حمام البحر وأنت لا تعرف السباحة ، لا تترك الحبل من يدك لئلا تغرق ، وإن درت حوله كيفما درت ، فأنت آمن ما دامت يدك قابضة عليه ، وإذا وصلت إلى اليوم الذي تجد نفسك عالماً ماهراً بالسباحة ، فلست فى حاجة إلى هذا الحبل، ولكنى أؤكد لك أنك ستجد نفسك وقد بلغ الشعور بقوتك ومقدرتك مبلغه فاندفعت تسبح برأيك مستقلاً فى حاجة إلى الرجوع إلى شاطئ ومرفئه صدر والدك ، وهو في هذه الرسائل) ، و لم يكتف الوالد بذلك فحسب بل أخذ يحث ولده على ألا يناقش آراءه التي وضعها فى رسائله إلا إذا وصل إلى ما وصل إليه الوالد من خبرة فى الحياة فينبهه قائلاً: (ولابد لي أن أنبهك إلى أنه إذا جاز لك في مستقبل عمرك أن تناقش رأياً من آرائي أو تضعه تحت منظار الشك فلا يجوز لك أن تتعرض لهذا العمل الشاق المحفوف بخطر الخطأ قبل أن تصل إلى مثل سني واختباري فى الحياة ، وإن أردت أن تعتمد عليّ – وأنت بلا شك مقتنع بشديد رغبتي فى خيرك – فلا تحاول الاختلاف فى نقطة أو دقيقة من الرأي معي ، لأنك لا تصل إلى مثل ما وصلت إليه من التعمق فى النظر إلى الأمور ، إلا إذا دست شوك التجربة الذي دسته أي أنه يلزمك أن تضحي كثيراً من راحتك ومن صحتك

(٢) رسالة إلى ابنتي – نجاة حافظ – صـ٦.

ومن مستقبلك ، لتعرف مثلما عرفت، وأولى لك ولمن كان على شاكلتك أن تستفيدوا من تجارب غيركم)[1] ، ويؤكد التويجرى لولده أن تلك الرسائل التي كتبها له تعد الميراث الحقيقي الذي خلفه له لاحتوائها على الكثير من مشاعره وأحاسيسه وخواطره ومن هنا يحثه على التمسك بها وبما أودعه فيها من نصائح وألا يمر عليها مرور الكرام بل يعيها جيداً ويعمق وعيه فيما جاء فيها.

وها هو البدوي الملثم حين يوجه نصائحه إلى ولده يضمن له النجاح فى حياته ومستقبله إن تقبل توجيهاته وتمسك بما جاء فيها حيث يقول: (ومتى تقبلت نصحي وأخذت برأيي ، حققت مستقبلاً زاهراً بإذن الله).[1]

وقد اشترك أحمد أمين أيضاً فى ذكر دوافع كتابته لولده وهذا يدل على أن رسائله لم تكن مجرد عمل أدبي عادى حيث ذكر له أن دافعه في تقديمها له أن يستفيد بما جاء فيها وفى ذلك يقول: (هذه يا بني بعض تجاربي فى الحياة أقدمها إليك جرعة فجرعة لتستسيغها وتتذوقها وتأخذ نفسك بتشربها رشفة فرشفة)[2] ، ولكن الاختلاف الذي ظهر عند أحمد أمين أنه كان ينتظر الإجابة من ولده على مدى قبوله لهذه لرسائل وموقعها عنده ومدى تأثيرها فيه ويجعل متابعة رسائله لولده متوقفاً على استعداده لقبوله لها حيث يقول مخاطباً إياه في ختام إحدى رسائله: (اذكر لي رأيك فيها وموقعها عندك ومبلغ استعدادك لقبولها وفى ضوء ما أسمع منك ستتوالى كتبي إليك ، تقدم إليك تجاربي كأساً فكأساً).[3]

ويبدو أن موقف الأبناء من رسائل آبائهم جاء متحداً عند معظم الأبناء حيث استقبلوا كتابات الآباء بكثير من الاحترام والتقدير لما تحمله من مشاعر الأبوة الصادقة ولما تحتويه من التجارب المفيدة لهم في حياتهم ، فقد اتخذوا من هذه الكتابات نبراساً يستعينون

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ١١.

(١) رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – صـ ٢٨.

(٢) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ١٧ .

(٣) السابق– الصفحة نفسها.

به في الملمات وقائداً يقودهم إلى الطريق القويم وذلك لإدراكهم أنها لا يشوبها ذرة من حقد أو حسد لأنها صادرة من آبائهم لهم ، وقد كان من أهم المهتمين بكتابات أبيه جمال الدين بن أحمد حافظ عوض الذي قام بجمع رسائل أبيه له وضم أشتاتها فى كتاب (من والد إلى ولده) وبين الولد قيمة هذه الرسائل عنده فى التقديم قائلاً: (فهذه مجموعة رسائل كان يبعث بها إلىّ والدي من مصر وأنا طالب فى الكلية الأمريكية ببيروت ، وقد حرصت عليها طول السنين، حرص البخيل على دراهمه)[٤] ، وهكذا يبدو موقف الولد من كتابات أبيه إليه ومدى حرصه عليها وإدراكه لقيمتها ، وقد اشترك معظم الأبناء فى نفس هذه المشاعر تجاه كتابات آبائهم لهم وكانت من بين هؤلاء الابنة شيرين ابنة الكاتب حمزة شحاته التي اهتمت برسائل أبيها إليها وحرصت على جمعها فى كتاب معللة ذلك بأنها ترى فى رسائل أبيها (متعة وفائدة لأي إنسان يقرأها)[١] ، وكذلك ابنة الأديب الكبير يحيي حقي التي اهتمت بجمع رسائل أبيها رغم خصوصيتها ونشرها فى كتاب بعد وفاته ، وقد استقبل جميع الأبناء ما جاء في كتابات آبائهم بصدر رحب دون اعتراض على أفكارهم ونصائحهم وآرائهم الشخصية إلا أن الابن الوحيد الذي ظهر معارضاً لبعض آراء أبيه هو ابن أحمد أمين فقد خالف أباه في بعض آرائه ظناً منه أنها تتعارض مع الزمن الذي نشأ فيه الابن ولا تتفق مع ظروف البيئة التي عاش فيها بل وينتقد الولد ما عليه الآباء من فرض آرائهم على أبنائهم حيث يقول في رسالة يرد بها على والده: (ليترك الآباء أبناءهم يجربون ويخطئون ، فهذا مما يقوى شخصيتهم ، ويزيدهم ثقة بأنفسهم ، ويجعلهم جديرين بتحمل المسئولية الملقاة على أعناقهم)[٢] بل نجد الابن يستنكر نصائح الآباء للأبناء ويرى أنها لم تعد مجدية في هذا الزمان وفى هذا العصر ضاربا لوالده المثل بالآباء الغربيين الذين يعودون أبناءهم على (التفكير المستقل والقول الحر الصادق فلا يستخدمون سلطتهم فى إخضاع الأبناء لهم ولتفكيرهم ، ولا يستغلون نفوذهم في إرهاق أبنائهم بما لا يتفق وشبابهم وحيويتهم) بل إن الابن يرى فى نصائح الآباء تقييداً لحريات الأبناء ويتمنى أن

---

(٤) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ٥.

(١) إلى ابنتي شيرين – حمزة شحاته – صـ ١٥.

(٢) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ٦٤.

يترك الآباء أبناءهم يعيشون كما يريدون حيث يقول: (لست أرجو إلا أن تدعوا الشباب يعيش ويخط لنفسه الطريق ، طريقاً لا تكتنفه النصائح والتوجيهات الجافة التي تدفعه في طريقه كالآلة لا يدرى من أمره شيئاً).[٣]

ومن هنا وجدنا أن ولد أحمد أمين هو الابن الوحيد الذي انتقد بعض آراء أبيه وقد أرجع الدكتور محمد عبد الغنى حسن السبب فى ذلك إلى فروق الزمان حين عقد مقارنة بين موقف ابن أحمد حافظ عوض من رسائل أبيه وموقف ابن أحمد أمين حيث يقول فى كتابه دراسات فى الأدب العربي والتاريخ: (وقد بدت لي فروق الزمان بين رسائل حافظ عوض ورسائل أحمد أمين – وهو زمن لا يزيد على ثلاثين عاما فقط – بموقف الابنين صاحبي الاختصاص في موضوع الرسائل ... وهى فروق على ضآلتها ترينا الفرق بين عهد وعهد ، وبين مهد ومهد ... فولد حافظ عوض يحرص على رسائل والده ، ويضم أشتاتها ، ويجمعها فى كتاب ، ويكتب هو مقدمته إلى القراء ... وولد أحمد أمين يعارض فى رسائل والده ! بدعوى أن النصائح ليست كبيرة الفائدة ، وإنما أكبر فائدة للبيئة والوراثة ...) ويخالف الوالد ولده فى ذلك قائلاً: (إذا كان للبيئة كل الأثر فالنصائح الأبوية بعض البيئة! فانظر –رعاك الله– أي فرق بين زمانين وأي خلاف بين عهدين.. ففي الربع الأول من القرن العشرين كانت البنوة ضنا بأفكار الأبوة ، وطاعة لها وامتثالاً.. وفى النصف الثاني من القرن نفسه صارت البنوة تحرراً فى الفكر ومناقشة وجدالاً) ، فقد اعتبر الدكتور محمد عبد الغنى حسن موقف ابن أحمد أمين موقفا لا يليق من ولد تجاه والده بل اعتبره نوعاً من المعارضة والمخالفة من الابن لأبيه واعتبر رد الابن فى رسالته التي أرسلها لأبيه نوعا من إساءة الأدب تجاه الآباء حيث يقول: (وإذا بنا نقرأ في رسالة الابن لأبيه كلاماً لو سمعه الناس قبل زماننا لاسترجعوا الله واستعاذوا الله أن يكون في الأبناء من يوجه الكلام إلى أبيه)[١] ، وإن كان الدكتور حسن له الحق في إلقاء اللوم على ابن أحمد أمين في الأسلوب الذي خاطب به أباه في الرسالة التي أرسلها إليه حيث اعتبر نصائح

---

(٣) السابق – الصفحة نفسها.

(١) دراسات فى الأدب العربي والتاريخ – محمد عبد الغنى حسن – صـ٧٠.

الآباء نوعاً من فرض الشخصية وجانباً من جوانب الدكتاتورية فهو يطلب من والـــده أن يستمع إليه كما استمع هو من قبل فيوجه الكلام إلى أبيه قائلاً: (وكل مـــا أرجـــوه أن تستمع إلىَّ في رسالتي كما استمعت إليك من قبل في رسائلك وتوجيهاتك ، وأن تفـــتح قلبك لكلماتي كما فتحت قلبي لكلماتك ، وكما يجب على الحكام أن يفتحـــوا قلـــوبهم لكلمات الشعوب ، حتى تتلاشى الدكتاتورية البغيضة ، ويصبح للشعب حريـــة الكـــلام والتعبير عن رأيه)[٢] ، ولكن هذا ليس دليلاً قاطعاً على أن الابن لم يتقبل مـــا جـــاء فى رسائل أبيه بدليل أنه ختم رسالته بقوله لأبيه (أرجو ألا تفهم من خطابي أنى أكره نصحك أو أمل من توجيهاتك) فهذا يدل على أن الولد ليس ضد نصائح أبيه ولكـــن يبـــدو أن الثقافة الغربية والبيئة الحديثة التي انتقل الابن إليها هي التي كان لها كبير الأثر فى فكر الولد وفى نظرته للحياة وهذا يظهر جلياً في رسالة الولد لوالده حيث يضرب له المثـــل بتربيـــة الآباء الغربيين لأبنائهم مما يدل على شدة تأثره بالغرب وأفكاره ، ويمكن القول بأن مـــا حدث بين الولد وأبيه نوع من الحوار الفكري الذي تمناه الشيخ عبد العزيز التويجرى بين كل أب وابنه والذي اعتبره التويجرى نوعا من أنواع التربية الناجحة حيث يقـــول: (إذا دخل الحوار فى كل بيت بين كل أب وابنه وخاض معركة الحيـــاة بـــسلاحه الفكـــري والعقلي واستباح مناطق الخطر وأذل ونفى فهاهة الحوار الخرافي الماشي معـــه فى مـــيراث السنين الطويلة ، تصح لنا فكرة الوجود الإنساني ونجلس فى مجالس المتحاورين على مقاعد كبرياء المعرفة والكرامة الإنسانية ، فمقاعدنا فى الزمن الطويل شـــاغرة مـــن متحـــاورين يحسنون الحوار ويمشون فيما بينهم إليه على مطايا من الوعي الكوني والإنساني)[١] ولعـــل ذلك يتضح حين نعلم أن أحمد أمين لم يغضب من رسالة ابنه و لم ينقطع عن كتابة رسائله بعدها بل كانت نقطة بداية له انطلق من خلالها إلى محاورة ولده فأخذ يثبت لولده بالأمثلة الواقعية فى الحياة ما يؤكد به صدق ما يقول ، وهكذا يلاحظ فى دوافع كتابـــات الآبـــاء للأبناء أنها قريبة من بعضها عند معظم الآباء فلم تختلف كثيراً عند الأغلبية منهم ، ولعـــل

---

(٢) إلى ولدى – أحمد أمين – صـــ ٦٣.

(١) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجرى – صـــ ٣١.

ذلك راجع إلى أنها نابعة من مصدر واحد مشترك عندهم جميعاً بل عند جميع الآباء من كتب لأبنائه ومن لم يكتب ذاك المصدر هو العاطفة الأبوية التي ليس لها سوى هدف واحد وغاية واحدة وهى الحرص على مصلحة الأبناء وتزويدهم بما ينفعهم فى حياتهم.

وقد تختلف الدوافع فى حالات قليلة عند طائفة معينة من الآباء وهى طائفة الملوك والحكام الذين كتبوا لأبنائهم فبجانب عاطفتهم الأبوية نجد لديهم دافعاً آخر لا يوجد عند سائر الآباء وهو إعداد الأبناء لتحمل القيادة من بعدهم والسير على خطاهم ورسم المنهج الصحيح لهم حتى يكونوا فيما بعد حكاماً عادلين وقادة محنكين ، وهناك من الآباء من اعتبر دافع كتابته لأبنائه العطف عليهم والمراعاة لظروف حياتهم وما فيها من عوامل داخلية قد تكون عائقاً أمامهم وحملاً ثقيلاً عليهم لذا قاموا بتقديم نصائحهم لهم لعلها تكون عوناً لهم على التغلب على تلك المشاق والعقبات ، ومن هنا وجدنا أحد الآباء يقول فى مقدمة رسالته: (شبابنا وشاباتنا اليوم يعيشون بسبب عوامل داخلية وخارجية متعددة ، حياة قلق وضياع ، لا يحسدون عليها ، وليس لهم سوانا ، نحن آباؤهم ، لنمحضهم النصح ، ونكون بسلوكنا قدوة صالحة لهم .. فالعنف والتعنيف ، والنقد والتجريح ، والزجر والقصاص والتهديد ، لا يفيدهم في شيء ، بل إنه على العكس من ذلك ، فقد يعقد في وجوههم حياتهم المعقدة ويسد فى طريقهم كل أمل لهم فى النجاة ، ولهذا وجهت رسائلي إليهم ، آملاً أن يجدوا فيها بعض ما ينقصهم ، أو ما هم بحاجة إليه)[1] فالوالد يعتبر كتاباته لأولاده نوعاً من أنواع التربية الحديثة وأسلوباً من أساليبها فبدلاً من أن يعنفهم وينقدهم يقدم لهم نصائحه مادا بها يده إليهم لتأخذهم على الطريق القويم.

ولما كانت عاطفة البنوة فى الوجدان هي التي أوحت بهذه الروائع فإن الحرمان منها يكون أقوى ، وجنون القلب يكون بها أعظم لذا وجدنا طائفة أخرى من الآباء كان دافعهم للكتابة غريباً وعلى غير المعتاد حيث كان موت الأبناء هو دافع الكتابة لهم فقدموا

(١) رسالة إلى ولدى – داود عبد العفو سنقرط – صـ ٧.

هذه الكتابة كلون من ألوان الرثاء لأبنائهم الذين ماتوا فى حياتهم وراحوا من خلالها ينفثون عن أنفسهم وقلوبهم تحترق من هذا الحرمان ، ذاك الحرمان من عاطفة البنوة هو الذي دفع أحمد حسن الزيات أن يكتب لولده فى ذكرى وفاته قائلاً: (والهف نفسي عليه يوم تسلل إليه الحمام الراصد في وعكة قال الطبيب الغفلان إنها "البرد" وقال القدر اليقظان بعد ثلاثة أيام إنها "الدفتريا"! لقد عبث الداء الوبيل بجسمه النضر كما تعبث الريح السموم بالزهرة الغضة! ولكن ذكاءه وجماله ولطفه لم تبرح قوية ناصعة ، تصارع العدم بحيوية الطفولة ، وتحاج القدر فى حكمة الحياة والموت)[٢] ، وإن كان هذا النوع من الكتابة لم يطلع عليه الأبناء إلا أنه فى النهاية لا يخرج عن دائرة كتابات الآباء للأبناء كما هو الحال عند المنفلوطي ، وأحمد حسن الزيات فى مقال كل منهما لولديهما الذين أدركهما الموت فى حياتهما.

ويبدو فى دوافع كتابات الآباء للأبناء أنها متحدة عند معظم الآباء سواء كان الأب ينتمي إلى تيار المحافظين أو تيار المجددين فالدافع عند كليهما واحد وهو الحرص على مصلحة الأبناء ووضع أقدامهم على الطريق القويم ، ومحاولة نقل خبراتهم وتجاربهم فى الحياة لأبنائهم حتى يستفيدوا منها ، وقد ظهر ذلك واضحاً جلياً فى كتابات (أحمد حافظ عوض، وأحمد أمين ، ويعقوب العودات) حيث وجدنا كلاً منهم يذكر لولده الكثير من المواقف والأحداث التي واجهته فى حياته حتى تكون علامة فى حياة الولد يقتدي بها فى مستقبل حياته.

❋ المجددون أسبق في الظهور من المحافظين في العصر الحديث:ـ

اعتاد باحثو الأدب الذين يتعرضون للحديث عن المحافظين والمجددين أن يبدأوا بتقديم المحافظين على المجددين ، وهذا هو الطبيعي أن يكون المحافظون أسبق في الوجود من المجددين، ولكن من خلال البحث في نماذج الكتابة إلى الأبناء في العصر الحديث لوحظ أن الأمر مختلف في هذا اللون الأدبي حيث إن ظهور طائفة المجددين كان أسبق من ظهور

(٢) وحى الرسالة – أحمد حسن الزيات – ط ٦ – جـ١ – صـ ٣٠٦.

طائفة المحافظين، فمعظم الأدباء الأوائل الذين كتبوا إلى الأبناء في مطلع القرن العشرين ينتمون إلى تيار المجددين ثم يتلوهم بعد زمن ظهور المحافظين كلما اقتربنا من نهاية هذا القرن، والمراد بالتجديد عند تلك الطائفة أنهم مجددون لما كان عليه أسلوب الكتابة إلى الأبناء قبل العصر الحديث شأنه في ذلك شأن سائر الأنواع الأدبية التي لاقت كثيراً من التجديد في بداية العصر الحديث ، ويمكن القول بأن هناك عوامل متعددة أدت إلى ظهور المجددين في تلك الفترة وتأخر المحافظين عنهم ، من أهم هذه العوامل أثر الثقافة الأجنبية التي تثقف بها هؤلاء الآباء فقد عاصر أصحاب هذا الاتجاه مطلع النهضة الحديثة وكان بعضهم ممن سافر إلى بلاد الغرب فتأثروا بحضارتها تأثراً كبيراً وعملوا جاهدين على توجيه أبنائهم إليها ودفعهم إلي السير في طريقها ظناً منهم أن السير في هذا الطريق هو المناسب لهم في مستقبل أيامهم في ظل تلك الحضارة الحديثة القادمة الملقية بظلالها على الشرق وبلاده ، فكان تأثر الآباء بالحضارة الغربية وإعجابهم بها من أول العوامل التي أدت إلى دعوتهم للتجديد، ومما دفع تلك الطائفة من الآباء إلى التجديد في تلك الفترة اعتقادهم بأن فكرة الكتابة إلى الأبناء ليست ذات صلة وثيقة بالتراث بل هي وافدة أكثر منها موروثة فهي في نظرهم قابلة للتجديد والتطوير حسب أساليب التربية الحديثة ، فلم يجدوا في أنفسهم حرجاً من تطويرها حسب تطور العصر الذي يعيشون فيه ، حتى تكون أكثر واقعية وأقوى تأثيراً في نفوس الأبناء ، وهذه هي طبيعة الأدب في كل عصر من العصور فكلما كان الأدب أكثر واقعية وتصويراً لواقع الحياة كلما كان أقرب إلى نفوس متلقيه ، فلم تعد الكتابة إلى الأبناء في نظرهم تلك النصائح والوصايا والإرشادات التي يقدمها الأب لولده فحسب كما كان هو الحال قبل العصر الحديث ، بل اعتبروا كتاباتهم لأبنائهم أوسع وأشمل من ذلك حيث اتخذوا منها باباً للمناقشة والحوار والفضفضة والبوح بمكنون النفس كما يناقش الآباء من خلاله العديد من القضايا ويطرحون فيه الكثير من الأفكار التي لا تتاح لهم مناقشتها وطرحها في كتاباتهم ومؤلفاتهم المختلفة ، ولعل هناك سبباً آخر لا يقل أهمية عن الأسباب والعوامل السابقة وهو يتمثل في الطريقة التي تطورت بها الثقافة العربية بصفة عامة في العصر الحديث ، فلقد بدأت مع أواسط القرن التاسع عشر على يد

(رفاعة الطهطاوي) أكثر انطلاقاً وحماساً للتطور والتجديد والإفادة من منجزات الثقافة الوافدة من الغرب ، واستمر ذلك قرناً كاملاً حتى أواسط القرن العشرين حيث ظهر (طه حسين وأحمد أمين والعقاد) ثم كانت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ مدعاة لقلة ثقة الأمة في الغرب والعلاقة به وكانت سبباً في الخوف على فقدان الأصالة القومية فبدأت مرحلة من الانكفاء في الثقافة العربية أو ما يمكن أن يطلق عليه (التراجع) أو ربما كان اسمها الصحيح مرحلة من مراجعة الذات بالرجوع إلى المصادر الأصيلة للثقافة العربية ، الأمر الذي تمثل في موضوعنا بصفة خاصة في ظهور التيار المحافظ في الكتابة إلى الأبناء ، والواقع أن غلبة عصابات الصهاينة على جيوش سبع دول عربية في حرب فلسطين كانت مصدراً لتأزم عميق في الوجدان العربي ، ذلك أن الصهيونية ليست مجرد حركة احتلال للأرض واستغلال للشعب وثرواته فحسب ، وإنما هي حركة تهدف إلى إزالة الجنس العربي أصلاً ، وإحلال أشتات جماعات متفرقة من شعوب العالم مكانه بحجة أنها تدين بالديانة اليهودية ، وهنا يصبح الدين (اليهودي) مصدر خطر على العرب والمسلمين مما جعلهم يعودون ليتمسكوا بدورهم بأهداب دينهم الذي يتذكرون أنه كان مصدر قوتهم وعزتهم في العصور السالفة.

كما أن من أهم أسباب ظهور طائفة المحافظين أن ظهورهم كان رد فعل لتيار المجددين فلعل بعض الآباء خشي من استيلاء المجددين وأفكارهم على الأبناء فحاولوا أن يوجهوا الأبناء إلى التراث العربي خشية أن ينجرفوا في تيار الحضارة والمدنية التي قد تنسيهم هويتهم العربية والإسلامية.

ولعل ظهور المجددين قبل المحافظين في أدب الكتابة إلى الأبناء يعد مخالفاً لما عليه سائر الألوان الأدبية الأخرى إذ أن الأصل أن يكون ظهور المحافظين أولاً ثم يليه ظهور المجددين وهذا هو الحال في القصة والمسرحية والمقالة وباقي الألوان الأدبية الأخرى ، ولما كان الأمر هنا مخالفاً للعادة وكان ظهور المجددين سابقاً لظهور المحافظين فقد آثرت أن تكون البداية بالمجددين على خلاف العادة التي دأب عليها باحثو الأدب وذلك مراعاة لترتيبهم الزمني في

العصر الحديث ، وقد اعتبرت هذا الأمر منهجاً سرت عليه في الرسالة كلها وقدمت المجددين على المحافظين في سائر مباحث الرسالة نظراً لأقدميتهم على غيرهم.

ومن خلال التتبع التاريخي تبين أن أول ظهور للمجددين كان علي يد الأستاذ/ أحمد حافظ عوض في كتاباته لولده عام ١٩١٤م ، ثم تلاه في الظهور كتاب خليل السكاكيني الذي قدمه لولده بين عامي ١٩٣٥م و١٩٣٧م ، ثم تلاهما الأديب الكبير أحمد أمين في مقالاته التي كتبها عام ١٩٥٠م ، وبعد ذلك جاء كتاب إلى ابنتي للدكتورة/ نعمات أحمد فؤاد الذي بدأت في كتابته عام ١٩٥٥م.

وأما المحافظون فقد ظهرت أولى كتاباتهم في فترة الستينيات على يد الأديب يعقوب العودات حيث ألف كتابه (رسائل إلى ولدي خالد) ثم تلاه في الظهور كتاب (رسائل إلى ولدي حتى لا يصيبنا الدوار) للشيخ عبد العزيز التويجري، ثم توالت بعده كتابات المحافظين في فترة الثمانينيات وما تلاها.

ومن خلال الحديث عن المجددين والمحافظين نتناول أهم القضايا الفكرية التي انفرد بها المجددون وأهم القضايا الفكرية التي انفرد بها المحافظون ثم نشير إلى بعض القضايا المشتركة بين التيارين مدعمين ما نقول بالنماذج والنصوص من كتابات أصحاب كلا الاتجاهين.

القضايا الموضوعية التي عالجها المجددون

يعد الأدب مقياساً دقيقاً للنشاط الفكري في الأمة وذلك لما له من دور كبير في حياتنا فهو (ذو وظائف عديدة منها الوظيفة الروحية بالتفريج عن مكبوتات النفس وأزماتها وعقدها ، والوظيفة التربوية بإدراك وسائل تربية النفس والأخلاق والفضائل ، والوظيفة الدعائية بالتأثير في الجماهير، ودفع النفوس إلى الحركة والحماسة وتوجيه الرأي العام إلى الغايات المطلوبة).[1]

(١) الأدب والمجتمع – محمد كمال الدين يوسف – مطابع الدار القومية للطباعة والنشر – ١٩٦٢م – صـ٢١.

والأدباء هم المبدعون المعبرون عن البيئة وما تحوي من أحداث بصورة فنية جميلة وذلك بما آتاهم الله من مواهب فطرية صقلوها بالدراسة الفنية فنتج عنها أدب رفيع ، ومن هنا (كان الأدب في جميع الأمم أهم أسس نهضتها وأقوى دعامة فكرية تُسند مسيرتها نحو الحضارة والرقي وبواسطته يمكن التمهيد لحياة اجتماعية وسياسية تخدم الشعب وتطور حياته).[٢]

فالعلاقة بين الأدب والحياة علاقة وطيدة ومتشعبة حيث إن الحياة مصدر للأديب يستمد منه مادته الأدبية وذلك من خلال مظاهرها وأحداثها ثم يضفي عليها فكره وخياله وعاطفته لتتحول هذه المادة من صورتها العادية إلى صورة جديدة تبهر الناظرين.

فالعمل الأدبي يجب أن يكون صورة لحياة الناس يقدم فيه الأديب الثناء على كل ما يراه إيجابياً في المجتمع فيشجع على تكراره ، كما ينبذ كل ما هو سلبي ويقدم العلاج له من خلال رؤيته الخاصة وذلك لأن الأديب (كائن اجتماعي لا يستطيع أن ينفرد ولا أن يستقل بحياته الأدبية ولا يستقيم له أمر إلا إذا اشتدت الصلة بينه وبين الناس ، فكان صدى لحياتهم، وكانوا صدى لإنتاجه ، وكان مرآة لما يذيع فيهم من رأي وخواطر ، وما يغزوهم من هذه الآثار الأدبية على اختلاف ألوانها).[١]

ومن هنا التزم الأدباء بقضايا المجتمع لأنهم لا يعيشون في أبراج عاجيَّة بعيدين عن المجتمع منعزلين عنه ، هاربين منه بل يعيشون مندمجين معه مقدرين حاجة المجتمع إليهم ليعبروا عن آلامه وأحزانه من خلال المشاركة الوجدانية بينهم وبين المجتمع ، ويظهر ذلك في إنتاجهم الأدبي الذي يعد ظاهرة اجتماعية لا يمكن أن تكون إلا في الجماعة التي تسمع الأثر الأدبي أو تقرؤه فتتأثر به راضية عنه أو ساخطة عليه معجبة به أو زاهدة فيه.[٢]

---

(٢) الأدب العربي الحديث – يوسف عز الدين – ط ٢ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٣م – صـ٨.

(١) فصول في الأدب والنقد – طه حسين – مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر – ١٨٩٠م – صـ ٥.

(٢) انظر: السابق – صـ٤.

وعلى الرغم من كثرة الآباء المجددين الذين كتبوا لأبنائهم إلا أنني في الدراسة الموضوعية ركزت على خمسة كتاب[٣] منهم كانوا هم أكثر اهتماماً بقضايا المجتمع وأشد تركيزاً على حل مشكلاته التي قد تواجه الأبناء ، وإلى جانب التركيز على هؤلاء الآباء الخمسة إلا أننا لم نغفل باقي الآباء بل أحياناً نستشهد بأقوالهم في المواضع التي تستدعي ذلك حسب حديثهم عن القضية التي نتعرض للحديث إليها.

وفيما يلي نستعرض أهم القضايا التي تناولها المجددون في كتاباتهم لأبنائهم والتي كان من أهمها:-

أولاً: التنويه بالغرب ودعوة الأبناء إلى حضارته.

ثانياً: قضية التعليم ... الواقع والمثال.

ثالثاً: الاهتمام بالنواحي الاجتماعية.

أولاً: التنويه بالغرب ودعوة الأبناء إلى حضارته:-

تفاوتت دعوة المجددين لأبنائهم إلى الحضارة الغربية الحديثة فمنهم من دعا إليها بكل قوة بسبب تأثره الشديد بها ، وكان على رأس تلك الطائفة أحمد حافظ عوض الذي اعترف بهذا التأثر اعترافاً صريحاً وأبدى مدى إعجابه وشغفه بهذه الثقافة الغربية التي عكف على قراءة آثار مفكريها وأدبائها واندفع يقتبس من هذا الفكر الغربي ما يجدد به حياة ولده وينور به عقله ويدفعه خطوات إلى الأمام ، ولعل رسائله إلى ولده خير دليل على ذلك فهي تنم عن مدى ثقافته الواسعة وإطلاعه على الآداب الغربية خاصة الأدب الانجليزي الذي اعترف بتأثره ببعض أعلامه على رأسهم (اللورد تشستر فيلد) أحد كتاب الرسائل إلى الأبناء في الأدب الانجليزي في القرن الثامن عشر ، وقد أبدى الوالد إعجابه

(٣) هؤلاء الآباء الخمسة هم: (أحمد حافظ عوض ، أحمد أمين ، حمزة شحاته ، نعمات فؤاد ، منيف الرزاز).

بهذه الرسائل الأبوية حين قال عنها: (ففيها المطرب والمعجب من طلاوة اللفظ ، ورقة الأسلوب ، إلى بليغ الحكمة وحسن النصيحة)[1] وقد اعترف الوالد بتأثره بهذا الكاتب وأفكاره وآرائه الأدبية والعلمية حيث يقول: (وستجدني في بعض رسائلي إليك راجعاً إلى بعض آراء اللورد تشتسر فيلد)[2] ، ومما يؤكد هذا التأثر أنه في إحدى رسائله أخذ يرغب ولده في دراسة علم التاريخ وبين رغبته في أن ينصرف ولده بشيء من الرغبة إلى فن التاريخ ، ثم ذكر الوالد أن هذه النصيحة كانت إحدى نصائح اللورد تشستر فيلد لولده ، حيث يقول: (وإني ألفت نظرك في هذا الصدد إلى الخطاب الثاني من خطابات اللورد "تشستر فيلد" لولده فقد ذكر له في أهمية دراسة تاريخ الرومان والاعتناء به ، ما يجدر بك مطالعته في أصله)[3] وأخذ يدعو ولده إلى الاعتناء بتلك الرسائل ومطالعتها والتأثر بها والاقتداء بما جاء فيها.

ولا يبدو أن كاتبنا تأثر بالأديب الانجليزي في هذا القدر فحسب بل إن تأثره به تجاوز ذلك إلى الاهتمام بحسن المظهر ولطف المقابلة وجميل الهندام ، وظرف الحديث وخفة الحركة ، وهو في هذا الجانب أيضاً يعيد ترديد ما قاله اللورد تشستر فيلد في رسائله لولده التي دعا ولده إلى قراءتها والإمعان فيها وفي ذلك يقول: (وأعني بتلك الأخلاق والصفات ، مظهرك ولطف مقابلتك وحسن بزتك وجميل هندامك وظريف حديثك وكلامك ، وبعبارة أخرى هو كسب رضاء الناس عنك وميلهم إليك ، وهو ما سماه اللورد تشستر فيلد في كتبه لولده "صناعة الإرضاء" [1]، ولعل هذه الأخلاق والسلوكيات على الرغم من قربها إلى المجتمع الأوروبي إلا أن معظمها مما دعا إليه الإسلام ولكن الوالد هنا يعتبرها آداباً غريبة أكثر منها إسلامية.

---

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ٦٧.

(٢) السابق – الصفحة نفسها.

(٣) السابق – صـ ٨٤.

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ١١٣ ، ١١٤.

ومن هنا يتبين أن بعض الآباء المجددين من شدة تأثرهم بالحضارة الحديثة وجهوا الدعوة لأبنائهم إليها بكل ما فيها ظناً منهم أن ذلك هو ما يناسب الحياة الحديثة وما يتناسب مع تطور المجتمع في العصر الحديث ، إلا أن هناك طائفة أخرى من المجددين رغم اهتمامهم بتوجيه أبنائهم إلى الحضارة الحديثة إلا أنهم لم ينساقوا وراءها بكل ما فيها بل دعوا أبناءهم إلى الأخذ من تلك الحضارة الحديثة ما يتناسب مع حياتنا العربية ولا يتعارض مع عادتنا وتقاليدنا وحذروا الأبناء من الانسياق وراء مظاهر الحضارة الغربية لأن بها ما يتعارض معنا ومع أخلاقنا الشرقية ، فقد رأى بعض الآباء أن الحياة في المجتمع الغربي قد تكون سلاحاً ذا حدين وعلى الولد أن يحسن الاختيار حتى لا يلقي بنفسه إلى الهلاك والدمار وفي ذلك يقول الوالد: (وأوربا على العموم كفيلة أن تحقق كل رغبة وتوفر كل اتجاه فمن شاء الجد فالأبواب أمامه مفتحة ومجال الجد لا حد له ومن شاء اللهو فالأبواب أمامه مفتحة ومجال اللهو لا حد له)[٢] ، فهو يتمنى لولده أن يسلك مسلك الجد في دراسته في بلاد الغرب وتوسطه في الاقتداء بهم وبعاداتهم وسلوكهم ، وهنا يكون دور الأبناء في تحديد غاياتهم بأخذ ما يرونه مفيداً لهم من تلك الحضارة الحديثة ونبذ ما يرونه معارضاً لمبادئ دينهم وعروبتهم وقد أبدى بعض الآباء المجددين إعجابه ببعض العادات الغربية وبأساليبهم التربوية التي يستخدمونها مع أبنائهم حيث يقول: (لقد رأينا في الأمم الناهضة كيف استطاع الآباء توفير البيئة الصالحة للتربية الصحيحة والحياة العائلية السعيدة، وكيف استطاع الآباء اتخاذ أبنائهم أصدقاء لهم ، يحسون إحساساتهم ، ويفكرون فيه ، يصحبونهم في نزهاتهم ورحلاتهم ، ويعودونهم التفكير المستقل والقول الحر الصادق ، فلا يستخدمون سلطتهم في إخضاع الأبناء لهم ولتفكيرهم ، ولا يستغلون نفوذهم في إرهاق أبنائهم بما لا يتفق وشبابهم وحيويتهم ، ورأينا كيف يسود الحب والألفة بينهم ، وكيف نشأت بين الأسرة علاقة روحية جميلة عمادها التعاون والتضحية والإخاء).[١]

(٢) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ١٨.

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ٦٦.

كما أبدى بعضهم إعجابه ببعض الشخصيات الغربية ودعا أبناءه إلى الإطلاع على نصائحهم كما فعل أحمد أمين حين دعا ولده إلى التمسك بالقواعد الأخلاقية التي وضعها الأستاذان الغربيان (بين وجيمس) وهذا يشابه إلى حد كبير الأستاذ أحمد حافظ عوض إلا أن الفرق بين الوالدين أن الثاني انساق وراء الحضارة الحديثة ودعا إليها ولده بكل ما فيها دون تحديد ، وعلى الرغم من إعجاب الكثير من الآباء المجددين ببعض العادات والشخصيات الغربية إلا أنهم اشترطوا ألا تمس تلك الحضارة الجانب الديني والعربي والشرقي ، بل يجب الأخذ منها بما يتناسب مع ظروف المجتمع والبيئة العربية وعدم الانجراف وراء التيار الغربي حتى لا ينسى الأبناء عادات قومهم وبيئتهم التي هي نابعة من روح الإسلام وفى ذلك يقول أحد الآباء لولده: (خير ما تواجه به هذا الزمان، سعة دراستك ووقوفك على حقائق الشرق والغرب ، وانتفاعك بما في كل من مزايا).[٢]

ولعل الدكتورة نعمات فؤاد كانت من الأمهات اللواتي وجهن بناتهن إلى التأثر بالحضارة الغربية إذ ضربت المثل لابنتها بكثير من نماذج نساء الغرب التي اعتبرتها الأم صوراً للكفاح ، ففي حديثها عن إحدى هذه النماذج وهي (مدام كوري) من أبرز سيدات المجتمع الغربي والتي ظهر تأثر الأم بها وأكدت ذلك في دعوتها لابنتها بالاقتداء بها والقراءة عنها والاستفادة من حياتها قدر الاستطاعة وفي ذلك تقول: (صاحبي مدام كوري إلى مدرج السوربون حيث ألقت محاضرتها الأولى بعد وفاة زوجها الصديق ، وأنعمي الصمت فإن في وقفتها – ذلك اليوم– وحديثها واستهلالها في بعض هذا بل كله بلاغ، اقرئي خطابها إلى ابنة أختها هانيا، اقرئيه يا حبيبتي الصغيرة كلمة كلمة بل حرفاً حرفاً إن استطعتي ، اقرئيه وتأثريه فإن الذي ينفذ إلى نفسك من خلاله إنما هو وحي مخلوقة نادرة).[١]

---

(٢) السابق – صـ ٥٤.

(١) إلى ابنتي – نعمات أحمد فؤاد – صـ ٤٣.

كما تذكر الأم لابنتها قصة نجاح أخرى لإحدى نساء الغرب وهي (هيلين كيلـــر) مؤلفة كتاب قصة حياتي وتحثها على قراءة آثارها والتأثر بها وفي ذلك تقول: (إنها متعـــة حقيقية أن تقرئي هذه القصة ، ومتعة أكبر أن تقرئي هذا الكتاب لنفـــسك ولأطفالـــك ليتعلموا صفات الصبر والتضحية وروح المحبة للناس والأشياء على السواء).

ولعل دعوة المجددين إلى الأخذ لما هو مفيد وترك ما لا يتناسب معنا، لم تؤثر إطلاقاً علـــى موقف الحب أو البغض للغرب وقد ظهر ذلك جلياً واضحاً عند طائفة الآبـــاء الـــشوام بشكل خاص نظراً لما كانت تمر به بلادهم في تلك الآونة من احتلال غربي، لذا وجـــدنا بعضهم بين الحين والآخر يشجب أفعال الغرب ويبين مدى كرهه لهم ومثال ذلك ما كتبه خليل السكاكيني في رسائله لولده سري الذي كان يتعلم في أمريكا حيث قال: (بريطانيا ، بريطانيا ، أنت أصل البلاء! ليتنا لم نعرفك و لم تعرفينا ، لم يكفنا الاستعمار حتى زدتنـــا بوعد بلفور ، إنه لعار عليك أن تكوني مستعمرة ، ولعار عليك أن تكوني في سياســـتك خاضعة لليهود)[٣] ولكن ثورة السكاكيني على الغرب لم تمنعه من أن ينصح ولده بأخذ ما يراه مفيدا من حضارتهم وعلومهم ولعل هذا هو الهدف الأساسي من إرسال ولده لتلقـــى تعليمه في أميركا.

كما ظهر ذلك أيضاً عند منيف الرزاز الذي أبدى بغضه للغرب مغتصبي بلاده حتى أنه وصل به الأمر إلى إعجابه بالزعيم الألماني هتلر معللاً هذا الإعجاب بقوله: (فإن هتلـــر كان عدواً لأعدائنا الأساسيين المستعمرين لوطننا ، البريطانيين والفرنسيين والـــصهاينة ، الذين كانوا يذيقون شعبنا من ألوان المر مالا نطيق ، وعدو العدو صديق ، وهـــل مـــن المعقول أن تنحاز عواطفنا لمن يستعبدنا ضد من يعادى مستعبدينا).[١]

وإذا كان البعض من الآباء المجددين قد قاموا بدعوة أبنائهم إلى الحضارة الحديثة إلا أن بعضهم الآخر قد أبدى عدم إعجابه بتلك الحضارة الحديثة ولعله دعا أبناءه إليها مجبراً

---

(٣) نقلا عن: رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – صـــ ١٣٤.

(١) رسائل إلي أولادي – منيف الرزاز – صـــ ٨٩.

لما رآه من ضرورة مواكبة التطور الذي أصاب المجتمع ، لذا وجدنا بعض الآباء رغم دعوته في مواضع مختلفة من رسائله إلى مواكبة الحضارة الحديثة وجدناه في موضع آخر يقر بعدم رضاه عن ذلك حيث يقول: (وصدقوني حين أقول إنني لست مقتنعاً بأفضلية أساليب التعليم الحديثة) بل وصل به الأمر إلى أنه حمل مسئولية الانحلال والانفلات الأخلاقي الذي أصاب المجتمع العربي إلى الحضارة الحديثة فجعل هذا الانفلات الأخلاقي مما (صدرته إلينا الحضارة الغربية في وجوهها المنحطة المنحلة).

كما وجدنا بعض الآباء يشير إلى بعض الجوانب الغريبة المستحدثة التي لا يرضى عنها والتي لا يتمنى أن تنقل إلينا وإلى مجتمعنا منتقداً إياها وداعياً الأبناء أن ينبذوها حيث يقول: (لم يكن لرأس السنة مناسبة ، ولا لوسطها ، ولا لآخرها – هجرية وميلادية وشمسية – وما يمكن أن يمتد إليه التعود ، واحتمالاته بين أمم الأرض ، وبعد تبدل النظرة في بلادنا إلى هذه المناسبات والانتهاء بها إلى حد الاقتصار من جميع الأعياد والمناسبات الموروثة والمحدثة ، على عيدي النحر والفطر .. لم يبق هناك ما يعترف به)[٢] ، فالوالد يبين عدم رضاه عن تلك المستحدثات الغربية التي دخلت مجتمعنا العربي وأصبحت من عاداته التي يتمسك بها أبناؤنا، لذا يوجه النصيحة إلى أبنائه وأبناء الجيل كله بأن يتركوا هذه العادات الدخيلة علينا وأن يردوا إلى عاداتنا العربية الأصيلة رداً جميلاً.

ومن خلال ما سبق تبين لنا موقف المجددين من الحضارة الغربية الحديثة فوجدنا طائفة قليلة منهم دعت الأبناء إلى الأخذ بالحضارة الحديثة بكل أشكالها دون حدود أو قيود لما يرون في ذلك من مناسبة للعصر وما فيه من مستحدثات ، كما وجدنا طائفة أخرى وهي الأغلبية من المجددين لا تجد مانعاً من الأخذ بالحضارة الحديثة ولكن بشرط ألا يتعارض ذلك مع الأخلاق العربية والشرقية فطلبوا من الأبناء أن يأخذوا منها ما هو مفيد وأن ينبذوا ما هو ضار ولا يناسب مجتمعنا العربي والإسلامي خاصة فيما يتعلق بهم من عادات وتقاليد غربية وكان بعض الآباء يطلب من أولاده أن يأخذوا من الغرب العلوم

(٢) رسائل إلى ابنتي شيرين – حمزة شحاته – صـ ١٥٢.

الحديثة التي برعوا فيها والفنون الجديدة التي اشتهروا بها ، ولا يأخذوا منهم الأخلاق والسلوك التي لا مكان لها في مجتمعنا والتي لا ترضاها بيئتنا ولا يرضاها ديننا.

ومما يلفت النظر عند بعض المجددين أنهم رغم دعوتهم إلى مواكبة الحضارة الحديثة إلا أنه في بعض الأحيان تظهر عندهم بعض المخاوف من سلبيات تلك الحضارة الحديثة التي يعيش الأبناء فيها ، وقد أظهر بعض الآباء مدى خوفه على ولده من التيارات المتعددة التي يعيش الابن قريباً منها في بلاد الغرب نظراً لدراسته هناك حيث يقول: (أي بني: أشد ما يقلقني عليك في هذه الأيام وجودك وسط تيارات تتنازعك ، وأمواج تتقاذفك وأخشى أن تتغلب عليك فتغرقك وأن تنال منك فتميتك فكم رأيت لها من ضحايا أزعجتني ، ومن مشاهد غرقى أفزعتني ، وإني أرجو لك من صميم قلبي السلامة والنجاة من هذه الأمواج).[1]

ومن هنا يتبين موقف أحمد أمين من الحضارة الحديثة فهو ليس ضدها بل هو من مؤيديها ولكن بشرط ألا تمس تلك الحضارة الجانب الديني بل يجب الأخذ منها بما يتناسب مع ظروف المجتمع والبيئة العربية وعدم الانجراف وراء التيار الغربي حتى لا ينسي الأبناء عادات قومهم وبيئتهم التي هي نابعة من روح الإسلام وفى ذلك يقول لولده: (خير ما تواجه به هذا الزمان ، سعة دراستك ووقوفك على حقائق الشرق والغرب ، وانتفاعك بما في كل من مزايا).[1]

ويمكن القول بأن أحمد أمين نفسه قد طبق على نفسه تلك القاعدة فإلى جانب نشأته الدينية المحافظة وقراءته وإطلاعه على كثير من كتب التراث عكف أيضا على دراسة الثقافة الأجنبية من خلال قراءاته المتعددة لبعض الأدباء الغربيين ومن خلال خبرته التي اكتسبها من أسفاره إلى أوروبا وتعرفه على طبائع الأوربيين فأخذ منها ما رآه مناسباً مادام لا يتعارض مع نشأته العربية السليمة.

---

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ٣٠ .

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ٥٤.

وعلى الرغم من اهتمام المجددين بدعوة أبنائهم وتوجيههم إلى الحضارة الغربية الحديثة إلا أن بعضهم يرى أنها مدنية وحضارة مزيفة لأنها ليس فيها إسعاد للبشرية وفي ذلك يقول أحمد أمين: (فالمدنية الحقة إنما تقاس بإسعاد الناس لا بكثرة الاختراع ولا بكثرة التجارب ، نعم إن المدنية الغربية أكثر اختراعاً وأكثر تجارباً ولكنها ليست أكثر إسعاداً للناس فكثرة حروبها وكثرة تكاليف الحياة عندها وكثرة مطالبها جعلتها أشق على الحياة وأفقدتها قيمتها في السعادة).[٢]

ومن خلال ما سبق يتبين لنا موقف المجددين من الحضارة الغربية وقد ظهر أن بعض الآباء انساقوا وراءها ودعوا أبناءهم إلى الانسياق وراءها دون ضوابط ، وكان على رأس هذه الطائفة أحمد حافظ عوض وأن البعض الآخر لم يجد مانعاً من الأخذ منها مادام ذلك لا يتعارض مع المبادئ والعادات والتقاليد العربية والإسلامية ، وكان من أبرز هؤلاء الآباء (أحمد أمين ، نعمات فؤاد) كما ظهرت طائفة أخرى تبدي مخاوفها من آثار تلك الحضارة إلا أنهم لم يرفضوها رفضاً قاطعاً نظراً لحاجة المجتمع الحديث إليه وكان من هؤلاء الآباء منيف الرزاز.

ثانياً: قضية التعليم ... الواقع والمثال:ـ

إن سعادة الإنسان الحقيقية تتحقق بالعلم فبه يحيا الإنسان سعيداً هادئ البال ، قرير العين ، وبه يستطيع المرء أن يحقق ذاته ، ويحقق شخصيته وكيانه العقلي ، لذا فإن قضية التعليم قد شغلت بال كثير من الأدباء والكتاب وكان على رأسهم طائفة الآباء الذين كتبوا لأبنائهم ، فقد اهتم كثير منهم في رسائلهم لأبنائهم بتلك القضية وركزوا عليها تركيزاً شديداً ولعل ذلك راجع إلى علمهم بما لهذه القضية من أثر كبير في تكوين وبناء الشخصية ، ولعل المجددين كانوا أكثر اهتماماً من المحافظين بتوجيه أبنائهم إلى التعليم خاصة العلوم الحديثة وقد اعتبر أحد الآباء المجددين لذة العلم والبحث والقراءة والدرس من أرقى اللذائذ حيث يقارن بينها وبين اللذة المادية ويرى أن الأولى تفوق الثانية حيث

(٢) السابق – الصفحة نفسها.

يقول: (وأرقى من هذه درجة لذة العلم والبحث والقراءة والدرس فهذه لذة العقل وتلك لذة الجسم وهذه أطول زمناً وأقل مؤنة وأبعد عن المنافسة والمزاحمة ، والتقاتل والتكالب ، وصاحبها أقل عرضة لتلف النفس وضياع الصحة ، وإن أردت الدليل على أنها أرقى من اللذائذ المادية فاسأل من جرب اللذتين ومارس النوعين تجد العالم الباحث ، والفنان الماهر، والفيلسوف المتعمق لا يهمهم مأكلهم وملبسهم بقدر ما يهمهم لذتهم من بحثهم وفنهم وتفكيرهم).[1]

وما من شك في أن قضية التعليم والاهتمام به قضية قديمة وليست حديثة فقد اهتم بها الأدباء على مر العصور فليست من مستحدثات العصر ولا هي من الموضوعات المستحدثة ، إنما دعوة الآباء إلى العلم دعوة قديمة ومتكررة في كل عصر من العصور ومصر من الأمصار ، ولكن طريقة تناول الموضوع هي التي تختلف من عصر إلى آخر ، فعندما تحدث المجددون عن تلك القضية تناولوها من عدة محاور أساسية متمثلة فيما يلي:-

- **الدعوة إلى طرق التعليم الحديثة.**
- **الدعوة إلى التثقف باللغات الأجنبية.**
- **تشجيع الاهتمام بالعلوم الحديثة والثقافة العامة.**

❋ الدعوة إلى طرق التعليم الحديثة:-

إذا كانت قضية التعليم من القضايا الملحة على الكتاب والتي لا يخلو عصر من العصور من مناقشتها فإن طرق التعليم هي التي تختلف من عصر إلى آخر حسب إمكانيات وظروف ذلك العصر ، ولما كان العصر الحديث عصر التطور والتنوير والانفتاح بين الثقافات المختلفة فقد أصبح للتعليم طرق متعددة لابد من اتباعها والسير عليها حتى يقف المتعلم على أحدث ما وصل إليه العلم الحديث ، ولما كان أحمد حافظ عوض [1] أحد رجال التعليم آنذاك فقد ظهرت دعوته إلى التجديد في مجال عمله حيث ركز في تلك

---

(١) إلى ولدي - أحمد أمين - صـ ٥٠.

(١) أحمد حافظ عوض: سبقت ترجمته في صـ ٤٤ من هذه الرسالة.

الرسائل على أهمية التعليم وطرقه المختلفة التي تواكب تطور هذا العصر فهو يرى أن لكل عصر وزمان ما يناسبه من طرق التعليم وفي ذلك يقول: (وليس مما يحتاج إلى إقامة دليل أو مناقشة إيضاحية ، أن التربية والتعليم للناشئين يجب أن يناسبا زمانهما وظروفهما ، فالعلوم والمعارف والتهذيب والأخلاق التي كانت لازمة لنجاح شخص وفوزه في زمن المأمون العباسي وعصره الزاهر ، ليست أبداً هي المعارف والصفات التي تمكنه من الظهور في هذا العصر ، الذي اشتدت فيه المنافسة وصارت علومه وآدابه في حالة تستدعي تربية خاصة).[٢]

لذا وجدناه ينبذ طرق التعليم المتعارف عليها في قطرنا العربي لأنه يرى بأن تلك المدارس ليست بالكفاءة التي تخرج جيلاً قوياً وفي ذلك يقول: (كما أنه لا يصح أن يتصور أحد أن ما يتلقاه أبناؤنا في مدارسنا المعروفة في بلادنا هو وحده مما يؤهلهم لأن يكونوا من رجال هذا العالم ، لأن مدارسنا ولا أخفيك الحقيقة ، بل ولا أخفيها عن الناس أجمعين ، لا تصلح إلا لإعداد طبقة من الأفندية الذين يقرأون ويكتبون ويلهجون بألفاظ من اللغات الأجنبية وهم كيفما أجادوا الكلام بها لم يدخلوا في روحها ولم ينهلوا من آدابها وعلومها)[٣] ، فهو يرى بما لا يدع مجالاً للشك أن الكثير مما يتعلمه الأبناء في مدارسنا لا يفيدهم في حياتهم وإن كان الوالد على علم ويقين أن ولده كسائر أبناء الجيل مسيرون لا مخيرون في السير في هذه الطرق التعليمية ، ولكن هذا لا يمنعه من أن يرسم له الخطط والأساليب المتطورة للتعليم ، ويلفت نظر ولده إلى بعض النقاط التي قد تنفعه في مستقبل الزمان في تربية أنجاله والعناية بتعليمهم ولقد كان من أهم الطرق التعليمية التي دعا المجددون إلى نبذها طريقة الحفظ التي كانت شائعة في الوسط التعليمي في تلك الفترة وقبلها ، واستبدالها بطريقة أخرى أكثر فائدة وأعم نفعاً ألا وهي (ملكة التفكير والبحث والاستقراء) حيث يرون أن طريقة الحفظ فيها جمود وتحجر في حين أن التفكير والبحث والاستقراء فيه تثقيف للذهن وإعداد لمقابلة الحوادث والأمور المختلفة لذا نجد الوالد يدعو

---

(٢) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ١٩.

(٣) السابق – صـ ١٩ ، ٢٠.

ولده إلى الاهتمام بتلك الطريقة قائلاً: (هذه الملكة التي أشرت إليها بغاية الاختصار وتربيتها في نفسك ، أفضل لك مائة ألف مرة من كل ما تحفظه من أقوال المتقدمين والمتأخرين لأن ما تأخذه عنهم ، وتحفظه منهم ، إنما هو عارية ، أما تكوين ملكة البحث والاستقراء فهو منك ولك وهى التي تنفعك في مستقبل حياتك فضلاً عن أنها ألزم الصفات وأولى الوسائل في تلقى علومك ، وتكوين خلقك)[1] ، فالوالد يرى أن تلك الملكة تساعد على تربية الذهن تربية واسعة مطلقة تعوده حل المشكلات وتصريف الأمور والنظر في مسائل الحياة المختلفة ، كما يرى الوالد أن هذه الملكة هي التي تصنع الرجال وتبني العقول حيث يقول: (وتأكد أن الرجل لا يكون عالماً راضياً إلا إذا كان في رأسه عقل يصلح لكل علم ولكل عمل ولكل وظيفة ولكل ظرف وحال ، وهذا العقل الراقي الواسع هو الذي يجعل صاحبه مستعداً لمقابلة الحوادث وتصريف الأمور وحل المشكلات لا يربى بحفظ أسماء البلدان والأنهر ، ولا بأسماء الملوك والقواد ، ولا بالإعراب والإنشاء ، ولا برطانة أجنبية أو تلاوة عبارات أدبية أو علمية أو فلسفية).[2]

ولما كان الأمر كذلك وجدنا الوالد يوجه النصيحة إلى كل أب وأم بأن يهتموا بتوجيه أبنائهم إلى الاهتمام بتلك الطريقة التعليمية ومحاولة تنميتها عندهم لأنها في نظره هي الأنفع والأصلح وفي ذلك يقول: (لو أن كل أب أو والدة أو مربية ، وكل أستاذ ومعلم ، بل وكل ناشئ يوجه نظره إلى شحذ القريحة ولفت الذهن إلى التفكير والتأمل والقياس والاستنتاج والملاحظة والمقارنة في كل ما يعرض على النظر ، أو يقع تحت الحس لنمت في الناشئين تلك الملكة العالية التي هي روح التربية ، والتي لا تتم تربية بغيرها)[1] ، وقد اهتم المجددون بذكر بعض الأشياء التي تعمل على تنمية العقل وتثقيف الذهن من أهم هذه الأشياء الثقافة العامة وفي ذلك يقول أحد الآباء لولده: (أي بني لا تظن أنك تستطيع أن تكون مهندساً عظيماً بقراءتك في الهندسة وحدها ، ولا أن يكون زميلك طبيباً عظيماً

---

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ١٦.

(٢) السابق – صـ٢١.

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ٢١.

بقراءته في الطب وحده ، فالعقل وحده وثقافته في أي موضوع آخر يفيده في الموضوع الذي تخصص فيه، فكم أتت فكرة هندسية عظيمة من قراءة كتاب في الأدب ، أو في الاجتماع ، وكم أتت فكرة طبية سامية من ثقافة اجتماعية أو فلسفية).[٢]

ولما كان المجددون حريصين كل الحرص على توجيه الأبناء إلى كل ما ينفعهم في مراحل تعليمهم المختلفة وجدنا بعض الآباء يقدم لولده العديد من الوسائل التي تساعده على التفوق من أهم هذه الوسائل تقوية عاطفة الحب بين الطالب والمعلم فإن هذا الأمر يساعد على الفهم ، وفي ذلك يقول الوالد ناصحاً ولده بقوله: (أن توجد بينك وبين أساتذتك جميعاً لا فرق بين معلم الخط ومعلم اللغة ، عاطفة ميل وانعطاف وشعور بأنك من الواحد منهم في مترلة الابن من أبيه).[٣]

ويؤكد الوالد من خلال خبرته في مجال التعليم أنه (حين توجد تلك العاطفة وذلك الشعور بين التلميذ وأستاذه ، تخف متاعب الاثنين في الفهم والتفهيم وتوجد عند التلميذ من جراء ذلك الميل رغبة شديدة في تلقف ما يلقيه عليه المعلم ، وشغف كبير بالإضافة له والاستفادة منه ، وكذلك يشعر الأستاذ نفسه دائماً بأن هذا التلميذ جزء من متممات وظيفته ، فلا يستريح له خاطر إلا إذا تأكد أن هذا التلميذ الذي يشعر نحوه هذا الشعور ويحس تجاهه هذا الإحساس قد فهم ووعي ما ألقاه من الدرس والإيضاح) ، وكذلك من أهم الوسائل التي ذكرها الوالد لكي تساعد الأبناء تحصيل العلم وهي مرتبطة بعاطفة الحب أيضاً (حب العلم نفسه) فإن حب العلم الذي يدرسه الطالب ولاسيما الذي تخصص فيه يساعده على سهولة تلقيه وإقباله عليه وشدة فهمه له لذا نجد الوالد ينصح ولده بحب العلم قائلاً: (إنك لا تستطيع أن تنجح في تلقي العلوم ، ولا تستطيع أيضاً أن تُمضي زمن تعليمك باللذة والسرور والسهولة إلا إذا كنت محباً للعلوم مقبلاً عليها غير مسوق للتعلم بالعصا والضغط أو الخوف).

---

(٢) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ٥٨.

(٣) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ٢٣.

ومن طرق التعليم الحديثة التي دعا إليها المجددون في كتاباتهم لأبنائهم والتي يرون من وجهة نظرهم أنها الأنفع والأفضل في تعليم الأبناء الاهتمام بالتمرين البدني والإعداد الجسمي فإن العناية بالصحة وتقوية الأجسام ضرورية للوصول إلى الغاية من الحياة ، لذا وجدنا بعض المجددين يقدم التربية الجثمانية على التربية العقلية حيث يقول: (وفي نظري أن الصحة وتقوية الجسم هما أهم ما يلزم الاعتماد عليه والتدرع به، وقد يضع كثيرون التربية العقلية قبل الجثمانية في إعداد الناشئين لقطع مرحلة الحياة ، ولكني أعتقد أن التربية الجثمانية أولى بالتقديم خصوصاً وأن البدء في إعدادها منذ الصغر ضروري لأنه إذا فات وقتها لا يسهل الحصول عليها ، في حين أن التربية العقلية كما ظهر في كثير من الرجال النابغين قد يبدأ فيها بعد سن متقدم).

ولعل من أهم ما أثنى عليه المجددون من طرق التعليم الحديثة التي تتناسب مع المجتمع المتمدن هو التعليم الجامعي المتحضر والمتمثل في الجامعة الأمريكية التي أنشئت في بيروت فبعض الآباء المجددين يرى أن تلك الجامعة (تمتد في تشعباتها وتفرعاتها لتصبغ رأس بيروت كله بمنازله وسكانه وحوانيته وعاداته وتقاليده بصبغة الجامعة الأمريكية التي أصبحت نمط حياة ، ونموذج تفكير أوسع بكثير من مجرد معهد للدراسات الجامعية)[1] ، كما أن الوالد المجدد يرى أن تلك الجامعة بما تحويه من طرق التعليم الحديثة تقدم (للطالب العربي القادم من بيئاته المنغلقة المتخلفة التي لم تكد تتفتح بعد على الحياة الحديثة العصرية إلا في زوايا صغيرة شاذة من أركانها أسلوب تفكير ، وأسلوب حياة ، وأسلوب فهم ، وأسلوب تقويم للأمور والقضايا المحيطة بها ما كان بإمكان معهد عربي في ذلك الوقت أن يقدمه).

وإلى جانب النشاط الرياضي وجدناهم يدعون إلى النشاطات الأخرى المختلفة التي تقدمها بعض الجامعات الحديثة كطرق تعليم مبتكرة تساعد على نمو العقل ورقيه وهذه الطرق الحديثة يرى منيف الرزاز وهو أحد الآباء المجددين أنها الأنسب والأفضل في التعليم العصري لذا يقول عن الجامعة الأمريكية: (هنا تتلقى العلم ولكن أيضاً تمارس نشاطات

(١) رسائل إلى أولادي – منيف الرزاز – صـ ٨١.

عقلية في المكتبة ، في المحاضرات ، في الندوات ، في خطب الكنيسة ، في الوست هـــول ، في المناقشات العادية بين الطلبة والأساتذة وبين الطلبة بعضهم مع بعض ، هنـــا تمـــارس نشاطات رياضية ، كرة قدم ، سباحة ، بولنغ ، تنس ، كرة الطاولة ، بلياردو أو تتفـــرج عليها على الأقل ، هنا تمارس نشاطات فنية ، تمثيلاً وغناءً وموسيقى عربية وأجنبية ، هنـــا تنفتح سياسياً تشارك في العروة الوثقى ، في التنظيمات الطلابية ، في المناقشات السياسية ، هنا تتفكك من القيود الاجتماعية التي أحاطت بك عمره كله فتنشئ صداقات وعلاقات ، وتدرس مع فتيات ، وتحب من قريب أحياناً ومن بعيد أكثر الأحيان).

وهكذا وجدنا الآباء المجددين يهتمون بالطرق التعليمية الحديثة وتوجيه أبنائهم إليها لما يرون فيها من تناسب مع متطلبات العصر الحديث ولما لها من أثر كبير في الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية حيث أن طرق التعليم القديمة أصبحت لا تتناسب مـــع العـــصر الحديث وأصبح من اللازم وجود بدائل تناسب هذا العصر.

❋ الدعوة إلى التثقف باللغات الأجنبية:ـ

لم يقتصر الآباء المجددون على تحفيز أبنائهم وتوجيههم إلى المحافظة على التعليم على وجه العموم ، بل حاول بعض الآباء أن يضعوا أبناءهم على الطريق القويم بأن يوجهوهم إلى أنواع معينة من العلوم ظناً منهم أن تلك الأنواع هي الأفضل والأنفع لهم بـــل هـــي المناسبة لهم في هذا العصر وفي مستقبلهم لذا كان في طليعة ما دعا إليه الآباء أبنـــاءهم أن يهتموا به (تعلم اللغات) فقد عده بعض الآباء أمراً ضرورياً لمن يريد أن يتطلع للصعود إلى مراتب المجد ، وقد ذكر بعض الآباء السبب في أهمية (تعلم اللغات) حيـــث أرجعـــه إلى ظروف بلدنا وفي ذلك يقول الوالد: (نحن يا بني في بلد غريب في مركـــزه وأعجوبـــة في ظروفه وأحواله فهو قطعة من أفريقية ، كما هو قطعة من أوروبا ، بل هو إذا شئت كـــل أوروبا ، ولا مبالغة في هذا فقد قضت عليه ظروف الزمان أن يكون ملعباً لأوربا وســـوقاً رائجة لأهلها ، وطريقاً بين الشرق والغرب وصار من اللازم على كل ناشئ مصري يريد خدمة بلاده ورقي أمته ، ويتطلع للصعود إلى مراتب المجد في هذه الديار ، أن يتربي تربية

خصوصية تجمع بين المعارف الشرقية والآداب العربية والعلوم الغربية مع التمكن من كثير من اللغات الأوروبية).[1]

وقد جاء حرص المجددين على توجيه أبنائهم إلى تعلم اللغات دون المساس بالمحافظة على اللغة العربية فقد نصحوا أبناءهم بأن يأخذوا قسطاً وافراً منها مهما كانت مهنتهم ومهما كان العلم الذي يتخصصون فيه حتى وإن كان مجال عملهم وتخصصهم بعيداً عن اللغة العربية إلا أنه يجب عليهم أن يعطوا اللغة العربية الحظ الأول في دراستهم ، وإن كان بعض الآباء لا يتمنى لولده أن يقتصر على اللغة العربية وحدها ولا أن يكون من فطاحلها وأعلامها فهو يريد من ولده أن يكون ملماً باللغة العربية وعلى دراية كبيرة بها دون أن يتخذها شغله الشاغل وعمله الوحيد لأنه إذا فعل ذلك فإن والده يرى أنه سيعيش بائساً نادماً ، وفي ذلك يقول الوالد: (ولأنني لا أريد لك أن تنصرف بكل مجهوداتك للاقتصار على اللغة العربية لتكون من فطاحلها وأعلامها الذين يشار إليهم بالبنان وثقافها الذين يرجع إليهم في الدرس والتعليم ، لأن ذلك يقطع عليك سبيل الفوز على الأقران ، واكتساب الثروة والجاه العريض والمجد المؤثل ، اللهم إلا إذا توجهت نفسك إلى خدمة اللغة العربية ، وتضحية حياتك ومستقبلك في هذا الباب دون سواه ، فتلك غاية محمودة في ذاتها ، ولكني أصرح لك أنك ستعيش بائسا وتأسف على مجهودات بذلتها ، وأوقات قضيتها ، وتندم حين لا ينفع الندم).[1]

لذا حرص المجددون على تعلم أبنائهم اللغات المختلفة ووجه بعضهم الكثير من النصائح التي تفيد الأبناء وتسهل عليهم تعلم كثير من اللغات ، ومن هؤلاء المجددين الذين اهتموا بذلك الأمر (أحمد حافظ عوض) فقد وجه لولده كثيراً من الرسائل التي اهتم فيها بالحديث عن اللغات المختلفة وطرق تعلمها وقد وجه الوالد في تلك الرسائل كثيراً من النصائح التي تفيد ولده في تعلم اللغات الأجنبية ومن تلك النصائح قوله: (ومما أنصحك به

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ٣٤.

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ٤١.

في هذا الدور من المطالعة ، أن تقرأ لنفسك بصوت عال ليتعود لسانك على النطق بسهولة وتسمع أذنيك صوت اللغة فتألفه لسماع غيرك ، ولكي تقدر على الكلام بما تعوده لسانك من القراءة) [٢] ، ولم يقتصر المجددون على دعوة الأبناء لتعلم اللغات فحسب بل وجهوهم إلى كل العلوم المتعلقة باللغات فوجدنا بعض المجددين يكتب لولده رسالة بعنوان (الترجمة)[٣] وفيها يشرح الوالد لولده أهمية الترجمة ومدى صعوبتها حيث وصفها بقوله (والترجمة عمل شاق والتفوق فيها يحتاج إلى ممارسة طويلة ، ودقة في العمل ، وسلامة في الذوق ، وتمكن من اللغات التي تطلب الترجمة منها وإليها) ، ولم تكن هذه النصائح من الآباء للأبناء جزافاً وإنما كانت من خلال تجاربهم الخاصة لأن معظمها كان من صميم عملهم.

ولعل توجيه الوالد لولده إلى الاهتمام بالترجمة يعد في حقيقته دعوة إلى تعلم اللغات الأجنبية وإتقانها ويؤكد ذلك قول الوالد في نفس الرسالة: (إنك لا تجيد الترجمة وتمتاز فيها، إلا إذا كنت قد أتقنت كل الإتقان اللغة التي تترجم منها ، واللغة التي تنقل إليها).[١]

ثم ختم الوالد رسالته عن الترجمة بتوجيه بعض النصائح التي يجب توافرها في المترجم نفسه ومن ذلك قوله: (أما وقد أشرت إلى ما تتحمله من تبعة الترجمة ، فإنني أذكرك بأن أول واجبات المترجم الصدق والإخلاص وتأدية واجبه بكل أمانة وذمة).[٢]

وهكذا اهتم المجددون بتوجيه أبنائهم إلى الاهتمام بتعلم اللغات لما يرونه فيها من فائدة تعود على الابن في مستقبله وقد جاءت هذه النصائح بناء على تجارب الآباء في الحياة ، لذا قال أحد الآباء لولده: (بعد تجاربي في الحياة رأيت أن أوجه نظرك يا بني إلى

---

(٢) السابق – صـ ٥٩.

(٣) السابق – صـ ٧٢.

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ٧٤.

(٢) السابق – صـ ٨١.

تعلم اللغات والعناية بأمرها ، فإنك إن وفقت إلى تعلم لغات كثيرة فقد وضعت لنفسك الحجر الأساسي في بناء صرح مجدك المستقبل).

ولعل اهتمام الآباء المجددين بتعلم اللغات راجع إلى أن الآباء أنفسهم اهتموا بهذا الأمر وكانوا على قدر كبير من الإطلاع على اللغات الأجنبية فأحمد حافظ عوض عمل فترة في مجال الترجمة التي تحتاج ممن يعمل فيها أن يكون على دراية كبيرة بكثير من اللغات التي يترجم منها أو إليها ، وقد اعترف الآباء بأنهم لاقوا عناءً شديداً في تعلم اللغات لأنهم لم يجدوا من يأخذ بأيديهم إليها ويعينهم على معرفتها لذا حاولوا أن يتداركوا هذا الأمر ويكونوا عوناً لأبنائهم على تعلم اللغات المختلفة وفي ذلك يقول أحمد حافظ عوض مخاطباً ولده متحدثاً عن نفسه بقوله: (مارست الترجمة زمناً طويلاً وسبرت غورها ، وذقت حلوها ومرها ، ولو أني رزقت بمن أنار لي الطريق بمصباح خبرته لهان عليّ بعض أمرها ، فلعل آثار أقدامنا في رمالها – تلك الآثار التي أرسمها لك تهدي ضالاً إلى منهج الصواب وساحل السلامة).

كما نجد والداً آخر يتحدث عن نفسه مؤكداً أن تعلمه للغات وللترجمة كان له كبير الأثر في تشكيل ثقافته وتنميتها وفي ذلك يقول: (ومهما يكن من أمر فإن الدراسة باللغة الإنجليزية فتحت أمامي أبواب إمكانات القراءة بهذه اللغات خارج حدود اختصاصاتنا ، والإطلاع على ثقافة العالم من مصادرها أو مترجمة إلى هذه اللغات ترجمة أقرب إلى الصحة من ترجماتنا العربية ، وبدأت مكتبتي الإنجليزية على صغرها وتواضعها في البدء تكبر وتتوسع وقامت صلة مباشرة بيني وبين الثقافة العالمية ما كان لها أن تتقدم لو اختصرت هذه الصلة على ما يترجم منها إلى اللغة العربية ، لقلة ما يترجم من جهة ولسوء الترجمة في معظم الأحيان من جهة أخرى).[1]

كما وجدنا نفس الوالد ينتقد من لا يهتم بالترجمة أو يتعامل معها بدون اهتمام حيث يقول: (إن من المؤسف أن تكون عملية الترجمة إلى اللغة العربية تعامل بقدر من

(١) رسائل إلى أولادي – منيف الرزاز – تقديم/ مؤنس الرزاز – صـ ١٠٥، ١٠٦.

الاستهتار والاستخفاف باللغة المترجم عنها واللغة المترجم إليهـــا ، والقـــارئ العـــربي ، وبالثقافة نفسها حتى حين يتولاها أناس محسوبون على الأدب) ، لما يرى فيها من أهميـــة عظيمة في العصر الحديث.

وهكذا بدا اهتمام المجددين بتوجيه الأبناء إلى تعلم اللغات وحثهم على المحافظة على كل ما يساعد على تنمية اللغات الأجنبية كالترجمة وغيرها موجهين لهم كثيراً من النصائح التي تنفعهم وتساعدهم على تعلم اللغات وإتقانها ، ولعل هذا يعد من صميم دعوة الآبـــاء المجددين لأبنائهم إلى الاهتمام بالثقافة الغربية.

❋ تشجيع الاهتمام بالعلوم الحديثة والثقافة العامة:-

لم يهتم المجددون بدعوة أبنائهم إلى الاهتمام بالعلوم القديمة أو بالعلوم الدينية، بـــل اهتموا بتشجيع الأبناء على الاهتمام بالعلوم الحديثة التي تناسب العصر الحـــديث وتفيـــد المجتمع، ومن أهم العلوم التي شجع المجددون أبناءهم للاهتمام بها (علم التاريخ) وإن كان أحد المجددين في تشجيعه لولده على دراسة هذا العلم يذكر أنه لا يحب لولده أن يتخذ من هذا العلم حرفة أو مهنة بل يطلب منه أن يتعلمه للمعرفة والإطلاع إذ هو من ألذ العلـــوم والفنون فهو قصص الأمم الغابرة وتصوير لحياة الرجال النوابغ فهو يرى أن علم التـــاريخ (من الفنون التي تبعث فينا الرغبة إلى التحلي بالفضائل لما نقرأه عن عظماء الرجال الـــذين امتازوا بالصفات العالية الفاضلة مما كان سبباً لتخليد أسمائهم ونقشها علـــى الأحجـــار الأبدية).[1]

وبعد أن كتب الوالد رسالتين في علم التاريخ أفرد رسالة أخرى بعنـــوان (العلـــوم الطبيعية)[2] وأخذ يحث فيها ولده على الاهتمام بالعلوم الطبيعية ويبين فيها قيمـــة تلـــك العلوم حيث يقول عنها: (هذه هي العلوم التي يدور عليها اليوم محور العالم أجمع ، وهـــي

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـــ ٨٣ ، ٨٤.

(٢) انظر: السابق – صـــ ٩٣ وما بعدها.

العلوم التي حلت في المترلة الأولى ، وأصبح كل ما سواها من المعارف في الدرجة الثانية بلا نزاع).

وأخذ الوالد يذكر لولده الكثير من المنافع التي تعود على المجتمع كله من دراسة تلك العلوم والاهتمام بها إذ هي متشعبة في كثير من العلوم الأخرى التي تخدم الجنس البشري وفي ذلك يقول: (فالمحافظة على الحياة، وحفظ الصحة ، ووقاية الإنسان من الأمراض القاتلة ، والأوبئة الفاتكة ، وتربية الأولاد ، ورفاهية بني الإنسان تحتاج في مقدمة كل شيء إلى معرفة هاتيك العلوم الطبيعية كالطب والجراحة وعلم الأدوية والكيمياء وعلوم الكهرباء والهواء والماء، وما في جوف الأرض من معادن وعناصر ، ولا سعادة للإنسان في هذا الزمان، بل ولا تحسن المعيشة فوق هذه الكرة الأرضية إلا بالوقوف على هاتيك العلوم الطبيعية).

وإن كان الوالد يعيب على مدارسنا قلة الاهتمام والعناية بتلك العلوم في الوقت الذي تولى اهتمامها بعلوم أخرى أقل فائدة من تلك العلوم لذا ينصح ولده بأن ينصرف إلى هذه العلوم بكل ما أوتي من قوة حيث يقول: (وإني يا بني أريد أن أبين لك أهمية العلوم الطبيعية لكي تنصرف إليها بكل ما أوتيت من ذكاء ونشاط ، وإني أتشدد في هذه النقطة لأني أعلم أننا في المدارس لم نكن نعير العلوم الطبيعية مثل هذا الاهتمام الذي كنا نوجهه إلى دراسة الآداب وما فيها من لذة عقلية ومباحثات ومجادلات أدبية وفكاهية).[1]

ومما تجدر الإشارة إليه أن دعوة المجددين لأبنائهم إلى الاهتمام بالعلوم الطبيعية تعد في حقيقة الأمر إحياءً للتراث سواء قصد المجددون ذلك أم لم يقصدوا لأن معظم هذه العلوم الطبيعية كانت مما برع فيه علماء العرب في مختلف العصور فإحياء تلك العلوم يعد إحياءً لما برع فيه القدماء في علوم مختلفة كالطب والفلك وغير ذلك من العلوم الأخرى ولكن للأسف لم يعترف المجددون بهذه الحقائق.

(١) من والد إلى ولده - أحمد حافظ عوض - صـ ٩٦.

ومما لفت المجددون النظر إليه في دراسة العلوم الطبيعية أن التعمق في دراسة تلك العلوم تزيد من يقين صاحبها بوحدانية الله ﷻ وقدرته وفي ذلك يقول أحد الآباء المجددين مخاطباً ولده: (ولطالما خلط قوم فقالوا إن الانكباب على دراسة العلوم الطبيعية والتعمق فيما يُبعد الإنسان عن القصيدة الدينية ، وهذا نهاية الخطأ والخطل فإن الإنسان كلما ازداد علماً بأسرار الطبيعة ، كلما ازداد يقينه بإجلال ذلك الموجد العظيم سبحانه جل شأنه).[٢]

كما وجدنا الوالد يشجع ولده على أن يجعل من دراسته للعلوم الطبيعية تحقيقاً لهذا الهدف حيث يقول: (ولتكن عنايتك بدراسة العلوم الطبيعية مقرونة بحب الاستطلاع ورغبة الوقوف الصحيح على أسرار الطبيعة وجلالها ، وتقديس خالقها وموجدها).

ونظراً لاهتمام المجددين بالعلوم الطبيعية وجدنا بعض الآباء يوجه أبناءه ويتمنى لهم أن يتخذوا من العلوم الطبيعية أو أحد فروعها حرفة ومهنة حيث يقول: (وإني لأرجو أن تبذل منتهى الهمة والعناية في دراسة العلوم الطبيعية لأني أميل كثيراً إلى اتخاذك صناعة الطب حرفة لك في مستقبل أيامك).[١]

وقد أدرك بعض الآباء المجددين حتمية تلك العلوم الطبيعية فاتخذوا منها مهنة وحرفة وكان من هؤلاء المجددين الذين اتخذوا من العلوم الطبيعية حرفة ومهنة (منيف الرزاز) حيث درس الطب وعمل طبيباً ، ولعل ذلك راجع إلى إدراكه قيمة العلوم الطبيعية ومدى أهميتها ورفعتها في حياة الإنسان.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المجددين رغم دعوتهم الملحة إلى التعليم وتحصيله بكل طرقه وأنواعه إلا أنهم لم ينسوا شيئاً مهماً وهو أن العلم وحده لا يكفي لأن يكون الإنسان ناجحاً في حياته بل لابد أن يكلل هذا العلم أخلاق سامية وسلوكيات طيبة يتحلى بها صاحب هذا العلم ولا يستطيع اكتسابها من العلم الذي يتعلمه وفي ذلك يقول أحد الأدباء

---

(٢) السابق – صـ ٩٩.

(٢) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ١٠٠.

لافتاً نظر ابنه إلى هذه الحقيقة: (إن العلوم والمعارف ، وسعة الإطلاع ، والتهذيب التام ليست وحدها كفيلة بنجاحك إذ يلزمك التحلي بأخلاق وصفات ومظاهر لا اتصال لها بالعلوم والمعارف ولا بالكتب والمباحث ولا بالبلاغة والفصاحة).[٢]

فهذا إن دل فإنما يدل على أن طائفة المجددين كانت تعني بحسن تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة صالحة ينتفعون بها في حياتهم وينتفع بها غيرهم ممن يعاشرهم في مجتمعهم.

ومما حرص المجددون عليه في نصائحهم لأبنائهم محاولة الآباء أن يغرسوا في نفوس أبنائهم حب الصدارة والتميز على الأقران وقد تكرر ذلك في كثير من كتابات المجددين ولاشك أن هذا الأمر له نتائج نفسية كبيرة يظهر أثرها على مدى تحصيل الأبناء للعلم وفي ذلك يقول أحد الآباء مخاطباً ولده: (وأنا إنما أريد لك الميزة على الأقران ، والتقدم في الصف الأول، أو تكون الرجل الذي يشار إليه بالبنان، أو كما يقول بعضهم "المنارة العالية التي يهتدي بها في الليل، والصخرة المتينة التي ينحط عليها السيل" وذلك لا يكون إلا إذا كنت في كل ما تتعلم، وفى جميع ما تتوجه إليه رغبتك ، وتنصرف إليه بغيتك ، سباقاً إلى الغايات ، فإما الصدر وإما القبر ، وحياة الوسط بين هذين ، اشتراك مع العامة ، وخور في الطبيعة).[١]

وإلى جانب دعوة المجددين إلى العلوم الحديثة وجدنا بعضهم يرى أنها ليست وحدها هي الكافية لتنمية العقل وتغذيته بل لابد من تغذيته بالمعلومات العامة والثقافات المختلفة ومن هنا انتقد بعض الآباء المجددين هؤلاء الذين يهتمون بهذا الجانب من التعليم ويهملون جوانب أخرى كثيرة لها أثرها الكبير في تكوين الشخصية أو يستبدلوا تلك المعارف القيمة بأشياء أخرى رخيصة لا تنفعهم ولا تنمي مواهبهم الثقافية والفكرية ، وفي ذلك يقول أحد الآباء: (إنك إنسان قبل أن تكون مهندساً أو طبيباً أو تاجراً أو نحو ذلك وإنك إنسان ذو عقل كما إنك إنسان ذو معدة ، وكما يجب عليك تغذية معدتك يجب عليك تغذية

---

(٣) السابق – صـ ١١٣.

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ٦٠.

عقلك ، وليست الهندسة أو الطب أو نحو ذلك تغذي عقلك إلا في ناحية محدودة ضيقة ، إن الهندسة تغذي مجموعة صغيرة من الغدد في المخ ، أما سائر الغدد فلا تجد غـــذاءها في الهندسة ولا الطب إنما تجد غذاءها في المعلومات العامة والثقافة العامة ولذلك كثيراً ما تجد مهندسين أو أطباء أو نحوهم وهم مع معرفتهم الواسعة بمهنتهم عوام أو أشباه عوام فيمـــا عدا فنهم الذي تخصصوا فيه ، تسمع جدالهم أو آراءهم في غير فنهم فيضحك حـــديثهم كما يضحك حديث من لم يتثقفوا).[٢]

كما نجد الوالد في موضع آخر في نفس الرسالة يحث ولده على الاهتمـــام بملكـــة القراءة والإطلاع والثقافة العامة حيث يرى أن ذلك من أهم أسباب النجاح وفي ذلـــك يقول: (أي بني! لا تظن أنك تستطيع أن تكون مهندساً عظيمـــاً بقراءتـــك في الهندســـة وحدها ، ولا أن يكون زميلك طبيباً عظيماً بقراءته في الطب وحده ... فالعقل وحـــدة ، وثقافته في أي موضوع آخر يفيده في الموضوع الذي تخصص فيه فكم أتت فكرة هندسية عظيمة من قراءة كتاب في الأدب أو في الاجتماع وكم أتت فكرة طبية سامية من ثقافـــة اجتماعية أو فلسفية).[١]

وتؤيد ذلك أيضاً الدكتورة نعمات فؤاد حيث تؤكد لابنتها أن الثقافة العامة لا غنى عنها وأن التخصص في مجال واحد لا يكفي لتنمية العقل بل لابد من المزج بين الثقافـــات المتعددة وفي ذلك تقول الأم لابنتها في إحدى رسائلها: (الثقافة آفاق وأعماق ، وإذا كان النجار يستعمل أكثر من آلة فأولى بالمثقف أن يعرف أكثر من علم ، أكثر من لون مـــن ألوان المعرفة في عملية التنمية للنفس ، فإن لم تثمر المقررات الطويلة نماء النفس فلا غنـــاء فيها ، إن الثقافة ليست التخصص لأنه اذا اقتصر أو اقتسر، انغلاق أو جمود عند نقطـــة واحدة ضيقة كما أوضح هذا شبنجلر في كتابه "تدهور الغرب" ، إن الطبيب بالجزء الذي يعالجه ، فالذي يعالج الأذن أو الصدر أو العين ليس عالماً كاملاً ، وكذلك المهندس وسائر

(٢) إلى ولدي – أحمد أمين – صـــ ٥٦.

(١) إلى ولدي – أحمد أمين – صـــ ٥٨.

المهن الأخرى مهما درت على أصحابها ، ولكن المثقف هو الإنسان الكامل بما مازج نفسه من ثقافات وإدراكات وقيم شتى تعني وحدة البشر).[٢]

ومن خلال ما سبق يتبين أن المجددين اهتموا بتوجيه أبنائهم إلى العلوم الحديثة التي يرون فيها تناسباً مع المجتمع الحديث ، كما اهتموا بتوجيههم إلى الثقافة العامة لما لها من دور كبير في تنمية العقل وتثقيفه.

ثالثاً: الاهتمام بالنواحي الاجتماعية:ـ

يعد المجتمع جزءاً أساسياً من الحياة التي يعيش فيها الإنسان ولا يستطيع إنسان أن يعيش في مجتمع دون أن يتأثر به ويشعر بمشكلاته التي تعد جزءاً من مشكلات الإنسان ذاته ، ويعد هذا الأمر أكثر ظهوراً عند طائفة الأدباء دون غيرهم لأن (الفنان من حيث هو فرد يعيش في بيئة اجتماعية خاصة فمن شأن هذه البيئة أن تؤثر فيه وتهذبه وتصقله وتطبعه بطابعها وتسبغ عليه مميزاتها وخصائصها ، وسواء كانت هذه البيئة مجتمعاً أرستقراطياً أم قبيلة بدوية أم مجتمعاً ديمقراطياً فإنها ستكون الوسط الذي ينشأ فيه فنه وتتكون فلسفة حياته ويستمد منها تجاربه وموضوعاته وتتضح فيه عبقريته)[١] ولما كان الأدب تعبيراً عن المجتمع فإن الأدباء وخاصة طائفة الآباء الذين كتبوا لأبنائهم وعلى رأسهم المجددون لم يغفلوا قضايا المجتمع في كتاباتهم بل اهتموا بالعديد منها وذلك لثقتهم أن تلك القضايا تفيد الأبناء في حياتهم ، وقد أخذ اهتمامهم بالجانب الاجتماعي شكلين مختلفين ولكنهما في النهاية يصبان في الجانب الاجتماعي.

أما الشكل الأول فهو دعوة الأبناء وحثهم على المشاركة الاجتماعية الفعالة ، إذ أن الوالد يتمنى أن يرى ولده عضواً بارزاً في المجتمع يشار إليه بالبنان ويذيع صوته في كل المجالات خاصة مجاله الذي يتخصص فيه.

---

(٢) إلى ابنتي – نعمات أحمد فؤاد – صـ ١٢٢ ، ١٢٣.

(١) على هامش الأدب والنقد – د. على أدهم – ط١ – دار المعارف – ١٩٩٨م – صـ ١٥٩.

أما الشكل الثاني فهو توجيه الآباء لأبنائهم إلى الرقي في التعامل والارتقاء بالسلوك ومحاولة نشر تلك السلوكيات بين طبقات المجتمع كله ، أو على الأقل محاولة الأبناء أن ينشروا هذه السلوكيات الحسنة في بيئاتهم الصغيرة تمهيداً لبثها في المجتمع بأكمله.

❋ الحث على المشاركة الاجتماعية الفعالة:-

لاشك أن المجتمع له أثره الكبير في تكوين حياة الإنسان وثقافته لذا حرص الآباء المجددون على أن يحدثوا نوعاً من التفاعل بين الأبناء ومجتمعهم الذي يعيشون فيه حتى لا يكون الأبناء في منأى عن مجتمعهم وما يدور فيه من أحداث مختلفة ومن هنا حاول بعض الآباء المجددين أن يربطوا أبناءهم بأحداث المجتمع ويحثوهم على المشاركة الفعلية بكل ما يستطيعون في الحياة الاجتماعية التي تمثل جزءاً كبيراً في حياة الإنسان والتي يدخلها كثير من المناحي الأخرى.

ولعل ظهور طائفة المجددين ممن كتبوا لأبنائهم جاء في فترة عصيبة على معظم البلدان العربية ما بين احتلال واستعمار في بعضها ، وبين صراعات حزبية وطائفية في بعضها الآخر ، مما جعل بعض المجددين يهتم بتلك القضايا لأنه لاشك في أن لمثل هذه الأحداث أثراً كبيراً على المجتمع كله ، لذا وجدنا بعض الآباء يوجه لولده بعض النصائح في هذا المجال حيث يطلب من ولده أن يشارك في تلك القضايا ولكن بشرط ألا يكون لهذه المشاركة أثر على دراسته أو على مستقبله وفي ذلك يقول أحمد أمين لولده: (إني أرتضي لك الاشتراك في السياسة القومية والأعمال التي تعمل لنيل الأمة استقلالها وضمان تقدمها)[1] وهو في الوقت ذاته ينتقد بعض الطلاب الذين يشاركون في مثل هذه الأعمال بدون منفعة قومية واضحة ولا نتيجة مفيدة بينة بل يرى أن (الطلبة في مثل هذه الحال ، إنما يهدم بعضهم بعضاً من غير كسب واضح للأمة ، ولا تحقيق مصلحة عامة)[2] فهو يرى أن ذلك له أثره السيئ على المجتمع لأن أمثال هؤلاء الطلاب الذين ينشغلون بما لا

(١) إلى ولدى - أحمد أمين - صـ ٣١.

(٢) السابق - صـ ٣٠ ، ٣١.

فائدة منهم إما أن يرسبوا في امتحاناتهم فتضيع عليهم سنين من حياتهم (وإما أن ينجحوا بسبب التساهل في الامتحان فنكون قد منحنا الشهادات للعاجزين وأخرجنا للأمة طبيباً عاجزاً ومهندساً غير ناضج وزراعياً غير مستأهل وفي هذا أكبر الضرر على الأمة).

وعلى الرغم من توجيه الوالد إلى المشاركة في مثل هذه الأعمال السياسية التي تعود على المجتمع وعلى الأمة بالنفع إلا أنه ينصحه بأن لا تطغى مثل هذه الأعمال على اهتمامه بدراسته حيث يقول: (إني أفهم أن تكون طالباً في جامعتك أولاً ومتمرناً على السياسة ثانياً، أما أن تكون متمرناً على السياسة أولاً وطالباً فمناف لطبيعة الأشياء).[1]

ومن هنا حاول المجددون لفت أنظار أبنائهم إلى كثير من القضايا الاجتماعية ومحاولة المشاركة فيها ففي حديث أحد الآباء لولده في إحدى رسائله له وعنوانها (فلترحم العامل المسكين)[2] يلفت نظر ولده إلى الكثير من الآداب الاجتماعية التي قد يغفل عنها كثير من شباب الجيل حيث يقول لولده: (إني لأرجو أن تتسع رحمتك فترثى للمجرم الذي وقع في إجرامه ، وللغني الذي يبتز أموال الناس بل وللعاهرة التي اضطرتها حاجتها إلى أن تبيع جسمها ، ولرجال السياسة الذين قست قلوبهم فدفعوا الملايين من الناس إلى مجزرة القتال فكل إنسان في الوجود – فقيراً أو غنياً – يستحق الرحمة إذا اتسع أفقك وبعد نظرك).[3]

فالوالد يطلب من ولده أن يشارك في كل ميادين الحياة وأن يحاول الإصلاح الاجتماعي قدر استطاعته.

ولما كان معظم المجددين يكتب إلى أبنائه وهم يعيشون في مجتمعات غربية فقد حاول الآباء أن يوجهوا أبناءهم إلى أخذ ما هو مفيد من عادات المجتمع الذين يعيشون فيه لذا نجد بعضهم يقول لولده: (فأنصحك أن تتحرى وتدقق التحري في عادات القوم الذين

---

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ٣٢.

(٢) السابق – صـ ٧٥.

(٣) السابق – صـ ٧٧ ، ٧٨.

نزلت بينهم ، وتختار منها أحسنها)[٤] ويكرر تلك النصيحة في موضع آخر حيث يقول: (وتعرّف عادات القوم واجتهد في أن تعتاد ما هو خير منها فالإنسان هو العادة).

ولم يقتصر دور الآباء على أن يحثوا أبناءهم على معرفة العادات الاجتماعية للمجتمعات التي يعيشون فيها فقط ، وكذلك لم يطلبوا منهم أن يعرفوا المشكلات الاجتماعية لمجتمعهم فقط ، بل طلبوا منهم أن يحاولوا أن ينقلوا ما استطاعوا من تلك العادات التي يرونها نافعة لمجتمعهم ويطبقوها قدر استطاعتهم حتى يستفيد منها المجتمع ، وأن يحاولوا جاهدين أن يحلوا مشكلات مجتمعهم ، فعندما تحدث أحد الآباء المجددين عن الدراسة في بلاد الغرب ذكر أن الدارسين في أوروبا من أبنائنا ينقسمون إلى ثلاث طوائف وبين أن هناك طائفتين منهما لم يعجب الوالد بهما ولم يرض عنهما ولم يتمن لولده أن يكون منهما وإنما أبدى إعجابه بالطائفة الثالثة وتمنى لولده أن يكون منها معللاً أسباب رضاه عن تلك الطائفة حيث يقول: (وهناك طائفة ثالثة هي التي تعجبني وهي التي أحب أن تسير على منهجها هؤلاء قد فهموا رسالتهم من بعثتهم على الوجه الأكمل فهموا أنهم إنما سافروا ليدرسوا علماً وليدرسوا خلقاً يحضرون لنيل الدكتوراه ويحضرون لشيء أسمى من الدكتوراه وهو دراسة الحياة الاجتماعية في انجلترا أو فرنسا أو ألمانيا أو أمريكا ويبحثون عن سر عظمة هذه الأمة ومواطن قوتها والفروق بينها وبين مصر ، وما يحسن أن تقتبسه مصر وما يحسن ألا تقتبسه)[١] فالوالد يعتبر أن فترة سفر الأبناء يجب ألا تستغل للدراسة فقط بل لابد أن يصحب الدراسة وعي كامل ومعرفة دقيقة بالحياة الاجتماعية في تلك المجتمعات ، يجب عليهم أن يتعلموا ويقتبسوا (من الحياة الاجتماعية في الجامعة ، ومن الحياة العائلية في البيت ، ومن الرحلات التي تنظمها الهيئات ، ومن الحفلات التي تقام في المناسبات ، ومما تقع عليه العين المفتوحة والقلب الواعي في الشوارع والحدائق والأمكنة العامة ونحو ذلك) فإذا استطاع الابن أن يحصل بعض الأخلاق والآداب الاجتماعية في ذلك المجتمع الذي عاش فيه ثم عاد إلى مصر حاول أن ينقل تلك العادات إلى مجتمعه وأن

---

(٤) السابق – صـ ٨٢.

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ١٩ ، ٢٠.

يطبقها فيه دون يأس أو قنوط يكون بذلك يحقق تلك المشاركة التي يتمناها الوالد منه والتي يقول فيها: (إنما أحب إذا عدت – وقد اكتسبت علماً ونفساً وقلباً – أن تنظر إلى عيوب قومك فترحمهم ، ونقائصهم فتشفق عليهم وتجتهد ما أمكنك في إصلاحهم فإن لم يمكنك الإصلاح العام ، فحاول الإصلاح في بيئتك الخاصة في طلبتك الذين تعلمهم والأساتذة الذين تخالطهم والبيت الذي تنشئه والصديق الذي تجالسه).[1]

ومن هنا فقد حاول المجددون أن يغرسوا في نفوس أبنائهم حب المشاركة في الحياة الاجتماعية حتى يكونوا أعضاء نابغين في المجتمع ومؤثرين فيمن حولهم ، وقد كان "العمل" من أهم ما دعا المجددون أبنائهم إليه ، فالحث على العمل يعد من أهم لبنات المشاركة الاجتماعية ففي رسالة الدكتورة نعمات فؤاد لابنتها تحت عنوان (الكفاح) وجدناها تحثها على العمل حيث تقول: (اعملي غنية أو فقيرة لتعرفي معنى العمل والأمل والهدف يتحقق فيولد هدف جديد).[2]

و لم تقتصر الأم على دعوة ابنتها إلى العمل فحسب بل تؤكد لها أن العمل ينمي الشخصية ويعمل على توسعة المدارك والعقول وفي ذلك تقول: (العمل الحر ميدان الرحب، معطاء للشخصية الخلاقة ، والكفاءة القادرة ، والكرامة التي لا تهون).[3]

كما ترى الأم أن للعمل فوائد كثيرة منها معرفة طبائع الناس من خلال الاحتكاك بهم وكذلك الإحساس بالعاملين الذين يعانون ويكدون في أعمالهم حيث تقول لابنتها: (اعملى لتعرفي طبائع النفوس فلا يلتبس عليك الزيف بالحقيقة ، اعملى لتعرفي معاناة العاملين وتعدلي في أحكامك على الخطأ والصواب فالجالس على البر عوام ، والنقد سهل على من يتمطى في الظل، بل إن وثارة كرسيه تغريه بالتهكم من الكادحين أو العنف

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ٢٢.

(٢) إلى ابنتي – نعمات أحمد فؤاد – صـ ٣٤.

(٣) السابق – صـ ٣٨.

عليهم ، إنه لم يجرب وأيضاً لم يسمع المثل الفرنسي القائل [إن الذين لا يخطئون هم الذين لا يعملون]).

❋ الحث على الرقي في التعامل والسلوك:-

تعد الآداب والأخلاق الاجتماعية جزءاً أصيلاً من آداب وأخلاق الإسلام، بل نجد لمعظم الآداب الاجتماعية إذا أمعنا النظر فيها أصلاً شرعياً ودينياً نادى به الدين الإسلامي الحنيف ، فالرقي في المعاملة ، والأدب في الحديث ، والجمال في الهيئة ، كلها أخلاق إسلامية يدعو إليها الإسلام منذ بزوغ فجره ، وإن اختلفت مسميات تلك الأخلاق وظن البعض أنها من أخلاق الغرب وعاداتهم المستحدثة إلا أنها في حقيقتها أقرب إلى العرب من الغرب ، إلا أن الآباء المجددين في دعوتهم إلى تلك الأخلاق لم يجلو الغبار عن هذه الحقيقة بل قدموا لأبنائهم تلك الأخلاق على أنها من عادات المجتمع الغربي ومن مستحدثات الحضارة الحديثة وهذا خطأ بين كان المجددون أكبر من أن يقعوا فيه ، فكان من الأفضل أنهم عندما قدموا لهم تلك العادات والأخلاق أشاروا لهم من قريب أو من بعيد أن تلك العادات والسلوكيات لهي نابعة من روح الإسلام وليست من مبتكرات المجتمع الغربي.

ولعل المجددين أرادوا من دعوة أبنائهم إلى تلك الأخلاق أن يواكبوا الحضارة الحديثة حتى يكتمل نجاحهم في الحياة لذا يقول أحد الآباء مخاطباً ولده: (إنني أريد لك أن تسطع وتلمع في الحياة يشار إليك بالبنان ، وتحنى لك الرؤوس إكراماً واحتراماً ، ويملأ منظرك الصدور هيبة وجلالاً ، ويبعث شخصك في النفوس حباً وانعطافاً ، وتكون إذا دخلت في مجلس من المجالس الحافلة كالنور الكهربائي إذا سطع على الشموع لا يطفئها ولكن يجعل نورها دون نوره بهاء وسناء)[1] وقد بين الوالد لولده كيف يستطيع أن يصل إلى تلك المنزلة وأن هذا لا يكون إلا بأن يتمسك الولد بما يمليه عليه الوالد من أخلاق وعادات وسلوكيات حيث يقول: (لهذا أحب لك أن لا تستخف بشيء مما يعده الناس

(١) من والد إلى ولده - أحمد حافظ عوض - صـ ١١٤.

من المظاهر الكمالية أو الخارجية، فلا يراك أحد إلا متجملاً بأحسن اللباس وأقربه للكمال والرقة والظرف المطلوب المرغوب في زمانك).[٢]

وعلى الرغم من أن الوالد كثيراً ما يحث ولده على التحلي بتلك العادات الحسنة إلا أنه يحذره من أمر في غاية الأهمية وهو الإفراط في تلك المظاهر حتى لا يصل إلى حد الاستهزاء والسخرية ممن حوله لذا يقول الوالد: (ومع أني أريد لك أن تكون دائماً متحلياً بأحسن الملابس نظيفاً ظريفاً ، فلا أحب لك أبداً أن تزيد في هذا إلى درجة أن توجه للقيافة كل اهتمامك فتخرج من درجة الكمال والوقار إلى الهزؤ والسخرية وتصبح متكلفاً متحذلقاً ، ومن أول الصفات اللازمة لمن يعني بأمر ملبسه وهندامه أن لا يتعدى تلك الدرجة إلى المترلة التي يمكن لخصمه (ولكل إنسان حاسد وخصم) أن يرميه بأنه (متحفلط) (متغندر) جل همه أن يخرج من مترله كالفتاة المولعة بنفسها ، والحد الفاصل بين الظرف الصحيح ، والتظرف الممقوت وبين الجميل الهندام والمتحذلق المهزار ، دقيق غير محسوس ، فإن لم تكن حريصاً كثير العناية باختيار مظهرك لا إفراط ولا تفريط ، فقد تنتقل في شكلك من المحبوب المطلوب إلى المحتقر الممقوت).[١]

ومما نصح به الآباء المجددون أبناءهم من الأخلاق والعادات الاجتماعية التي تنفع الأبناء في حياتهم حسن المعاملة مع الناس خاصة مع النساء حيث يقول أحد الآباء لولده: (وإرضاء النساء مصريات كن أو أجنبيات ، وحسن عشرتهن من الصفات الضرورية للناشئين في حياتهم المقبلة ، لأن سطوتهن ونفوذهن في الدوائر العالية أمر لا يغفل عنه إلا قصير النظر ، ومحدود الآمال).[٢]

وقد وجه الوالد ولده إلى بعض ما يستطيع الابن به أن ينال الحظوة عند النساء الفاضلات حيث يقول: (وأول ما يجب على من يريد الحظوة عند النساء الفاضلات ، أن

---

(٢) السابق – الصفحة نفسها.

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ١١٥.

(٢) السابق – صـ ١١٩.

لا يؤلمهن في مواضع ضعفهن فهن فيه أدق إحساساً ، وأنعم ملمساً من الرجال فمنهن من تحب أن تحلق في جمالها وهي ليست جميلة ، ولكنها تخال أن جمالها في رشاقتها وحسن هندامها ولطف حديثها ، وأخرى تود أن تحلق في أدبها وعلمها وميزتها على مثيلاتها ، وأخرى تحب أن تحلق في خفة روحها ، وسحر عيونها).[1]

ومن شدة عناية المجددين بالجانب الاجتماعي وخاصة بالسلوك الاجتماعية فقد قدم بعض الآباء رسائل كاملة تحتوى على كثير من النصائح الاجتماعية التي تنفع الأبناء في حياتهم من ذلك الرسالة التي تحمل عنوان (الذوق) والتي تحدث فيها الوالد عن أهمية الذوق في حياة الفرد والمجتمع وقد أخذ الوالد على المدارس والجامعات عدم اعتنائهم بتربية الذوق عند الناشئة على الرغم من كونه الأحق بالعناية والأجدر بالرعاية لما له من آثار عظيمة في ترقية الأفراد والمجتمعات تفوق قيمة العقل وفي ذلك يقول: (إن الذوق عمل في ترقية الأفراد والجماعات أكثر مما عمل العقل ، فالفرق بين إنسان وضيع وإنسان رفيع ليس فرقاً في العقل وحده بل أكثر من ذلك فرق في الذوق ، ولئن كان العقل أسس المدن ووضع تصميمها ، فالذوق جملها وزينها)[2] ومن هنا ركز الوالد على حث ولده على تربية الذوق عنده واعتبره من أهم الأخلاق الاجتماعية فبالذوق يستطيع أن يستميل قلوب الناس ويأسرهم بل جعل سمو أخلاقه وسر سعادته في الحياة واستمتاعه بها متوقفاً على قدر الذوق عنده لذا يحثه على أن ينظم ذوقه ويستشعر الجمال في مأكله وملبسه ومسكنه وفي ذلك يقول الوالد: (فعلى هذا الأساس نظم ذوقك ، استشعر الجمال في مأكلك وملبسك ومسكنك ، وصادق الزهور وتعشقها ثم انشد الجمال في مجال الطبيعة ومد بين قلبك ومناظر البساتين والحدائق والسماء ونجومها والشمس ومطلعها ومغيبها ، والبحار وأمواجها ، والجبال وجلالها خيوطاً حريرية دقيقة تتموج بموجاتها وتهتز بهزاتها ، ثم انظر إلى الأخلاق على أن فضائلها جمال ، ورذائلها قبح ، لا على أن فضائلها منفعة ، ورذائلها متلفة .....).

---

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ١١٩ ، ١٢٠.

(٢) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ٢٥.

ويؤكد الوالد في ختام تلك الرسالة أن الابن إذا استطاع أن ينمي الذوق في نفسه وفي تعاملاته مع الآخرين ضمن الوالد سعادة الابن ونجاحه في الحياة وفي ذلك يقول: (ليس عندي نصيحة لك أغلى من أن تُكون ذوقك ثم تنميه ، ترقيه ، فإن فعلت ذلك ضمنت لك سعادة الحياة والاستمتاع بها ، وضمنت لك نجاحك على قدر كفايتك).[1]

ولا يفوت الدكتورة نعمات فؤاد أن تبين لابنتها قيمة الرقي في السلوك والتعامل مع الآخرين حيث تذكر لابنتها أن هناك أشياء أغلى من المال والمنصب والجاه وفي ذلك تقول: (علمتني الحياة أن هناك أشياء أغلى من المال والمنصب: الذوق مثلاً ، الذوق بمعناه الواسع من إحساس وائتناس بالرائع والجميل ، إن التذوق استمرار احتواء لما في الدنيا من جمال وهو لا يحصى ، وإن التصرف أي ذوق السلوك يكسب الناس والقلب الإنساني أغلى ما في الوجود ، وإن التلطف أي دماسة الأسلوب في الكلمة والحركة يكسب المكان والمكانة ، علمتني الحياة أن معاملة الناس فن جميل وقدرة وكم من الأبواب تفتحها الودادة ورقة الحاشية ولطف المدخل والكلمة المصقولة والموعد الدقيق واحترام الآخرين).[2]

ومن هنا يتبين أن المجددين اعتنوا بتوجيه أبنائهم للجانب الاجتماعي وأنهم ركزوا على تنمية الأخلاق الاجتماعية عند الأبناء أكثر من الأخلاق الدينية ظناً منهم أن هذا أقرب للمجتمع الحديث.

---

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ٢٩.

(٢) إلى ابنتي – نعمات أحمد فؤاد – صـ ١١٣، ١١٤.

القضايا الموضوعية التي تناولها المحافظون

على الرغم من أن ظهور المجددين كان أسبق من المحافظين إلا أننا كلما اقتربنا من الفترة المعاصرة وجدنا المحافظين يزيدون حتى أصبحوا أكثرية لا يستهان بها وصاروا يمثلون تياراً له اتجاهاته وله كيانه المستقل، ولا غرابة في ذلك فأصحاب هذا الاتجاه كتاب وأدباء عرب ومسلمون يجري التراث العربي والإسلامي فيهم مجرى الدم في العروق ، لذا حاولوا جاهدين أن يحافظوا على هذا التراث بكل ما استطاعوا ، ومن هنا جاءت كتاباتهم لأبنائهم تحثهم على التمسك بهذا التراث والمحافظة عليه وعدم الانسياق وراء زخارف الحياة الحديثة والمدنية الجديدة التي قد تنسيهم تراثهم وأصالتهم ولعل السبب في كثرة أنصار تيار المحافظين خاصة كلما اقتربنا من الفترة المعاصرة أن بعض الآباء لما رأوا دعوة الآباء المجددين تزداد نحو الحضارة الغربية والمدنية الحديثة أدركوا خطر هذا الأمر وخافوا من سيطرة أصحاب هذا التيار بأفكارهم وآرائهم الحديثة على جيل الأبناء فهبوا موجهين وصاياهم التي تدعو إلى المحافظة لتكون مقابلة لدعوات أصحاب التجديد.

وحسب الترتيب الزمني فإن أول ظهور لتيار المحافظين كان على يد الأديب يعقوب العودات الذي وجه رسائله إلى ولده خالد عام ١٩٦٨م ، فقبل الإطلاع على تلك الرسائل قد لا يشك أحد أن العودات سوف يوجه ولده إلى التجديد أو سيدعوه إلى الثقافة الغربية الحديثة ، والقرائن التي تؤيد هذا الأمر كثيرة منها كونه من أدباء الشام الذين اقتربوا من الثقافة الأجنبية أكثر من غيرهم من أدباء العرب فالأحرى به أن يكون متأثراً بها وأن يدفعه هذا التأثر إلى دعوة ولده للتوجه إليها ، ومن أسباب ذلك أيضاً أن العودات كان مسيحي الديانة فلعل مسيحيته قد تجعله أكثر تحرراً وميلاً إلى الثقافة الغربية ، فهذه الأسباب وغيرها توحي بأن العودات يكون أقرب إلى تيار المجددين منه إلى تيار المحافظين ، ولكن الحقيقة تخالف ذلك فالعودات حينما وجه نصائحه إلى ولده لم يوجهه إلى ثقافة غربية ولا إلى مواكبة للحضارة الحديثة بل دعاه إلى المحافظة بكل أشكالها ، المحافظة على عروبته ، المحافظة على وطنيته ، المحافظة على تراثه ، المحافظة على عادات وتقاليد مجتمعه ، ولعل ظهور عمله الأدبي بعد نكسة ١٩٦٧ وربما كان لأصوله الفلسطينية دليل على أن

هذه الحوادث العامة – نكبة فلسطين ونكسة ١٩٦٧– لها آثارها في انتشار التيار المحافظ في ميدان الكتابة إلى الأبناء.

وممن سلك تيار المحافظين بل يعد شيخ المحافظين في هذا المجال الشيخ عبد العزيز التويجري الذي قدم لولده مجموعة كبيرة من النصائح والوصايا في كتابه (رسائل إلى ولدي حتى لا يصيبنا الدوار) وإن كان التويجري محسوباً على تيار المحافظين إلا أنه يبدو مختلفاً عمن سبقه في الكتابة إلى الأبناء ويتلخص هذا الاختلاف في أنه عاش في بيئتين مختلفتين أولهما بيئة البادية التي نشأ وتربى فيها حتى أصبحت جزءاً من شخصيته وصارت ملاصقة لوجدانه وكيانه واستحوذت على مشاعره وأحاسيسه وظلت ملازمة له طوال حياته حتى بعد انتقاله إلى المدنية وهو يعترف بذلك في قوله: (ولأني من جيل عاش العزلة في هذه الصحراء أجيالاً طويلة وَرَّثَتْهُ عزلته صوراً للحياة خفق بها في أعماقه جناح الجبل)[1] والبيئة الثانية التي انتقل إليها هي المدينة بما فيها من حضارة جديدة تناسب تطور العصر الذي عاش فيه والتي تعد تطوراً متجدداً لبيئته الأولى ، فالإنسان الذي تيسر له أن يعيش في بيئتين مختلفتين يكون حكماً موثقاً على إظهار واقع التحول والانعطاف الذي مرت به حقب تاريخية متفاوتة في تأثيراتها ومعطياتها ، ويتعذر على من سواه أن يصف تفاصيل تلك الحقب بمثل الدقة التي تكون عند من عاش في البيئتين ، ويعد التويجري أحد هؤلاء القلائل الذين توافرت لهم هذه الفرصة ، وقد كان التويجري بارعاً في تصوير البيئتين أفضل تصوير من خلال أسلوبه ومن خلال موضوعاته التي ناقشها في رسائله لولده.

وممن سار على نهج المحافظين واقتفى أثرهم وانضم إلى تيارهم الكاتب داود عبد العفو سنقرط في كتابه (رسالة إلى ولدي) الذي قدمه لولده في مطلع الثمانينيات وقد صاغ الوالد رسائله بأسلوب جذاب وكأنه يضع على صفحات كتابه صورة واقعية لمجالسته ولده ولما يدور بينهما من مخاطبة وحوار.

---

(١) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجري – صـ ١٠ .

كما ظهرت طائفة من المعاصرين تنتمي إلى تيار المحافظين جاءت كتاباتهم مصبوغة بالصبغة الدينية فأخذوا يدعون أبناءهم من خلال وصاياهم إلى التمسك بالأخلاق الإسلامية والاهتمام بتعاليم الدين الحنيف وما يدعو إليه من أخلاقيات وسلوكيات ينتفع بها الفرد والمجتمع ، كما كان هؤلاء حريصين كل الحرص على حث أبنائهم على تحصيل العلوم الدينية التي تنفعهم في دنياهم وأخراهم وعلى رأس هذه الطائفة الشيخ محمد إبراهيم شقرة (أحد علماء الشريعة وإمام من أئمة الدعوة الإسلامية) الذي قدم لولده كتاباً يحمل عنوان (أي بني خذ عني بعضاً مني).

ومن أصحاب هذا الاتجاه أيضاً (أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي) صاحب كتاب (رسالة إلى ولدي من تصاحب) ومنه أيضاً كتاب (رسائل إلى ابنتي) بقلم/ محمد محمد علي الإبشيهي وكذلك كتاب (هديتي لابنتي عند زفافها) لصاحبه الأستاذ الدكتور/ محمد رزق طرهوني.

وقد استطاع المحافظون أن يتناولوا كثيراً من الموضوعات والقضايا الهامة التي تنفع الأبناء في حياتهم والتي من أهمها:-

أولاً: التمسك بالمبادئ الدينية والقيم الأخلاقية.

ثانياً: الدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية.

ثالثاً: الحنين إلى الماضي واستدعاء الذكريات.

أولاً: التمسك بالمبادئ الدينية والقيم الأخلاقية:-

لقد أخذ الحديث عن الدين حيزاً كبيراً في كتابات المحافظين لأبنائهم فكانوا أكثر اهتماماً من المجددين في هذا الجانب ، وقد جاء حديثهم عن الدين يأخذ أشكالاً متعددة ولكن معظم هذه الأشكال تدور حول معنى واحد ويحاولون توصيل شيء واحد للأبناء وهو أن التمسك بأهداب الدين الإسلامي الحنيف فيه النجاة وفيه الفلاح ، بل يرون أنه لا ملجأ ولا منجى إلا بعمارة القلوب بالإيمان وتهذيب النفوس بآدابه وتعاليمه فهو العلاج

الناجح لكل الأمراض والأسقام لذا وجدنا أحد الآباء المحافظين يخاطب ولده قـــائلاً: (لا عيادة ولا طبيب ولا فلسفة ولا عالم غير الإيمان بالأسمى ، غير الإتكاء على سارية القضاء والقدر ، ومن لم يؤمن بذلك ستمهله الحياة وترخى له جبل الرسن يمرح ويسرح في فلاة ربيع شبابه الذي أسكره وأبعده في متاهات ، يوم يفيق في أعلى دروبها يكون كل شـــيء قد فات عليه ولم يبق معه غير الندم ، إذا قدر له أن يندم قبل أن يسقط في حفرة من حفر الطريق التي مشى عليها ثم حاول العودة ، فإذا كل شيء لديه قد ذوى وتحطم...!).[1]

فالوالد يرى أن الدين شفاء للكثير من الأمراض التي لا علاج لها غيره ، وقد أكـــد أحد المحافظين أن دعوتهم إلى التمسك بالدين ليست شيئاً طارئاً ولا مستحدثاً ، بل هـــي طبيعة ملازمة لهم في كل زمان ومكان حيث يقول: (علاقتنا بالله ماشية بنا مـــن البيـــت البسيط والمزرعة البسيطة إلى المصلى ، نطلب الرحمة ولا أحد يضلل أحداً أو يشككه).

وقد بلغ اهتمام المحافظين بالدين إلى الحد الذي جعل بعضهم يفرد رسائل خاصـــة للحديث عن الدين منها إحدى رسائل الشيخ التويجري لولده وعنوانها (الدين عندي تحرر من الأوهام) ، وقد بين الوالد في هذه الرسالة مكانة الدين وما له من أثر عظيم لمن فهمـــه وأدرك حقيقته وفي ذلك يقول: (لماذا لا نفهم الدين أنه الثورة الكبرى في عقل الإنـــسان وروحه ، أنه الدويّ الهائل في وجه الطغيان والجهل والخرافة والفتنة والفوضى لماذا نفهمه غير هذا الفهم؟).[1]

فالوالد يعيب على الناس عدم فهمهم الصحيح للدين وما جاء به مـــن مبـــادئ إن تمسك الناس بها لكانت كفيلة أن تصحح مسار البشرية جمعاء ، فالدين في نظـــر الوالـــد المحافظ (ضوء لا تضاهيه أضواء الشموس ونقاء لا يـــساويه نقـــاء إلا طهـــارة قلـــوب

(١) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجري – صـــ ٢٠٤.

(١) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجري – صـــ ١٨٢.

حامليه)[٢]، ولكن الخطأ في بني البشر فهم الذين لم يدركوا قيمة الـــدين و لم يتمـــسكوا بمبادئه الصحيحة.

وقد تعرض المحافظون في حديثهم عن الدين إلى كثير من المواقف التي تبين يسر الدين وسهولته ولكنه يعيب على الناس سوء فهمهم للدين فهماً صحيحاً.

وقد ظهر الحفاظ على الدين ومبادئه عند المحافظين في مواقف كثيرة لعل من أهمهـــا القضية التي ناقشها أحد الآباء المحافظين وتعرض فيها للعلاقة بين الدين والسياسة وأكـــد فيها أن الدين الإسلامي صالح لكل الأزمان والأوطان ، فقد ناقش الوالد في تلك الرسالة قضية في غاية الخطورة ، قضية تحدد مصير أمم بأكملها تلك القضية لخصها الوالد بإيجـــاز فى قوله: (بني ، وهناك أمر دقيق أرجو أن تأخذه بعين الاعتبار ، فقد ثار حوله فى الآونـــة الأخيرة جدل كثير ، لم يلتزم بالموضوعية فى كثير من جوانبه ، ذاك الأمر هـــو العلاقـــة الجدلية بين العروبة والإسلام ، فهناك فئة تدعى أن الدين كان صالحا لزمانـــه ومكانـــه وأهله، ولكن بعد تغير الزمان غير الزمان ، وتغير المكان ، وأصبح الناس غـــير النـــاس ، فيجب فصل الدين عن الدولة ، وكأن الدولة بلا دين خير منها بدين ، أو كـــأن الـــدين معطل لمصالح الدول ، معيق لمسير الشعوب!)[٣] فهو يقف ضد طائفة العلمـــانيين الـــذين يقولون بوجوب فصل الدين عن الدولة.

وفي حث الآباء المحافظين لأبنائهم على طلب العلم ذكروا أن ذلك مـــن متطلبـــات الدين الإسلامي فالدين يدعو إلى الاهتمام بالعلم بكافة أنواعه ما دام نافعاً للبشرية كمـــا يدعو إلى احترام العلماء وتوقيرهم ، لذا قال أحد المحافظين مخاطباً ولده: (الدين بني يحض على طلب العلم ، ويحترم العلماء ليس علم الغيب فحسب بل وعلم الشهادة أيضاً ، بـــني والعلم الذي يناقض الدين ليس علماً).[١]

---

(٢) السابق – الصفحة نفسها.

(٣) رسالة إلى ولدى – داود عبد العفو سنقرط – صـــ ١٧.

(١) رسالة إلى ولدى – داود عبد العفو سنقرط – صـــ ٣٧.

كما بين الوالد أن الدين لا يتعارض مع العلم الحديث بل يدعو إليه ويحث عليه لذا نجده يقول في نفس الرسالة: (بني والدين لا يحجر على العلم ولا يمنع انطلاقه ، وإنما يحجر عليه حين يتهجم عليه أو يقحم نفسه في غير اختصاصه ومقدرته).[٢]

ومن هنا بين الآباء المحافظون ضرورة وجود الدين مع العلم لأن العلم بلا دين يكون به نقص كبير لذا وجدنا أحد الآباء المحافظين يقول: (بني وحبذا علم وإيمان ، إنهما إذا اجتمعا فقد صنعا الأعاجيب ، فعلم بلا إيمان علم أرعن ، يضع الذرة في خدمة الحرب لا في خدمة السلم ، وإيمان بلا علم يكون في الغالب إيمان تقليد إيماناً ناقصاً فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ وهل يخشى الله من عباده العلماء أم الجهلاء؟).

و لم يقف استخدام المحافظين للدين عند ذلك فحسب بل وجدنا المحافظين يهتمون اهتماماً كبيراً بدعوة أبنائهم إلى التمسك بالأخلاق الدينية خاصة الأخلاق التي تختص بالمعاملات بين الناس ، ومن أهم الأخلاق الدينية التي حث الآباء المحافظون أبناءهم عليها خلق الصدق ، ومن ذلك قول أحد الآباء لولده: (بني والصدق هو سيد الأخلاق ونبعها الخير ، فالكريم والمحسن صادق في حاله ، والشجاع والمجاهد صادق مع نفسه ، والمؤمن التقي صادق في عقيدته ، وهكذا فكن صادقاً بني مع نفسك وربك تكن على جانب عظيم من الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن).

ومن شدة اهتمام الآباء المحافظين بالتوجيه الأخلاقي أفرد أحدهم رسالة بعنوان (الأخلاق والسلوك) بدأها الوالد بتوضيح معنى (الأخلاق والسلوك) حيث ذكر أنهما ليسا بمعنى واحد بل لكل كلمة منهما معنى مختلف حيث قال: (بني الناس عادة يخلطون ما بين الأخلاق والسلوك مع أن هناك فرقاً دقيقاً هاماً علينا أن نتبينه منذ البداية فالأخلاق ، بني ، قيم ، بينما السلوك تجسيد عملي لهذه القيم ... فالصدق والأمانة والتضحية والطاعة مثلاً

(٢) السابق – الصفحة نفسها.

أخلاق بينما تصرف الإنسان بصدق وأمانة وتضحية وطاعة سلوك ولهذا حددت القيم الأخلاقية بمصادر الأفعال بينما حدد السلوك باسم الفاعل أو الصفة المشبهة).[1]

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الآباء المحافظين اهتموا بتوجيه أبنائهم إلى حسن اختيار الصاحب والصديق على أساس ديني بأن يراعوا فيمن يصاحبون الصفات الحسنة التي وضعها الإسلام متمثلة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعو إلى حسن اختيار الصديق ، ومن هنا وجدنا أحد الآباء يوجه كتاباً كاملاً محتوياً على رسائل لولده يحمل عنوان (رسالة إلى ولدي من تصاحب)[2] حشد الوالد فيه الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة والأبيات الشعرية التي تحث على حسن اختيار الصديق، مع توضيح بعض الصفات الحسنة التي يجب أن تتوافر فيه بالإضافة إلى ذكر مجموعة من الصفات السيئة التي يجب ألا تكون في الصديق يقول الوالد في مطلع رسائله: (أي بني توسمت فيك النجابة صغيراً والعقل وحسن الرأي فتياً ، وإني لما رأيت أمارات الشباب عليك بادية أحببت أن أذكرك ما أنت بحاجة إليه ولاسيما في هذه اللحظة من عمرك ، وهو لزوم صحبة الصالحين وها أنا أذكر لك صفات الصاحب الصالح وعظيم نفعه وخطورة صديق السوء والخلال المعتبرة فيه)[3] ، ثم شرع الوالد في الحديث عن الصفات الحسنة التي يجب أن يتحلى بها من يختاره صاحباً له ومن ذلك قوله فى إحدى رسائله: (أي بني عليك بمصاحبة العاقل من الناس ، لأن العاقل قريب من كل خير وبر ، فهو مطبوع على حب المكارم من الأخلاق والأعمال ، شديد النفور من سفاسفها) [1] ، كما ذكر له بعض المساوئ التي إن وجدت في إنسان فلا يصلح أن يُتَّخذ صديقاً ومن ذلك قوله في رسالة النميمة: (أي بني ، النمام لا يكون لك صاحباً ، وكذلك المغتاب ، فإنه لا يزال يقع فى أعراض الناس ويسمعك ما تكره ، ولا يزال هذا دأبه حتى تصبح الغيبة

(١) رسالة إلى ولدى – داود عبد العفو سنقرط – صـ ٦٥.

(٢) سبق التعريف بالكاتب والكتاب في صـ ٤٨ من هذه الرسالة.

(٣) رسالة إلى ولدى من تصاحب – أبو عبد الله فيصل الحاشدى – صـ ٨ ، ٩.

(١) رسالة إلى ولدى من تصاحب – أبو عبد الله فيصل الحاشدى – صـ ٤٥.

والنميمة عنده كالعسل بعد أن كانت مرة كالعلقم) [٢] مستشهداً على ذلك بالكثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ ومأثور أقوال الحكماء والعلماء وأشعار الشعراء التي تتناسب مع هذا الموضوع.

ولما كان المحافظون مهتمين بالجانب الديني اهتماماً كبيراً وجدنا بعضهم بجانب حث ولده على التمسك بالأخلاق الإسلامية يوجهه إلى مدارسة علوم الشريعة والعلوم الدينية ففي حثه على المحافظة على تحصيل العلم يقول الوالد: (أي بُني: اعلم: أن العالم هو الذي يعلم المسألة من مسائل العلم، فيكون عقله حافظاً لها، ولسانه قائلاً بها، وجوارحه عاملةٌ بها، وسمته داعياً لها. واعلم: أن الفقيه ليس هو بالذي يحفظ النصوص، فكم من حافظ لها هو أجهل الناس، لكن الفقيه هو الذي يستخرج منها الأحكام والفوائد، وهي معروضةٌ أمام عقله وناظريه ، يأخذ منها للناس أكثر مما يأخذ الناس منها، فإن وافق الحقَّ وأصابه فذاك ، وإلا فقد أوفر لنفسه أجراً عند ربه سبحانه).[٣]

وإذا كان الآباء المحافظون المسلمون يهتمون بتوجيه الأبناء إلى الأخلاق الإسلامية وتعاليم القرآن ومدارسة علوم الشريعة فهذا أمر طبيعي، لكن ما يثير العجب أن يستقي كاتب مسيحي مادة التربية في رسائله لولده من التراث العربي والإسلامي وأن يكثر من الاستشهاد بآيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية المطهرة بالإضافة إلى الأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين بل وصل به الأمر إلى دعوته لولده بتعلم القرآن الكريم حين قال: (كان اللغوي الشهير المرحوم رشيد الشرتونى ينادى العرب المسيحيين بقوله: (علموا أولادكم القرآن) إيمانا منه بأن العربي لا يملك ناصية لغته ما لم يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، عندها يقوى أسلوبه ، وتجزل عبارته !) [١] فهو يرى أن فى محافظته على لغة القرآن محافظة على عروبته ، وكثيرا ما وجدنا الوالد ينصح ولده بالعديد من النصائح التي هي نابعة من روح الإسلام ، ولعل هذا الأمر لا يستغرب من ذوى العقول الناضجة ، لأن

---

(٢) السابق – صـ ٩٩.

(٣) أي بني خذ عنى بعضا منى – محمد شقرة – ط ٢ – دار الشروق للطباعة والنشر – رام الله – ١٩٩٦م– صـ٢٠.

(١) رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – صـ ٨٤ .

مبادئ الإسلام وتعاليمه يتفق عليها أصحاب الفطرة السليمة ولا يختلفون على كونها صالحة لكل الناس على اختلاف أديانهم ، ولعل انتشار الآداب الإسلامية فى المجتمعات جعلت الجميع يتطبعون بها دون التفرقة بين أبناء دين وآخر لما فيها من التسامح والمساواة بين المسلم وغير المسلم.

ومن خلال ما سبق يتبين أن المحافظين كانوا أشد حرصاً على إظهار تمسكهم بالجانب الديني ومحاولة إدخال الدين في شتى مجالات الحياة ، ولعل ذلك راجع إلى خوف الآباء من انجراف الأبناء في تيار الحضارة الغربية وبعدهم عن الدين وما يحتويه من أخلاق وسلوكيات لذا حاولوا جاهدين أن يلفتوا نظرهم إلى الدين وتعاليمه ويضعوا مناهج الدين أمامهم في كل مكان فهي لاشك صالحة لكل الأماكن والأزمنة فالدين في نظرهم هو سبب الصلاح والإصلاح في كل المجالات.

ومن هنا وجدنا بعض المحافظين يشيد بدور الدين في شتى المجالات حيث يقول: (إن الدين الذي قدس العمل وحث على الجهاد وجعل العلم فريضة والنظافة من الإيمان ، ليس ديناً مخدراً.

إن الدين الذي رفع للحرية لواء وأعلى من شأن المرأة ، وحث على مقاومة الظلم ونصرة الضعيف والمظلوم ، ليس ديناً مخدراً.

إن الدين الذي جعل الأمر شورى بين الناس وجعل المال لله والناس مستخلفين فيه ، وجعل العدل والحق دعامتي حياة وحكم ، ليس ديناً مخدراً.

إن الدين الذي حث على التكافل الاجتماعي ، وسوى بين الناس في الحقوق والواجبات ، وفرض سيادة النظام والقانون ، ليس ديناً مخدراً.

فالخدر بني في مجافاة الدين ، لا في إتباعه).[1]

ومن هنا رأى المحافظون أن ما أصاب المسلمين من تأخر مرده إلى البعد عن التمسك بالأخلاق الدينية والأصالة العربية لذا يرى بعضهم ضرورة الرجوع إلى هذه الأصالة حتى تعود للمسلمين سيادتهم وتقدمهم وفي ذلك يقول: (أجل بني ، نحن في أمس الحاجة اليوم أن نعود لأصالتنا ومبادئنا وإلا بقينا نسقط ونحن نحاول النهوض ، وهل لطائر أن يطير بغير جناحيه؟ وجناحانا بني الأصالة والأخلاق).[2]

وقد نوَّه بعض الآباء المحافظين على الأخلاق في رسائل كثيرة لبناتهم ففي كتاب (رسائل إلى ابنتي) الذي قدمه محمد محمد علي الإبشيهي لابنته وجدناه يوجه لها رسالتين في الأخلاق عنوان الأولى [الأمم الأخلاق] وعنوان الثانية [الأخلاق عون على الرسالة] وفيهما يوضح الوالد لابنته ما يجب أن تتمسك به الفتاة من أخلاق إسلامية تعد زينة لها ووساماً على صدرها أعلى من أي مال أو جاه أو عرض دنيوي وفي ذلك يقول الوالد: (وأخلاق الفتاة أزهى وسام ، وأجمل زينة وأبهى حلة ، وقد ينشد الناس في بعض الفترات من الضعف غير الأخلاق من مال أو وجاهة أو حسب أو نسب ولكنهم مفتقرون دائماً إلى العماد والركن والحصن الحصين من كريم الأخلاق ، فبالأخلاق تحل العقد وتقضي على الخلاف ويحل الرضا محل الغضب وتحسن المعاملة وتدوم العشرة).[3]

ثانياً: الدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية:ـ

لقد اشتهر العرب قديماً وحديثاً بحب أوطانهم والتعلق بها وشدة الانتماء إليها ، وقد كان المحافظون من أول المنادين بتلك الوطنية لذا وجدنا أحد الآباء يبين لولده قيمة الوطن والوطنية حيث يقول: (بني ، ونحن نتكلم عن الوطن والوطنية ، فإننا نتكلم عن القوم

---

(١) رسالة إلى ولدى – داود عبد العفو سنقرط – صـ ١٧.

(٢) السابق – صـ ٦٧.

(٣) رسائل إلى ابنتي – محمد محمد علي الإبشيهي – صـ ٢٩.

والقومية لأن الوطن يشمل الأرض وما عليها ومن عليهـــا ، والمكـــان بالـــسكان كمـــا يقولون).[1]

وقد بين الوالد لولده في نفس الرسالة أن حب الوطن غريزة وطبيعة بشرية بل إنها لا تقتصر على البشر بل وصل هذا الحنين إلى الحيوانات والطيور مؤكداً ذلك بقوله: (وليس الإنسان هو المخلوق الوحيد بني الذي التصق بأرض وارتبط بوطن ، لقد شاركه الحيـــوان في ذلك ، ألا ترى كيف استغل الإنسان هذا الحنين فسخر الحمـــام الزاجـــل في نقـــل الرسائل؟ ألا ترى كيف تهجر طيور الشمال مواطنها الأصلية حين يدهمها فصل الـــشتاء هناك بثلجه وزمهريره إلى أماكن أكثر غذاء ودفئاً ، ثم تقفل راجعة إليها بعد انقـــضائه؟ والجمل ما الذي ألجأه لسكنى صحراء جرداء لاهبة؟ والدب القطـــبي لم ارتـــضى الـــبرد والجوع؟ والحصان ما باله يحمحم كلما رأى صاحبه أو أقبل على مرابعه؟ والكلب والهـــر كيف أصبحا وكأنهما أفراد الأسرة؟ لماذا تقطع الأسماك المحيطات لوضع بيضها في أعـــالى الأنهار؟ ولماذا ...؟ الوطن بني الوطن ... إنه الوطن).[2]

وقد كان ذلك دافعاً لتوجيه الآباء لأبنائهم إلى حب الوطن وبذل النفس والنفيس في سبيله لذا قال أحدهم: (وليس مواطناً ، بني ، من لا يجود بالنفس والنفيس ، إذا ما استبيح حمى الوطن وانتهكت الديار)[3] ، وقد اتسعت دائرة هذا الانتماء فتحول من انتمـــاء إلى الوطن إلى انتماء إلى جميع الأوطان العربية وهو ما أطلق عليه (العروبة) وقد عرضها أحـــد الآباء المحافظين بقوله (فالعروبة بني ليست جواز سفر به تعرف وإنما هي أولاً وقبل كـــل شيء انتماء وإخلاص وولاء).[1]

---

(١) رسالة إلى ولدى – داود عبد العفو سنقرط – صـــ ٤٣.

(٢) السابق – الصفحة نفسها.

(٣) السابق – صـــ ٤٥.

(١) رسالة إلى ولدى – داود عبد العفو سنقرط – صـــ ١٥.

وقد اهتم المحافظون اهتماماً كبيراً بتوجيه أبنائهم ودعوتهم إلى العروبة أو الوحدة العربية ، ولعل ذلك راجع إلى أن أغلب البلدان العربية في تلك الفترة كانت تحت نير الاستعمار والاحتلال وكانت الشعوب تعاني من ويلات هذا الاحتلال فكان ذلك دافعاً لأن يشعر بعضهم ببعض فحاول الآباء أن يوصلوا لأبنائهم أن الحل الأمثل للتخلص من هذا الغزو الأجنبي هو التمسك بمبادئ الوحدة العربية ، لذا وجدنا أغلب المحافظين يغرسون في نفوس أبنائهم الاعتزاز بالعروبة ويحثونهم على التمسك بالهوية العربية ، ومن هنا كان شيخ المحافظين (التويجري) كثيراً ما يكرر اعتزازه بعروبته فهو على ثقة تامة بأنه ابن أمة لها تاريخ عريق وابن وطن له أمجاد خالدة وهذا مدعاة لأن يفخر بوطنه وأمته وفي ذلك يقول لولده: (إننا أمة لها رسالة إنسانية ، إننا بناة حضارة ، لسنا أبناء قطاع طرق ولا أبناء مغامرين لا يعدو تاريخنا مائة عام أو مائتين)[٢] ، ولعل هذا الاعتزاز هو الذي جعل الوالد يحث ولده على حب الوطن بل يعد احترام ولده للوطن من تمام إيمانه ورجولته حيث يقول: (أما أمك الثانية فهي بلادك، وهى وطنك ولن تكتمل رجولتك ولن يكتمل إيمانك إلا بالبر بها مثلما تبر بي)[٣] ، ولم يكتف الوالد بحث ولده على حب الوطن الصغير فحسب بل لفت نظره إلى حب الوطن الكبير وهو الأمة العربية بأكملها بل اعتبر ذلك من أساس الدين لذا قال:(فهل يكون مؤمناً وهل يكون عربياً من لا يهتم بأمر قومه وأمته؟ ألا ترى أن هذا من أساس العقيدة وواجبها) لأنه يرى أن هذه الوحدة العربية هي سر وجودنا وسر قوتنا وفيها كرامتنا حيث يقول: (إن الوحدة التي ستؤمن خائفنا وتطعم جائعنا وتكسو عارينا وتعلم جاهلنا وتضخم وزننا في هذا العالم الذي لا يعترف بالأحجام الصغيرة هي وحدها التي فيها سر وجودنا وفيها كرامتنا).

كما يذكر الوالد نقطة في غاية الأهمية وهي أن العروبة ليست مقتصرة على المسلمين فحسب بل كل من يعيش في هذه الأوطان مهما كانت ديانته فإن له حق العروبة وفي ذلك يقول: (وعصبيتي العربية قد دفنتها العقيدة الإسلامية في تراب الأرض ،

(٢) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجري – صـ ١٤٧.

(٣) السابق – صـ ٨١.

فبلال أخي ، وسلمان أخي ، وصهيب أخي ، والرسالة حملت الجميع عربيا وغير عربي مسؤولية الثواب والعقاب وكذا مُواطن هذه المنطقة من أي دين ، هو منا ، لم تنكر عليه دولة الإسلام حقه و لم تشرده و لم تذله و لم تغتله).

وليس الوالد المسلم هو وحده الذي أكد هذه الحقيقة بل إن الوالد المسيحي نفسه يؤكد تلك الحقيقة وهي أن العروبة لا تفرق بين مسلم وبين أي عربي ينتمي إلى ديانة أخرى لذا يوجه رسالة إلى الغرب ألا يحاولوا دس الوضيعة من هذا الباب فيقول: (لو عرف الغرب أن العرب عرب من قبل عيسى ومحمد ، لما حاولوا زرع بذور الشقاق بين هذين الشقيقين! ، ولو أدرك الغرب أن الفرق بين العربي والمسلم والعربي والمسيحي هو كالفرق بين الأمريكي البروتستانتي والأمريكي الكاثوليكي لكفوا عن الدس والتفرقة والوقيعة بين هذين الشقيقين).[1]

ومن شدة اهتمام المحافظين بالمحافظة على العروبة وجدنا أحد الآباء يوجه ولده إلى أن يتباهى ويفتخر بتلك العروبة ولا يخجل منها حيث يقول: (لا تخجل بني ، لا تخجل وأنت ترفع صوتك عالياً بعروبتك وإسلامك).

ولما كان المحافظون حريصين كل الحرص على توجيه الأبناء نحو الوحدة والقوة نجد بعضهم يضع قدم ولده على الطريق الصحيح ويبين له السبب فيما وصل إليه العرب من ضعف ووهن محملاً إياهم المسئولية في قوله: (ونحن أمة عربية إسلامية ، عقيدتنا جاءت لتخرجنا من الظلمات إلى النور ، ومن الفرقة والتبدد والتوزع في أودية الصحراء البشرية ، تهنا يوم تاهت رواحلنا عن طهارة العقيدة ونقائها وزهدها ببهارج الدنيا في موقعة عمر وفي حركته العقلية والذهنية التي رفضت الجمود والتدني في حفر الطريق التي تحفرها الكبرياء والغرور والأنانية).[1]

---

(١) رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – صـ ٩٥.

(١) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجري – صـ ٢٢٢.

ولعل من أهم الأسباب التي ذكرها المحافظون في تأخر العرب أن كثيراً من شباب الأمة العربية اتخذوا التراث العربي وراءهم ظهرياً وأضاعوه ، وضياع التراث العربي يعد ضياعاً للعروبة كلها وفقداناً لتاريخ طويل مشرف صنعه الآباء والأجداد وسلموه من جيل إلى جيل ، فإهمال الشباب لهذا التراث العربي الفريد أدى إلى هبوطهم إلى أعماق القاع وغرقهم في جهالتهم لذا يتمنى أحد الآباء قائلاً: (ليت كل عربي ومسلم يقيس بذراع من الوعي المسافة التي هبط منها إلى أعماق القاع ليدرك أنه غريق بجهالته وفي بعده عن أصالته وعن رسالته).[٢]

ولم يكتف الوالد بذكر أسباب التأخر بل يعرض عليه العلاج والمال حيث يقول: (لا طريق لنا إلا أن تتحول هذه القبائل وتتجمع في قبيلة واحدة وفي واد واحد هو وادينا الكبير وادي العرب من المحيط إلى الخليج ولن يتحقق ذلك إلا حين نرفع أعلام الوعي وننادي بها على شعار الوحدة ونؤجل كل شعار سواه قد نختلف عليه في اجتهاداتنا).[٣]

ومن شدة حرص المحافظين على الوحدة العربية وجدنا بعضهم يصب جام غضبه على الغرب الذين هم في نظره أعداء مبيناً بعض عيوبهم ومؤكداً أنهم أمم لا تاريخ لها وأنهم يتسمون بالضعف على الرغم لما وصلوا إليه من تقدم إلا أنهم ضعاف لأنهم يبنون على غير أساس لذا يقول أحد الآباء لولده: (سائل نفسك ثم سائلهم: من تكونون؟ متى تكونت منكم الولايات المتحدة التي هبطت على القمر؟ هل لكم تأريخ؟ ستجد الجواب أن لا ، ليس لنا تاريخ؟ ولسنا من عقيدة واحدة ، ولا من قومية واحدة ، ولا من لون واحد، ولكن المصلحة قضت لنا أن تكون الولايات المتحدة).[١]

فالحديث عن العروبة جعل الآباء يثورون على الغرب وعلى حضارته التي تعد في نظرهم حضارة واهية وأن العرب أو الشرق إن كان يظهر في حاله مهيضة مريضة فإنها

---

(٢) السابق – صـ ١٧٢.

(٣) السابق – صـ ٢١٧.

(١) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجري – صـ١١٧.

حالة عارضة ولكنه سرعان ما سيعود إلى أصله وحقيقته المعروفة عنه وهي قيادة البشرية كلها إلى الأمام.

وفي ذلك يقول أحد الآباء: (بني ، وهناك من يقول بأن الحضارة الغربية قد فقدت روحها ، بعد أن باعدت ما بين الأرض والسماء ، وأنها شاخت ، وأخذت تأكل أبناءها، وأن الشرق ، أجل الشرق ، هو المؤهل دائماً ليصحح مسار البشرية ، كلما حادت البشرية عن جادة الصواب).[٢]

ولما كانت ثورة المحافظين على الغرب شديدة فقد جعلوا من الغرب وأفكاره وعاداته التي دخلت مجتمعنا عدواً دخل بيننا فأفسد علينا حياتنا وبدل أحوالنا يقول في رسالته بعنوان القديم والحديث: (بني ، ألا ترى أن رياح العصر قد حملت إلينا فيما حملت كثيراً من المذاهب والفلسفات المستوردة ، وكثيراً من العادات والتقاليد ونظم العيش التي تتنافى مع ديننا الحنيف وأصالتنا العربية؟ لقد هبت علينا هذه الرياح من كل اتجاه ، واقتحمت علينا الشقوق قبل النوافذ ، وكنا من الضعف والهوان بحيث لم نستطع مقاومتها والصمود لها .... لقد شوهت حياتنا ، وبدلت أحوالنا ، فلم نعد نميز ، لأنها لم تترك لنا حتى الخيار فيما نختار ، لقد ألبستنا ملابس غير ملابسنا ، وأطعمتنا طعاماً غير طعامنا، وأسقتنا شراباً غير شرابنا ، فأصبحنا لا نستسيغ غير موسيقاها ، ولا نغنى إلا بألحانها ولا نتكلم إلا بلسانها).

فالوالد يرى أن أخلاق الغرب تتنافي مع عروبتنا وإسلامنا لذا من الواجب علينا أن نبتعد عنها لأنها أفكار مريضة وفلسفات منحرفة ، وفي ذلك يقول الوالد الحريص على مصلحة ولده: (بطريق مباشر أو غير مباشر، فأخذنا نكيل بصاعه ، ونحذو حذوه ، في اللباس الذي نلبس ، وفى الطعام والشراب الذي نأكل ونشرب ، وفى الأغنية التي نغنى ، وفى اللحن الذي به نترنم ، وهل يمكن لجبال الشرق أن تصد تلك الرياح الهوجاء القادمة من الغرب وهى تحمل ذاك الفيض من الكتب والصحف والأفلام والأشرطة والأجهزة بما

(٢) رسالة إلى ولدى – داود عبد العفو سنقرط – صـ ٣٣.

تحوى من فلسفات منحرفة ، وأفكار مريضة ، وصور فاضحة ، ومبادئ لا أخلاقية إلا أن نحصن أنفسنا بأصالتنا العربية وبمبادئ ديننا الحنيف؟).

ولما كان الآباء المحافظون شديدي المحافظة على التراث العربي فقد اهتموا بتوجيه أبنائهم إلى تلك المحافظة وبينوا لأبنائهم أنهم ليسوا بذلك رجعيين ولا متخلفين كما اتهمهم الغرب بل هم يرون أن التخلف الحقيقي هو البعد عن هذا التراث وفي ذلك يقول: (بني نحن لم نجمد، كما يزعم الغرب وبعض السذج والمخدوعين منا بسبب التمسك بديننا ، بل بتركه .. واسأل التاريخ ينبئك) وبنفس الطريقة والتفكير يوجه والد آخر سؤالاً إلى ولده حيث يقول: (هل تظنني رجعياً يا خالد؟)ثم يجيب الوالد على هذا السؤال قائلاً: (كلا: لست رجعياً متزمتاً لكنني محافظ على تقاليد مجتمعنا حريص على عاداته المستحبة).[1]

ثالثاً: الحنين إلى الماضي واستدعاء الذكريات:ـ

من لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل ، فالماضي جزءاً من حياة الإنسان لا يمكن أن ينكره بأي حال من الأحوال ، وكلما كان هذا الماضي حسناً كلما زاد الحنين والشوق إليه وإلى استرجاعه واستذكاره ، فليس من حديث أشهى إلى النفس وأحب إليها من حديث الذكريات ، وليس من حافز يدفع الإنسان نحو الأمل يفوق استلهام الماضي المجيد ، لذلك حرص الآباء المحافظون على أن يُطَعِّمُوا كتاباتهم لأبنائهم بقبسات من الماضي سواء ماضي الأمة كلها الذي يفتخر به كل عربي ، أو الماضي الشخصي للكاتب نفسه وهم بذلك يريدون أن يربطوا الحاضر بالماضي حتى ينشأ الأبناء وفي داخلهم ما يذكرهم دائماً بذلك الماضي ولا يكونوا منبتين عنه ، وغالباً ما يكون الحنين من الآباء بشدة إلى الأشياء التي راح زمانها واختفت من حياتنا الحاضرة لأنها لو كانت موجودة في حياتنا لما كان هناك حنين إليها لأنها أمامهم في كل وقت ، والحنين كذلك لا يكون إلا على الماضي الجميل والذكريات الحسنة إذ أن ذلك الماضي لو لم يكن جميلاً لما حاول

(١) رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – صـ ٨٨.

الإنسان استذكاره بل لعمل جاهداً على نسيانه ومحوه من ذاكرته ، والحنين إلى الماضي ليس من مستحدثات الآباء في الأدب بل هو باب كبير في الأدب العربي منذ القدم شعراً ونثراً ، ولعله يدخل في كثير من أبواب الأدب فكتابة المذكرات الشخصية تعتمد اعتماداً كبيراً على ذكريات كاتبها وكثيراً من النصائح والوصايا تحمل بين جنباتها مقتطفات من ذلك الماضي ، إذ أن الماضي يحوي كثيراً من التجارب التي مر بها الكاتب والتي يحاول أن يضعها بين يدي ولده إما لأن يقتبس منها ويسير على نهجها ، وإما لأن يبتعد عنها ولا يحاول تكرارها لذا نجد بعض الآباء المحافظين يبين لولده أن كتاباته له سوف تقص عليه صفحات من ماضيه حيث يقول: (ولدي ستكون رسائلي إليك قاصة شيئاً عن حياتي وعن انطباعاتي وخواطري وتجربتي الناقصة)[1] ويتبعه في ذلك يعقوب العودات حين يتحدث عن المراحل المختلفة التي مر بها فى حياته منذ طفولته حتى شبابه ، قاصداً بذلك أن يأخذ الولد العبرة والعظة من تجارب أبيه وخبرته فى الحياة لما يرى فيها من الدروس والعظات وقد علل الوالد هذا الأمر لولده بقوله: (ولدى خالد : تفيض رسالتي إليك بقصة حياتي ، واعذرني إذا جاءت مسهبة لأن بعض إخواني وفى طليعتهم الأستاذان سامي الكيالى صاحب مجلة "الحديث" وعبد الله حلاق صاحب مجلة "الضاد" يصرون على هذا الإسهاب ، إيماناً منهم بأن فيه دروساً وعظات لجيلك الصاعد !).[1]

ويعد التويجري من أكثر الكتاب المحافظين حنيناً إلى الماضي وشوقاً إليه واستذكاراً له وقد اعترف بذلك في رسالته التي يخاطب فيها ولده قائلاً: (ولدي: ألا ترى أن حنيني إلى الماضي لم يهدأ في رسالة واحدة؟)[2] وقد علل الوالد كثرة حنينه إلى الماضي بأنه يجد نفسه تائهاً في هذا المجتمع المتمدن الذي لا يألف العيش فيه فهو يشبه نفسه بالجمل التائه حيث يقول: (ألا ترى صورتي مع هذا الحنين صورة لجمل تاه في قلب الصحراء عن أليفه؟)[3] ،

(١) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجري – صـ٢٢.

(١) رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – صـ ٤٦.

(٢) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجري – صـ١٣٤.

(٣) السابق – الصفحة نفسها.

فالتويجري لم ينفك عن ماضيه بل كثيراً ما نجده يستحضر فترة طفولته ويسترسل في سرد ذكرياته منذ أن ترعرع وسط بيئة الصحراء المفتوحة ، فلا تخلو رسائله من كونها سيرة ذاتية فيها من خصوصيات الكاتب واعترافاته الكثير والكثير ففيها يبوح بما في مكنونات نفسه في حدود ما يحتمله واقع الإنسان العربي المتمسك بالقيم والمتشبث بالعادات والتقاليد العربية الأصيلة ، ولعل في كثرة حنين التويجري إلى الماضي واسترجاعه لذكرياته ما يدل على قريحته المنقدحة التي تتذكر أحداث الماضي البعيد بأدق تفاصيلها وكأنها وليدة اللحظة مع أنها مرت عليها السنون وتعاقبت عليها الدهور ومن نماذج ذلك حديثه عن فترة طفولته وصباه حيث يقول: (يوم كنا صبية صغاراً نلهو ونلعب ونصنع الفخاخ ثم ننصبها على جناح الوادي أو على جناح الروض أو على ساقية المزرعة ونضع في فم الفخ حبة قمح أو حمامة دوح ، ثم ينقض عليها طائر جائع فرغت حوصلته ، فتنقض هي عليه ، فإذا هو معركة مع المصيدة يقاتلها دون نفسه يريد النجاة فتشد بقبضتها عليه ، فتتراكض إليه جياعاً فنفري كبده أو نعلمه إذا كان من الصقور ، كيف ينقض على فريسته وكيف يتخلى عن حريته لحريتنا).[1]

ونلاحظ براعة التويجري في توظيف الحديث عن الماضي حين نقرأ الفقرة التالية فنجده حينما ساق جزءاً من ماضيه إنما قصد بسوق تلك الذكرى أن ينبه ولده على أن ما فعله هو ورفاقه في هذا الطائر قد يُفعل في الولد الذي قد يقع في فخاخ الحضارة الحديثة فهذه الفخاخ تنصب الآن ولكن بشكل أكبر فهي لا تنصب لصيد الطيور إنما تنصب لصيد الإنسان وفي ذلك يقول الوالد: (هذه الذكرى أتيت بها هنا لأنبهك أن الفخاخ منصوبة اليوم على الطرقات تصطاد الإنسان اصطياداً بشعاً وكريهاً فتنبه لا تقع في فخ يسلبك حريتك ويسلبك عقيدتك ويسلبك استقرارك وأمنك).[2]

---

(١) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجري – صـ ١٩٠.

(٢) السابق – الصفحة نفسها.

وليس التويجري وحده هو ذلك الوالد المحافظ الذي حن إلى ماضيه بل تبعه في ذلك أغلب المحافظين الذين جعلوا من ماضيهم مدخلاً يوجهون به النصح والإرشاد لأبنائهم ويحثونهم على أخذ العظة والعبرة من هذا الماضي ، ومن هنا وجدنا أحدهم يبدأ بعض رسائله بجزء من ماضيه وذكريات طفولته التي لا ينساها رغم بعد الزمن لما كان لها من أثر في حياته حيث يقول: (بني ، قصت علينا جدتي طيب الله ثراها أقصوصة في ليلة شتاء عاصفة حيث كنت أنا وأبناء عمومتي نتحلق حول كانون نار يشيع الدفء في أوصالنا المقرورة ....)[٣] ولم يكن الماضي عند جميع الآباء واحداً بل وجدنا بعضهم كان ماضيه مؤلماً وفيه الكثير من العقبات ومع ذلك ساق كثيراً من مشاهد هذا الماضي المؤلم لولده لا ليستعطفه ولا ليسترق قلبه إنما قاصداً بذلك أن يعلم الابن أنه في نعمة كبيرة لم تتحقق لوالده نفسه هذه النعمة تستوجب منه حمد الله وشكره ، ففي بداية حديث العودات عن ماضيه يقول لولده: (والآن اسمح لي بأن أصور لك مراحل حياتي وما بلوت من شقاء وقاسيت من شظف العيش في العشرينات من هذا القرن) [١] وأخذ الوالد يقص على ولده كثيراً من الأحداث والمواقف التي واجهته في حياته وفي مراحله المختلفة منذ طفولته وحتى تخرجه وتسلمه الوظيفة.

ومن أقوال البدوي الملثم واصفاً إحدى مراحل حياته وما عاناه هو وأسرته من شظف العيش قوله: (قبعنا في الغرفة المهجورة أذلاء صاغرين ، وتزودنا بالضئيل الضئيل من الفراش والدقيق وعشنا بؤساء وبلونا الشقاء ، وبعدما أنهيت دراستي الابتدائية حالت والدتي – رحمها الله – دون متابعتي الدراسة لحاجتها وشقيقتي لمن يمد لهما يد العون ، ويدفع عنهما غائلة الجوع ، وبالرغم من توسلاتي ودموعي ، أمعنت الوالدة في عنادها ورحت من توي أفتش عن عمل حر في حانوت تاجر دمشقي لكن الأجرة التي عرضها كانت تافهة للغاية).[٢]

---

(٣) رسالة إلى ولدى – داود عبد العفو سنقرط – صـ ٢٣.

(١) رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – صـ ٤٧.

(٢) السابق – الصفحة نفسها.

فالمحافظون يرون في سرد ماضيهم منفعة لأبنائهم وباباً آخر يدخل منه الأبناء لأخذ العبرة والعظة ، ولعل بعضهم يرى أن في حنينه إلى الماضي واسترجاعه لذكرياته نوعاً من الأصالة المحافظة على التراث لأن ذلك الماضي ما هو إلا جزء من التراث العربي الذي يجب المحافظة عليه بكل طرق المحافظة.

ومن هنا يتبين أن المحافظين اهتموا اهتماماً كبيراً بالماضي فمنهم من حن إليه لأنه رأى فيه مراحل حياته وأحب أن يسترجعها ويذكر بها نفسه لأنه وجد المتعة في ذلك ، ومنهم من استرجع ذكرياته قاصداً بذلك أن يضعها أمام أبنائه ليأخذوا منها العظة والعبرة، ومنهم من استرجعها ليبكي عليها لأنه رأى فيها تراثاً عربياً لم يتكرر فأراد أن يذكر به أبناءه الأجيال المتعاقبة.

القيم والموضوعات المشتركة بين التيارين

هناك قضايا اشترك فيها المجددون والمحافظون سواء أكان هذا الاشتراك في القضية نفسها مع الاختلاف في رأي كل فريق فيها ، أو كان الاشتراك في القضية والاتحاد في الرأي من الطرفين وفيما يلي نستعرض أبرز تلك القضايا المشتركة بين الطرفين.

وما من شك في أن جميع الآباء سواء المجددون أو المحافظون اتخذوا من كتاباتهم لأبنائهم وسيلة من وسائل التربية بما تحمله تلك الكتابات من قيم تربوية وأخلاقية وكان هدفهم من ذلك واحداً وهو وضع أقدام الأبناء على الطريق القويمة لذا راحوا ينقلون لأبنائهم خبراتهم وتجاربهم ومواقفهم في الحياة ليأخذ منها الأبناء العبرة والعظة في مستقبل أيامهم.

ولما كان الهدف من تلك الكتابات واحداً عند معظم الآباء وجدنا كثيراً من أوجه التقارب بين هذه الكتابات كما وجدنا ملامح عامة دار حولها معظم الآباء كل حسب أسلوبه وفكره ، ولكن معظمها في نهاية الأمر يصب في قالب الحكمة والوعظ وتقويم السلوك وإنماء قيم الخير والفضيلة ، ولعل ذلك راجع إلى أثر الاشتراك العام في مؤثرات

فكرية متشابهة وأثر انتشار الثقافة وتهيؤ أسباب العلم بمستحدثات العقل والفكر والفنون ، وتوثيق الصلات الفكرية الأدبية وتوحد اللغة والدين وتقارب الأمزجة والطباع وتأثير الاختلاط والامتزاج الاجتماعي بين الأدباء والكتاب في مختلف الأقطار ، لعل كل هذه الأسباب هي التي أدت إلى وجود تقارب بين أفكار المجددين والمحافظين فلم يكن البعد بينهم بعداً بيناً و لم تكن الفوارق بينهم بعيدة لأنهم في النهاية أبناء جيل واحدة وأبناء ثقافة واحدة.

ولما كان لكل تيار موضوعاته التي تحدث فيها فإن هناك قيماً اشترك فيها أصحاب التيارين أو بعض أصحاب التيارين مع الآخر ، وفيما يلي نستعرض أهم القيم الفكرية والشعورية المشتركة بين المجددين والمحافظين وقد آثرت الحديث عن كل قيمة على حدة مبيناً رأي المجددين والمحافظين وما كان بينهما من أوجه اتفاق أو اختلاف في آرائهم في القيمة التي نتحدث فيها ، ومن أبرز هذه القيم (القيم الدينية ، القيم الاجتماعية، القيم الوطنية ، القيم العاطفية).

أولاً: قيم دينية:ـ

لم تختلف نظرة المجددين عن نظرة المحافظين إلى الدين فكلاهما يعطي الدين قدره ويؤكد على دوره المهم في حياة الأبناء وإن كان المحافظون أكثر استعمالاً لتلك القيم وأكثر حرصاً على إبرازها في كتاباتهم رغم أن المجددين لم يغفلوها بل تناولوها مبينين رأيهم فيها فقد اعتبر أحمد أمين (عنصر الدين في الحياة من أهم أسباب السعادة)[1] وأن الحياة السعيدة (ترتكز على الاعتقاد بإله يُركن إليه ويُعتمد عليه وتُستمد منه المعونة ويُطلب إليه التوفيق في الحياة ويَملأ القلب رحمة وعطفاً وحباً لخير الإنسانية).[2]

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ١٦.

(٢) السابق – صـ ١٧.

كما وجدنا والداً آخر من المجددين يتفق مع أحمد أمين في نفس الرأي حيث يبين لابنته دور الدين في الحياة وينصحها بقوله: (كوني رقيقة لطيفة مخلصة ، وصلي وحافظي على الصلاة وعلى تلاوة القرآن "ألا بذكر الله تطمئن القلوب" وتقربي إلى الله بالنوافل وهي الصلوات غير المفروضة فإن ما يتقرب إلى الله بها يضع مفاتيح سعادته واطمئنانه في يديه).[٣]

وقد اهتم أحد المجددين بعقد مقارنة بين موقف الناس من الدين في زمن الأب وموقفهم من الدين في زمن الابن وقد أسفرت تلك المقارنة عن أن احترام الدين في زمن الأب كان أكثر من احترامه في زمن الابن حيث يقول: (وتربيت أنا في وسط كله دين ، دين في الكتب ، ودين في الحياة الاجتماعية ، ودين في أوساطي كلها ، وتربيت أنت في مدارس وجامعات لا يذكر فيها الدين إلا بمناسبات وكان يذكر الدين في وسطنا دائماً ليحترم ، وكثيراً ما يذكر الدين في وسطك ليهاجم).[٤]

ولم تبتعد نظرة المحافظين للدين عن نظرة المجددين فقد ذكروا أيضاً أن التمسك بالدين علاج لجميع الأسقام خاصة النفسية لذا وجدنا أحدهم يقول: (لا عيادة ولا طبيب ولا فلسفة ولا عالم غير الإيمان بالأسمى ، غير الاتكاء على سارية القضاء والقدر)[١] ، فالمجددون والمحافظون يتفقون على حقيقة واحدة وهي أن الدين هو مصدر الحياة الهادئة المستقرة ، وإن كان تناول المحافظين للقضايا الدينية أكثر بكثير من تناول المجددين لها ولعل ذلك راجع إلى أن المحافظين كانوا يحاولون توجيه الأبناء إلى التراث الإسلامي بينما كان المجددون يحاولون توجيههم إلى الحضارة الحديثة.

وقد حاول المحافظون أن يربطوا الدين بكل مناحي الحياة وقد ظهر ذلك جلياً في نصائح الآباء المحافظين لبناتهم حين ذكر أحدهم لابنته أن أفكاره وتجاربه ونصائحه التي

---

(٣) إلى ابنتي شيرين – حمزة شحاته – صـ ٦٩.

(٤) السابق – صـ ١٣ ، ١٤.

(١) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجري – صـ ٢٠٤.

يبثها إليها إنما هي مستوحاة من روح الدين ومعينه الصافي وفي ذلك يقول لها: (ولكنني بين الحين والحين سأذكرك ، وأجلس إليك ، أبثك أفكاري وتجاربي ، وما أفكاري وتجاربي إلا من معين هذا الدين ، ومن أحكام شريعته ، فاطمئني وإذا أعوزك شيء فأفضي إليَّ بما تريدين فإنني سأعرضه على كتاب الله وسنة رسوله وآتي لك بالقول الفصل والحكم الرشيد).[٢]

وهكذا تبين من خلال النموذجين السابقين أن المجددين والمحافظين كانوا على مسافة متقاربة في الناحية الدينية وإن كان المعروف أن المحافظين أكثر تمسكاً بالدين وأكثر حرصاً على توجيه أبنائهم إليه إلا أن المجددين لم يهملوا جانب الدين و لم يغفلوه لأن تربيتهم وتربية المحافظين كانت قريبة من بعضها.

ثانياً: قيم اجتماعية:ـ

تعددت القضايا الاجتماعية التي تناولها المجددون والمحافظون وإن كان المجددون أكثر اهتماماً بالقضايا الاجتماعية نظراً لاهتمامهم بالجانب الاجتماعي أكثر من المحافظين وقد كان هناك بعض القضايا الاجتماعية التي اشترك فيها المجددون والمحافظون وأبدى كلاهما رأيه فيها ، فمن تلك القضايا (قضية التدخين) فقد تناول بعض الآباء المجددين وبعض الآباء المحافظين تلك القضية وجاءت آراؤهم فيها متحدة لأن الفطرة السليمة والتربية القويمة واحدة في كل زمان ومكان ولا يقبل الإنسان العاقل سواها فعندما تحدث أحد الآباء المجددين عن التدخين اعتبره داء عضالاً (فشا في كثير من الشبان ، فأضاعوا مستقبلهم ، وفقدوا إرادتهم ، وانحطت نفسيتهم وأضحوا لا يرجى منهم خير).[١]

ويظهر من كلام الوالد بغضه لتلك العادة وعدم رضاه عنها وعمن اعتادها ، وفي نفس القضية وبنفس الرأي يأتي البدوي الملثم – الوالد المحافظ – في رسائله لولده خالد حين يحذره من التدخين قائلاً: (والساعة يحلو لي تحذيرك من مغبة التدخين الذي لم أعرف

---

(٢) رسائل إلى ابنتي – محمد محمد علي الإبشيهي – صـ ٢٨.

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – صـ ٣٨.

سبيله طيلة السنوات التي عشتها ، و لم يعرفه والدي من قبلي ، وعهدي بك أنك مـــدرك فوائد كل شيء ومضاره).[٢]

وقد كان المجددون أكثر تناولاً لتلك القضية فمن الآباء المجددين من تناولهـــا مـــن الناحية الصحية والطبية فأخذ يبين أضرار التدخين وأنه يعد بداية لتعاطي المخدرات وأخذ الوالد يسوق كثيراً من الأدلة التي تؤيد ما يقول وفي مطلع رسائله يقول: (قضية المخدرات قضية شغلت العالم أجمع، شرقه وغربه وجنوبه وشماله ، لإدراكه للآثـــار المـــدمرة لهـــذه السموم ، فتعاطي المخدرات والمسكرات واستنشاق الغازات يعتبر مـــن أخطـــر أعـــداء الإنسانية جميعاً لأنها تحيل الإنسان إلى جثة هامدة لا حراك فيها ولا قدرة لها على العمـــل الذي هو أصل البناء ، وعليه محور النهضة والتقدم بتوفيق الله)[٣] وقد تناول الوالد المجـــدد موضوعه من منظور إسلامي مبيناً موقف الإسلام من تلك الآفة ، ثم تناولها من منظـــور علمي مبيناً ما وصل إليه العلم الحديث والطب من معرفة لما تسببه تلك الآفة من أضـــرار ومخاطر.

ومن القضايا الاجتماعية التي تناولها المجددون والمحافظون قضية (الزواج) ولكن مـــن الملاحظ أن المجددين رغم دعوتهم إلى الحضارة الغربية والمدنية الحديثة إلا أن أحد الآبـــاء المجددين في حديثه عن الزواج وجه نصيحته لولده بألا يتزوج من فتاة أجنبية بل يختار فتاة عربية لتكون شريكة حياته معللاً رأيه بقوله: (أرى أكثر من حولي من المتزوجين بأوربيات غير سعداء لأنهم رأوا أن زوجاتهم الأوربيات قد ساءهن ما شاهدن في مصر فهن ينغصن على أزواجهن إذا رأين فقراء مقعدين بجانب أغنياء مترفين ويسوؤهن أن يـــرين فوضـــى وقذارة وما إلى ذلك ، وظهر أنهن كن يتصنعن التأكيد بسرورهن من الإقامة في مصر)[١] وتلتقي في نفس الرأي الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ففي حديثها عن الزواج تحث ابنتـــها على اختيار زوج مشتمل على الكثير من الصفات الحسنة التي تتناسب مع طبيعتنا المصرية

---

(٢) رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – صـــ ٢٩.

(٣) رسائل من والد إلى ولده يحذره فيها من الوقوع في المخدرات – سليمان الحقيل – صـــ ١٥.

(١) إلى ولدى – أحمد أمين – صـــ ٨٠.

وفي ذلك تقول لابنتها: (إنك مصرية أصيلة ، فابحثي في خطيبك عن روح الفكاهة أو ما يسمونه خفة الظل أو الوسامة النفسية).[٢]

أما تناول المحافظين لقضية الزواج فقد جاء من منظور ديني بأن ذكر الوالد الشروط الدينية التي وضعها الإسلام لاختيار الزوج ثم تطرق الحديث إلى العلاقة الزوجية وما يجب أن تكون عليه حتى تكون علاقة ناجحة وقد أكثر الوالد المحافظ من سوق الاستشهادات المتعددة من القرآن والسنة التي تتعلق بقضية الزواج ، وأبدى إعجابه ببعض العادات الحسنة المتعلقة بالزواج عند غير المسلمين وقد ظهر ذلك الإعجاب فى حديثه عن العلاقة الزوجية فى دولة اليابان حيث يقول لابنته: (وانظري كمثال لأمة مثل اليابان فإن نظامهم يقضى أن تخلص المرأة لزوجها وأن تجعل نصب عينيها سعادته وراحته داخل المنزل وخارجه ، وطاعتها التامة له هي أساس الزواج عندهم فليس لها أن تسأله عن شيء لماذا فعله أو لماذا لم يفعله ولا تخالفه فى شيء أمرها به سواء أوافقها أم لم يوافقها ، حتى إنها لا تجلس أمامه أو إلى جنبه حتى يأذن لها بالجلوس ويسمح لها به ، وعليها أن تلزم الأدب أمامه وتتظاهر بالحب له سواء أكان حباً حقيقياً أم مصطنعاً ، وإذا خرج إلى عمله شيعته إلى باب الدار وودعته وداعاً حاراً ، وإذا عاد استقبلته بخشوع وابتهاج بعودته ووفرت له أسباب الراحة والهناء ، فهل اليابان أولى بذلك أم أمة الإسلام؟)[١] ، وعلى الرغم من أن معظم هذه الصفات التي ذكرها الوالد في تلك القطعة نابعة من روح الإسلام إلا أن بها بعض الصفات التي تتعارض معه فقد حث الإسلام الزوج على حسن معاملة المرأة وأن يكون بينهما رفق ولين ومودة ورحمة لا تصل إلى هذه الدرجة من عدم جلوسها معه أو أمامه إلا إذا أذن لها ، كما لا يصل الأمر أن تترك الزوجة زوجها يفعل ما يشاء بل لابد من أن تكون بينهما روح التشاور فى الأمور ، كما أن الإسلام يحث المرأة على أن تكون مخلصة في حبها لزوجها لأن معاملتها له بعكس ما بداخلها يتعارض مع مبادئ الإسلام لأن معاملتها له بعكس ما تبطنه لها يعد نوعا من الغش الذي لا يقبله الإسلام ، وكان

---

(٢) إلى ابنتي – نعمات أحمد فؤاد – صـ ١٤١.

(١) انظر: هديتي لابنتي عند زفافها – محمد رزق طرهوني – صـ ٨٣.

حرياً بالوالد أن يوضح لابنته تلك الأشياء ، ولقد استطاع الوالد الحريص على مصلحة ابنته – وبنات الأمة جميعا – أن يضع حلولا إيجابية لكثير من المشاكل التي قد تواجه الزوجين في حياتهما مبينا أن هذه الحلول وهذا العلاج مصدره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وقد ظهر ذلك أيضاً بوضوح في كتاب (رسائل إلى ابنتي) بقلم محمد محمد علي الإبشيهي والذي تناول فيه كثيراً من النصائح التي تفيد ابنته في حياتها الزوجية والتي عالجها من منظور ديني.

ومن أبرز القضايا الاجتماعية التي تعرض لها المجددون والمحافظون قضية التعليم ، وقد ذكرنا سابقاً في الرسالة أن المحافظين غلب عليهم توجيه أبنائهم نحو العلوم الدينية أكثر من غيرها بينما المجددون اهتموا بتوجيههم نحو العلوم الحديثة والعلوم الغربية على جهة التخصيص ، وقد أدى تناول قضية التعليم عند أصحاب التيارين إلى وصولهم إلى موضوع آخر يتعلق بقضية التعليم ألا وهو (مرحلة ما بعد التعليم بالنسبة للأبناء) فقد تناولها أحد الكتاب المجددين تحت عنوان (بعد المدرسة) حيث ذكر لولده أن مرحلة الجهاد والبلاء والتعب والنصب لا تبدأ عند الأبناء إلا بعد الدخول فى الحياة العملية وذلك مخالف لما يعتقده الأبناء وهم فى مرحلة التعليم فهم متصورون أن الحياة بعدها ستفتح أبوابها لهم ، ولكنه يؤكد لولده ولجيل الأبناء أنهم سيصدمون بما يلاقونه فيها من مرارة وألم وهم وغم، وفى ذلك يقول: (إن تصويركم ، يا بني ، للحياة المقبلة تصويراً زاهياً لامعاً يسيء إلى عقولكم كثيراً يوم تلجون ميدان الحياة ، وتصدمون بما تلاقونه فيها من مرارة وألم وهم وغم ولذلك فإني أنصحك أن لا تصور حياتك بعد المدرسة بذلك اللون الوردي بل صورها كما أريد أن أفهمك إياها على حقيقتها ، واعلم أنها حياة الجد والعمل والكفاح، لكي لا يصدم عقلك صدمة عنيفة لأن الإنسان الذي يعرف أنه داخل على ظلام يعد له عينيه ، ولا يؤخذ على غرة ولا تتولاه غشاوة فيضل فى هواه)[1] ويلتقي التويجري مع أحمد حافظ عوض فى نفس النصيحة حيث يقول لولده فى إحدى رسائله له (ماذا ترى بعد الجامعة؟ وضعت قدمك على عتبة مخرجها وودعتها وداعاً فرحاً به ، لا أظنك حزينا

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ١٠٩ ، ١١٠ .

عليه لأنك تتصور أن الحياة فاتحة ذراعيها آخذتك إلى صدر مليء ثديه بالشراب الذي لا تكدره عليك جفوة أمك التي ماتت وتركتك رضيعاً فوكلك أبوك إلى ثدي ضرة ، وقليل من الضرات من حنا قلبها ورق ثديها لسقى الطفل حتى الري!! ولدى ليتني أستطيع أن أعصب عيني عن الظلام فلا أرى غير الورود والضوء أو النجوم والأقمار والشموس لأرسلها إليك تفاؤلا فى هذه الرسالة ...)[٢] فعلى الرغم من اختلاف المذهب عند كل منهما وبعد الفترة الزمنية إلا أن آراءهما جاءت متفقة في هذه القضية.

وما أكثر الموضوعات التي اشترك فيها المجددون والمحافظون وأبدى كل رأيه من وجهة نظره وقد جاءت بعض هذه الآراء متوافقة عند المجددين والمحافظين وجاءت بعضها مختلفة عند كل منهما.

ثالثاً: قيم أخلاقية:ـ

لقد حرص الآباء المجددون والمحافظون على غرس القيم الأخلاقية والسلوكية في نفوس أبنائهم ، وقد ناقشوا تلك القيم الأخلاقية بمزيد من العناية والاهتمام لما لها من دور كبير في حياة الأبناء ، فإلى جانب اهتمامهم بتوجيه أبنائهم إلى التعليم وجدنا المجددين يقررون حقيقة ثابتة لأبنائهم وهي أن العلم لابد أن يتوج بالأخلاق الرفيعة لذا يخاطبه بقوله: (إن العلوم والمعارف وسعة الإطلاع والتهذيب التام ليست وحدها كفيلة بنجاحك إذا يلزمك التحلي بأخلاق وصفات ومظاهر لا اتصال لها بالعلوم والمعارف ولا بالكتب والمباحث)[١] لذا حرص المجددون على توجيه الأبناء إلى الأخلاق والسلوكيات ولكنهم كانوا أقرب إلى الثقافة الغربية إذ نادوا أبناءهم بالتمسك ببعض السلوكيات الغربية التي تتماشى مع تطور العصر الحديث كتربية الذوق في نفوس الأبناء والاهتمام بحسن المظهر ولطف المقابلة وجميل الهندام وظرف الحديث وخفة الحركة ، وإن كانت هذه السلوكيات في حقيقتها لا تتناقض مع أخلاق الإسلام بل إن الإسلام ينادي بها ولكن الآباء المجددين

(٢) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجري – صـ ٣٩.

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ١١٣.

صاغوها في قالب بعيد عن القالب العربي واعتبروها أحد متطلبات الحضارة الحديثة ومن تلك الأخلاق والسلوكيات التي نادى بها أحد الآباء المجددين ما ذكره في قوله: (يشترك مع حسن هندامك الظاهر حسن المقابلة ولطف الإشارة وخفة الحركة وتناسب الصوت بحيث لا يكون مرتفعاً ولا منخفضاً ولا خشناً ولا مرناً ، ثم لا تقابل أحداً من الناس كبيراً كان أو صغيراً إلا باشّاً باسماً متواضعاً متلطفاً ولا تزد في حديثك عن الحد المطلوب مع المناسبات التي تقتضيها الظروف ، وإذا رأيت في أحد منهم ما لا يرضيك من ظاهره أو حديثه فلا تشعره بعدم رضائك أو نفورك).[٢]

أما دعوة المحافظين إلى الأخلاق فكانت دعوة دينية تحث على التمسك بالأخلاق الدينية والإسلامية كالصدق والأمانة والعدل وغيرها.

ومن الملاحظ أن المحافظين تطرقوا إلى موضوعات أخلاقية قلما يتطرق إليها المجددون وهي تعد من تمام الجانب الأخلاقي وهي اختيار الصديق فقد عمد المحافظون إلى توجيه أبنائهم إلى حسن اختيار الصديق والبعد عن الأشرار حيث يقول: (عهدي بك يا خالد ذواقة في اختيار الأصدقاء وسبر أغوار الناس وطبائعهم ، وأملى أن يتضاعف ذوقك هذا ، فتحسن مصاحبة الأخيار ، والهرب من الأشرار ، لأن في هذا الدستور راحة لك ، وعزاء لضميرك ، وضمانا لمستقبلك!)[١] ولا أدل على حرص المحافظين على حث أبنائهم على حسن اختيار الصديق من أن أحدهم ألف كتابا كاملا لولده فى هذا الموضوع فلم يترك فيه صغيرة ولا كبيرة إلا ذكرها لولده بين ثنايا صفحات هذا الكتاب الذي سماه (رسالة إلى ولدى من تصاحب) فهذا إن دل فإنما يدل على اهتمام المحافظين بهذه القضية ، وكيف لا يكونون مهتمين بها ورسولنا ﷺ يقول: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). [٢]

---

(٢) السابق – صـ ١١٥.

(١) رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – صـ ٣١.

(٢) حديث صحيح رواه أبو داوود والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ .

ومن الموضوعات التي اعتنى بها المحافظون والمجددون التي يمكن أن تندرج تحت القيمة الأخلاقية حث الآباء لأبنائهم على حب المعالي والصدارة والسير في أول الركب والتوجه إلى الطليعة والمقدمة فمن توجيهات المحافظين في هذا المجال حث أحد الآباء ولده على أن يكون من ذوى الهمم العالية والنفوس الأبية التي لا ترضى من المعالي بالدون ولا من المكاسب بالتر اليسير وفى ذلك يقول أحد الآباء: (وإياك أي بُني أن ترمي بسهمك إلا في حلق صيد يكافئُه ، فإن أخطأت أو نسيت، فنالك بخطئك أو بنسيانك صيد غير مكافئ فدعه، طيِّبةً به نفسك للمهازيل ، المبلَّلة ألسنتهم بلعابِ الأطماع الرخيصة ، ولا تغذُ نفسك بعسلٍ إلا أن يكون من رؤوس الشامخات الراسيات، ولا تشرب الماء إلا من أثداءِ المزن المعصرات العاليات، ولا تبحث عن علف فرسك إلا في طلع أشجار النخيل الباسقات)[٣] كما وجدنا البدوي الملثم يقدم لولده نصيحة بهذا المعنى يحثه فيها على التقدم والريادة حيث يقول: (أكتفي بهذا القدر يا خالد ، وأرجو أن تركز على العبارة التالية "ولكن إذا لم يكن بد من أن تكون هناك طبقات فإني أعيذك أن ترضى أن تكون إلا فى الطبقة العليا").[١]

كما يتفق بعض الآباء المجددين مع المحافظين حين يطلب أحدهم من ولده أن يتفوق على أقرانه وأن ذلك لا يكون إلا بالجد والاجتهاد والمثابرة وفي ذلك يقول أحمد حافظ عوض ناصحاً ولده: (وأنا إنما أريد لك الميزة على الأقران ، والتقدم إلى الصف الأول ، أو أن تكون الرجل الذي يشار إليه بالبنان)[٢] فالوالد يطلب من ولده أن يتفوق على أقرانه ولا يكون ذلك إلا بالجد والاجتهاد والمثابرة ، وبمثل هذه النصيحة نصح خليل السكاكيني ولده سرى حين طلب منه ألا يرضى لنفسه أن يكون إلا فى الطبقة العليا وأن يكون فى طليعة صفوف المتقدمين وفى ذلك يقول لولده: (لا أحب يا سرى أن يكون الناس طبقات، ولكن إذا لم يكن بد من أن تكون هناك طبقات فإني أعيذك أن ترضى أن تكون

---

(٣) أي بني خذ عنى بعضا منى – محمد إبراهيم شقرة – صـ ٢٣.

(١) رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – صـ ١٣٣.

(٢) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ٦٠.

إلا فى الطبقة العليا ، لا لتنظر إلى الناس من علٍ ، ولكن لتسعى إلى إنهاض الإنسانية والأخذ بيدها إلى الذروة العليا ، لا أحب أن يكون هناك متقدمون ومتأخرون ، ولكن إذا لم يكن بد من أن نسير فى قافلة الإنسانية فإني أعيذك أن ترضى أن تمشى إلا فى الطليعة ، لا لتزهى بنفسك ولكن لتكون قدوة صالحة لغيرك ، لا أحب أن تختلف حظوظ الناس ، فهذا حظه وافر ، وهذا حظه خسيس ، ولكن إذا لم يكن بد من أن تختلف الحظوظ فإني أعيذك أن ترضى بالنصيب الأخس لا شرها فإن التروع إلى المعالى عن شره دناءة ، وإن كان ظاهرة تعاليا ، ولكن لتسعد وتسعد غيرك)[٣] وهنا نجد السكاكيني يحرص على توجيه ولده إلى حب المعالي لنفسه ولكن بشرط أن يكون ذلك بطيب نفس وأن يتخذ من هذه الصدارة وسيلة لإفادة البشرية وإسعادها.

رابعاً: قيم عاطفية:ـ

تعد عاطفة الأبوة أمراً فطرياً لدى الآباء نحو الأبناء لا فرق فيها بين مجدد أو محافظ فجميع الآباء سواء في تلك العاطفة فهي عاطفة قوية قديمة ، ظهرت في كثير من الأعمال الأدبية شعراً ونثراً على مر العصور الأدبية المختلفة ، وتمثل عاطفة الأبوة لوناً من ألوان الحب الإنساني الدائم الإيحاء في ميدان الأدب العربي ، وباعثاً فعالاً من أقوى البواعث التي تحرك المشاعر وتثير الوجدان.

ولما كانت كتابات الآباء للأبناء مشحونة بالعاطفة الأبوية الصادقة فإنها تعد ذات صلة وثيقة بوجداننا ، بل يمكن القول بأنها تعتبر أداة مرنة ووسيلة إيجابية لوصف مشاعر النفس الإنسانية في كل زمان ومكان ، كما أنها تجسد العلاقة الحميمة بين الأدب والنفس وقد اعترف كثير من الآباء في كتاباتهم بقوة تلك العاطفة الأبوية من ذلك قول أحد الآباء المجددين: (ولقد خبرت العواطف على جميع درجاتها وأصنافها ، فلم أجد عاطفة أقوى تملكاً بالنفس وتمسكاً بالحس من الحب الذي شعرت به نحوك منذ وجدت إلى اليوم وإن شئت أن أحاول وصف حبي لك فلا أستطيع أن أقول سوى أنه نوع غريب من الحب له

(٣) نقلاً عن: رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – صـ ١٣٢، ١٣٣.

معان وتصورات وصفات غير الحب المعروف)[1] ، ولعل تلك العاطفة الأبوية الصادقة هي التي جعلت الآباء يحاولون جاهدين أن يجمعوا في كتاباتهم لأبنائهم كل ما استطاعوا من النصح والإرشاد والوصايا والحكم حتى تعم الفائدة على أبنائهم.

وعلى الرغم من قوة تلك العاطفة إلا أنها تعد ضعيفة إذا ما قيست بعاطفة الأمومة التي تمتلئ بالحنان والدفء ، تلك العاطفة التي تجلت في أبهى صورها في رسائل الدكتورة/ نعمات أحمد فؤاد إلى ابنتها والتي حرصت الوالدة على أن تزود ابنتها بالكثير والكثير مما ينفعها في مستقبل أيامها ، وليس المجددون فقط هم أصحاب العاطفة الأبوية الصادقة بل شاركهم فيها المحافظون ، فليس الأمر كما ذكرنا مقصوراً على طائفة دون أخرى ، أو تيار دون آخر ، بل هو أمر فطري عند جميع الآباء حتى ولو لم يعترف به الأب إلا أنها حقيقة مسلم بها ، وتبدو هذه العاطفة الصادقة في كتابات المحافظين بل يعترف بها أحد الآباء المحافظين في إحدى رسائله حيث يقول: (ولدى الحبيب: مهما صورت لك من مشاعر حبي ووصفت لك خلجات قلبي ، ومهما اخترت لك من الكلمات لأعبر عما أرجوه لك من خير عميم، ومستقبل زاهر ... أجدني عاجزاً عن ترجمة مشاعري وتجسيد خلجات قلبي إلى واقع ملموس).[1]

فالوالد المحافظ يعترف بأن عاطفة الأبوة أعظم من أن تصفها كلمات، وأن مشاعره نحوه أكبر من أن تحيط بها جمل وعبارات.

ومن هنا يمكن القول بأن العاطفة الأبوية هي التي دفعت الآباء إلى توجيه خبراتهم وتجاربهم في الحياة لأعز ما يملكون وهم الأبناء ، فالعاطفة الأبوية هي التي جعلت الآباء المحافظين يخافون على أبنائهم من سلبيات الحضارة الحديثة خشية أن ينجرفوا في تيارها لذا اعترف أحد الآباء المحافظين بهذا الخوف وأن هذا الخوف هو الذي دفعه إلى كتابة رسائله حيث يقول: (وما في هذه الرسائل – التي أضع لها هذه المقدمة – إلا مخاوفي ووعظي

(١) من والد إلى ولده – أحمد حافظ عوض – صـ ١٠.

(١) رسائل إلى ولدى خالد – البدوي الملثم – صـ ٥٦.

لأولادي حين كانوا في جامعات القوم هناك بعيدين عن هذه الصحراء وقيمها ومعتقداتنا الكريمة).[٢]

كما أن العاطفة الأبوية هي التي جعلت بعض الآباء يشعر بالقلق تجاه أبنائه مما حولهم من العوامل الداخلية والخارجية فدفعه هذا القلق أن يوجه نصائحه إليهم حتى يجدوا فيها ما هم بحاجة إليه لذا قال أحد الآباء في مقدمة رسائله: (شبابنا وشاباتنا اليوم يعيشون بسبب عوامل داخلية وخارجية متعددة حياة قلق وضياع لا يحسدون عليها وليس لهم سوانا نحن آباؤهم لنمحضهم النصح ونكون بسلوكنا قدوة صالحة لهم ، فالعنف والتعنيف والنقد والتجريح والزجر والقصاص والتهديد لا يفيدهم في شيء، بل إنه على العكس من ذلك فقد يعقد في وجوههم حياتهم المعقدة ، ويسد في طريقهم كل أمل لهم في النجاة ، ولهذا وجهت لهم فيها بعض ما ينقصهم أو ما هم بحاجة إليه).[١]

وما من شك في أن تلك العاطفة الأبوية لها أثر كبير في هذا اللون الأدبي لأن الوالد حين يستشعر أنه يكتب لولده ينتج أدباً مختلفاً عن سائر أعماله الأخرى وهذا مشترك عند جميع الآباء مجددين كانوا أم محافظين وقد أكد بعضهم هذه الحقيقة حين قال لولده: (أود أن تعرف أنني لا أحمل قلم المؤلف ولا ذهن المفكر فحمل القلم في يد مؤلف أو كاتب غيره في يدي مع هذه الرسائل)[٢] كما ظهر ذلك أيضاً في رسائل الأديب حمزة شحاته فقد (جاءت كل رسالة نموذجاً خاصاً لصديق من أصدقائه)[٣] ، وهذا أمر طبيعي لأن عاطفة البنوة من أعمق العواطف الإنسانية فهي عاطفة فريدة في صفائها ونقائها وعمقها ، كما أنها عاطفة مترهة عن الهوى وبعيدة عن الأغراض ، فلا شك في أن هذه العاطفة القوية ألهمت الأدب بكثير من الروائع التي ظهرت بين ثنايا كتابات الآباء للأبناء كما أنها كانت دافعاً مهماً من دوافع الكتابة إلى الأبناء.

---

(٢) رسائل إلى ولدى حتى لا يصيبنا الدوار – عبد العزيز التويجرى – صـ ١١.

(١) رسالة إلى ولدى – داود عبد العفو سنقرط – صـ ٧.

(٢) السابق – صـ ٢٠.

(٣) مقدمة: إلى ابنتي شيرين – حمزة شحاته – صـ١٠.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن المجددين والمحافظين كان لهم بعض أوجه الاتفاق في بعض القضايا التي ناقشوها وهذا إن دل فإنما يدل على أنهم جميعاً آباء حريصين على مصلحة أبنائهم لذا يقدمون لهم ما يرونه نافعاً ولا فرق في ذلك بين كونهم مجددين أو محافظين.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء فما ترك خيراً يقرب إليه إلا دلنا عليه ، وما ترك شراً يباعد عنه إلا حذرنا منه ، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ عبده ورسوله ، المبلغ عن ربه تشريعه ووحيه فما قبض حتى أتم البلاغ وأقام الحجة على العالمين بما جاء به من الحق المبين .... أما بعد :

فلقد سعيت في هذا الكتاب إلى البحث في أدب الكتابة إلى الأبناء في العصر الحديث، وحاولت جمع نصوصها وتصنيفها تبعاً لمضامينها متتبعاً تلك المشاعر الأبوية ومترسماً خطا تلك الإضاءات الإنسانية في كتابات أدباء الآباء إلى أبنائهم ، وقد أشرت إلى التاريخ الأدبي لهذا اللون الأدبي في المشرق العربي والذي يعود إلى ما قبل العصر الجاهلي وتتبعته عن طريق عرض ومضات منه عبر عصور الأدب المختلفة تمهيدا لظهور هذا الفن في العصر الحديث.

وقد جاءت معظم كتابات الآباء للأبناء على صورة تخالج وجداننا وتمس قضايانا وتقوم سلوكنا كما أنها في الوقت ذاته ترجمت خبرات الآباء، وحكت حكمتهم، وجسدت اهتمامهم ، وأكدت حرصهم على تنشئة أبنائهم تنشئة مناسبة قاصدين منها أن يستلهمها الأبناء ويستحضرونها في نفوسهم، واتضح أن لأدب الكتابة إلى الأبناء مميزات وخصوصيات تتجلى فيه دون غيره من سائر الألوان الأدبية الأخرى ، فقد استقى هذا اللون الأدبي مادته من موارد الخبرة الشخصية والمعارف والقيم الدينية والأخلاقية السامية ، ثم إنه ضَرَبَ في ميادين الحياة كلها ، وخاض في مختلف المناحي.

وقد بَيَّنَتْ أثر الجو العام والبيئة الحديثة في هذا الفن الأدبي إذ أن النهضة الحديثة التي انتشرت في معظم البلدان العربية آنذاك كان لها كبير الأثر في تغذية وتنمية هذا اللون الأدبي، من أهم الغايات التي سعى الآباء إلى تحقيقها في كتاباتهم لأبنائهم ربط الأبناء بالحياة الاجتماعية حيث شكلت المفاهيم الاجتماعية محوراً أساسياً في كتاباتهم بما حوته من كثير من القيم الاجتماعية التي تُعنى بتكوين الشخصية وتفاعلها مع الآخرين، كما وجه الآباء جل اهتمامهم في كتاباتهم إلى السلوك الفردي والعادات والتقاليد والحاجات الاجتماعية الخاصة لكل من الجنسين

(البنين والبنات) ولعل اهتمام الآباء بالتنشئة الاجتماعية راجع إلى اعتبارها ركيزة مهمة من ركائز التربية الحديثة ودعامة أولى من دعائم مقومات الشخصية.

وختاماً: فإنني لا أدعي أني أحطت بهذا الموضوع خبراً أو أنني لملمت أطرافه بحثاً وفكراً ولكنني آمل أن أكون قد أديت ما استطعته من العناية والجهد.

فلئن وفقت فيما بذلته من جهد ووقت وإخلاص فذلك فضل الله تعالى ، ولئن أخطأت أو زللت فما ذلك عني ببعيد لأني بشر لا يمكن له أن يحقق الرضا والكمال وإنما النقص ديدنه في كل حال وزمان ، وقد صدق العماد الأصبهاني حين قال:- (إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه ، إلا قال في غَدِه لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زِيد كذا لكان يُستحسن ، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرِك هذا لكان أجمل ؛ وهذا من أعظم العِبَر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)

فـــهـــرس الـموضوعات

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
الإهـــــــــــــداء.	١
مـــــقـــــــــدمـــــة.	٣
الكتابة إلى الأبناء على مر العصور.	٧
مصادر الكتابة إلى الأبناء في العصر الحديث	٣٠
أنواع الكتابة إلى الأبناء في العصر الحديث وأبرز روادها	٣٨
النمط الأول:(كتابات الآباء إلى الأبناء خاصة).	٣٩
الكتب الكاملة الموجهة من الآباء إلى الأبناء.	٤٠
الوصايا والرسائل المستقلة.	٥٥
النمط الثاني: (كتابات الآباء إلى الأبناء عامة).	٦٢
مراحل تطـــور كتابات الآباء للأبناء فـــي العصر الحديث.	٦٨
دوافع كتابات الآباء إلى الأبناء فـــي العصر الحديث.	٧٣
المجددون أسبق في الظهور من المحافظين في العصر الحديث.	٩٠
القضايا الموضوعية التي عالجها المجـــددون.	٩٣
أولا : التنويه بالغرب ودعوة الأبناء إلى حضارته.	٩٥
ثانيا : قضية التعليم ... الواقع والمثال.	١٠٢
الدعوة إلى طرق التعليم الحديثة.	١٠٣
الدعوة إلى التثقف باللغات الأجنبية.	١٠٤
تشجيع الاهتمام بالعلوم الحديثة والثقافة العامة.	١١٢
الحث على المشاركة الاجتماعية الفعالة.	١١٧
الحث على الرقي في التعامل والسلوك.	١١٨
القضايا الموضوعية التي تناولها الـــمحافظون.	١٢٦

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
التمسك بالـــمبادئ الدينية والقيم الأخلاقية.	١٢٩
الدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية.	١٣٦
الحنين إلى الماضي واستدعاء الذكريات.	١٤٢
القيم والـــمـــوضوعـــات المشتركة بين التيارين.	١٤٦
قيم ديـــنـــيـــــة.	١٤٧
قيم اجتمـــاعيـــة.	١٤٩
قيم أخلاقـــيـــــة.	١٥٣
قيم عـــاطـــفيـــة.	١٥٦
الـــخـــــاتـــــمـــــة.	١٥٩
فهرس الـــموضوعـــات.	١٦١